شرح الفتوى الحموية

مقدمة الشارح

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

معاشر الأخوة: لقاؤنا في هذه الليالي سيتجدد مع متن من متون العقيدة، وجرت العادة في بداية مثل هذه المتون هناك وقفات عامة:

الوقفة الأولى: مع مؤلف هذا المتن، ولن أقف عنده كثيرا، فهو علم –كما يقال– على رأسه نار، وشهرته في نطاق البشر، أشهر من أن يعرف، فهو الإمام شيخ الإسلام، تقي الدين علم الأعلام، رافع لواء السنة، قامع أهل البدعة، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي –رحمه الله–.

ولد سنة إحدى وستين وستمائة في مدينة حران في بلاد العراق، وهاجر به والده سنة ست وخمسين وستمائة بعد هجوم التتار على بغداد، هاجر به إلى دمشق، ونشأ وترعرع وعاش في بلاد الشام، إلى أن توفي –رحمة الله عليه– سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

هذا الإمام –معاشر الأخوة– ابتلي بطائفتين، ابتلي بصنفين من الناس، عارضوه وناصبوه العداء:

الصنف الأول: وهؤلاء عادوه من منطلق بدعي، وهؤلاء هم أهل الأهواء والبدع الذين جردوا تجاهه سيف العداوة، ووقفوا في وجهه بكل ما أوتوا من قوة، وآذوه بشتى الوسائل، حيا وميتا –رحمه الله–، ولعل إحدى المعارك التي جرت بينه وبينهم، ابتدأت من تأليف هذا المتن الذي بين أيدينا، وهؤلاء حاربوه؛ لأنه خالفهم في أصولهم وبين ضلالهم وانحرافهم، وقضى حياته جهادا بلسانه وقلمه تجاه هذا الصنف.

أما الصنف الآخر: وهؤلاء الذين لمسنا وجودهم في وقتنا الحاضر، فهؤلاء –وللأسف– ممن ينتسبون إلى المعتقد الصحيح، ولكنهم كما قيل: ببغاوات، يقولون ما لا يفهمون، وينطقون بما لا يعلمون، ناصبوا شيخ الإسلام العداوة بمبدأ فاسد، وذلك أنهم رأوا بعض من ينتسب إلى هذا الإمام، ويأخذ بأقواله، وأخطأ في مفهومه لقول شيخ الإسلام، فحملوا الإمام تبعة هذا الخطأ، وهذا مبدأ فاسد عقلا وشرعا.

ويكفي في فساد هذا المبدأ، أنه يلزم على ذلك أن يخطأ الرسول –صلى الله عليه وسلم–؛ وذلك أن من الناس من فهم بعض نصوص النبي ﷺ فهما خاطئا، وطبقها تطبيقا خاطئا، بل يلزم من ذلك تخطئة كتاب الله

ﷻ كلام الله ﷻ وذلك أن من الناس من فهم كلام الله على غير مراده، فلا يحمل هذا الشيخ –هذا الإمام– تبعة من فهم كلامه على غير مراده، فهو بريء من هذا براءة الذئب من دم يوسف.

أما اسم المتن الذي بين أيدينا، فاختلفت أسماء هذا المتن، وجاءنا ووصل إلينا بعدة أسماء: فسمي بالفتوى الحموية الكبرى، وسمي بالمسألة الحموية، وسمي الحموية، وسمي الحموية الكبرى، والاختلاف في أسماء كتب شيخ الإسلام ورسائله، خاصة المتعلق بجانب الاعتقاد، هذا يكاد يكون منهجا عاما، قلما أن تجد له كتابا في باب العقائد إلا وله عدة أسماء، ما السبب في ذلك؟

نعم، ما السبب؟ درء تعارض العقل والنقل وصلنا بعدة أسماء، نقض التأسيس، منهاج السنة، النبوات. ما السبب في ذلك؟ يعني تجد مثلا ابن عبد الهادي يذكر له اسما، ابن القيم يذكر له اسما مخالفا، ابن رجب يذكر له اسما ثالثا، فما السبب في ذلك؟ أحد الإخوان قال: نساه، نعم. أخونا يقول: إن الشيخ لم يسم كتبه، ما السبب؟ لا... أحسنت، ما كتبه شيخ الإسلام في باب الاعتقاد لم يضع له هو أسماء وعناوين، السبب في ذلك ذكره وأشار إليه في مناظرة الواسطية، قال: إنني لم أكتب في هذا الباب ابتداء ولا حرفا واحدا، وكل ما كتبته في هذا الباب –أي باب العقائد– فما هو إلا إجابة لسائل، أو رد على مبطل، وذلك يقول: إن باب العقائد أحكمه السلف –رحمهم الله–، يقول: باب العقائد كتب فيه السلف وشفوا وكفوا، وكل ما كتبته إما إجابة لسائل سألني، وإما رد على مبطل؛ ولهذا كان لا يضع عناوين، فيجتهد تلامذته ومن أتى بعده في وضع عنوان لهذه الرسالة أو هذا الكتاب، ولكن الذي استقر عليه اسم هذه الرسالة التي بين أيدينا، واشتهرت بذلك باسم "الفتوى الحموية الكبرى".

الفتوى: لأنها عبارة عن إجابة لسؤال كما ذكر الشيخ في مطلع الرسالة، وتسميتها بالحموية نسبة إلى أن السؤال –كما ذكره أيضا– ورد إليه من حماه، وهذا ليس بمستغرب على رسائل الشيخ، فكثيرا ما يطلق على بعض رسائله اسم "من سأل عن أصل المسألة"، فهناك التدمرية، نسبة إلى السائلين الذين سألوا الشيخ أن يكتب لهم هذه القاعدة وكانوا من أهل تدمر، أيضا والواسطية؛ لأن أهل واسط طلبوا منه أن يكتب لهم عقيدة أهل السنة والجماعة، وهكذا الحموية.

الكبرى: تمييزا لها عن الصغرى، وفي الواقع لم أعثر على من ذكر على ماهية الصغرى، سوى ابن عبد الهادي –رحمه الله–، قال –وابن عبد الهادي من تلامذة الشيخ–: "وله الحموية الكبرى، والحموية الصغرى". ما هي هذه الحموية الصغرى؟ لا زالت مجهولة، أشار محمد عبد الرزاق حمزة –رحمه الله–، وتبعه قصي محب الدين الخطيب في تقدمة إحدى طبعات هذه الرسالة، إلى أن الفتوى الحموية الصغرى هي عبارة عن أصل هذه الفتوى، أجاب بها الشيخ وانتشرت بين الناس، ثم أخذها الشيخ وزاد عليها زيادات، وأضاف عليها إضافات، فخرجت للناس باسم الفتوى الحموية الكبرى.

تاريخ تأليف هذه الرسالة: تكاد المصادر تتفق على أن تأليفها كان في أول شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وستمائة.

موضوعها: موضوع هذه الرسالة: هي ألفها الشيخ في مسألة الصفات؛ للرد على جمهور الأشاعرة؛ ولهذا يحسن أن نعطي نبذة عن مذهب الأشاعرة في باب الصفات؛ لأن هذه الرسالة تدور في الرد على هذه الطائفة، خاصة في الصفات الخبرية وصفة العلو لله ﷻ .

مذهب الأشاعرة في صفات الله ﷻ المتقدمون منهم يثبتون الصفات التي يسمونها الصفات العقلية، والصفات الخبرية التي جاءت في القرآن: كصفة الوجه، واليدين.

علما بأن الأشاعرة مختلفون في عدد الصفات التي يثبتونها، وأشار الشيخ إليه في آخر هذه الرسالة، فمنهم من يثبت سبع صفات، ومنهم من يثبت ثمان صفات، ومنهم من يزيد إلى أن يثبت خمسة عشر صفة، لكن جمهور الأشاعرة والذي استقر عليه هذا المذهب أنهم يثبتون سبع صفات، وينفون ما عداها، يثبتونها بالجملة، وأقول بالجملة؛ لأن من الصفات التي يثبتونها يثبتونها على خلاف منهج أهل السنة، كصفة الكلام، هم يثبتون في الجملة صفة الكلام، لكن حقيقة هذا الإثبات يخالف إثبات أهل السنة، وهذه الصفات السبع ما هي؟

الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام. جمهور الأشاعرة يثبتون هذه السبع صفات، وينفون ما عداها، يطلقون على هذه الصفات أيش؟ الصفات المعنوية أو صفات العقلية، يزعمون أن العقل أثبتها إضافة للسمع، وينفون ما عداها لزعمهم أن العقل لم يثبتها، فهم شاركوا الجهمية في جانب، وخالفوهم في جانب، وشاركوا المعتزلة في جانب، وخالفوهم في جانب، شاركوا المعتزلة والجهمية في نفي ما عدا هذه الصفات السبع، وهؤلاء هم رءوس أهل التعطيل، ما عدا هذه الصفات السبع، الجميع يتفق على نفيها.

خالفوا الجهمية في أيش؟ في إثبات الأسماء وإثبات هذه السبع صفات، وافقوا المعتزلة في أيش؟ في نفي ما عدا الصفات السبع، وإثبات الأسماء، المعتزلة يثبتون الأسماء، والأشاعرة يثبتون الأسماء، الأشاعرة ينفون ما عدا الصفات السبع، والمعتزلة ينفون جميع الصفات، وخالفوا المعتزلة في أيش؟ في إثبات هذه الصفات السبع، هذا مذهب الأشاعرة على وجه العموم، والذين توجه الرد عليهم في هذه الرسالة.

الشيخ –رحمه الله– ألفها –كما ذكر ذلك في نقض التأسيس– في جلسة أو في قعدة –كما قال– ما بين الظهر والعصر، وهذا يدل على سعة حفظ هذا الإمام –رحمه الله–؛ لأنكم سترون أنها مليئة بأيش؟ بالنقول، بل أحيانا يقارن بين النسخ، يقول: وردت في نسخة هذه العبارة، ووردت في نسخة أخرى العبارة الفلانية، وهو آية من آيات الله في هذا الجانب، وقد وصفه تلاميذه والعلماء الذين عاصروه وقرءوا عنه، بوصف ينبئ عن حدة ذكاء هذا الرجل الذي ما هو إلا سبب من الأسباب التي حفظ الله بها عقيدة هذه الأمة.

المحن التي واجهت الشيخ في تأليف الحموية

يقول -رحمه الله- في مطلع هذه الفتوى، سئل شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية، وليس هذا من كلامه -هذا من كلام الناسخ- وذلك في سنة ثمان وتسعين وستمائة، وجرى بسبب هذا الجواب أمور ومحن.

كما أسلفت أن من أوائل المعارك التي حصلت بينه وبين خصومه، بدأت بتأليف هذه الرسالة، وذكر هذه المحن أو جزءا من هذه المحن ابن كثير -رحمه الله- في "البداية والنهاية"، وابن عبد الهادي في "العقود الدرية"، وكثير ممن ترجم للشيخ يشير إلى المحنة التي حصلت له بسبب تأليف "الحموية"، والسبب يا أخوان في الابتلاء التي حصل لهذا الإمام بسبب تأليف هذه الرسالة، أنها نزلت كالصاعقة على أهل البدع، وذلك أن جمهور الأشاعرة مضى عليهم عشرات السنين وهم يرفعون لواء أيش؟ أهل السنة والجماعة، يزعمون أن هم أهل السنة والجماعة، وأنهم السد المنيع أمام المعتزلة وأمام الجهمية، ويطلقون على أهل السنة ألقابا: كالحشوية، والمجسمة.

وأصبح مطرد هذا عند الناس أن هؤلاء هم أهل السنة والجماعة، ومن هنا يكمن الخطر في هذا المذهب، أنه المذهب الوحيد الذي اشتهر بأنه هو مذهب أهل السنة والجماعة.

جاء الشيخ -رحمه الله- وأوضح للناس أن هذا المذهب مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة جملة وتفصلا، بل القواعد التي أسس عليها هذا المذهب هي القواعد التي انطلق منها المعتزلة، (العدو اللدود للأشاعرة)، فجن جنونهم، خاصة وأنه دعم هذه الرسالة بالنقول التي لا حصر لها، في بيان مذهب أهل السنة والجماعة المذهب الحق، وأنه مخالف لما عليه جمهور الأشاعرة، وأكثر من النقول عن الأئمة الأربعة، وأتباع الأئمة الأربعة، فكأنه يقول: إن كنت أيها الأشعري حنفيا، فهؤلاء أئمتك من الأحناف يخالفون ما تذهب إليه في الأصول، وإن كنت شافعيا فهؤلاء أئمتك يخالفون ما تذهب إليه في الأصول، وهكذا إن كنت حنبليا أو مالكيا، وإن كنت في السلوك من أهل التصوف، فهؤلاء المتقدمة من المتصوفين من الأئمة الذين تنتسب إليهم أيها الصوفي يخالفونك في هذه الأصول.

ولهذا بهتوا أمام هذه الرسالة، فما كان منهم إلا أن واجهوا الشيخ كما ذكر -رحمه الله-: أنهم لما عجزوا أن يسلكوا منهج أهل العلم بمقابلة الحجة بالحجة، والبرهان بالبرهان، لجئوا إلى طريقة أهل الظلم والبهتان، وهي قابلوه بالعداء، نشروا بين الناس السمعة السيئة، وأشاعوا أن هذا الرجل مجسد، وأنه مشبه، وأنه ممثل، وأنه يريد

.....

إفساد عقيدة العوام، وسعوا به إلى القضاة، وأغروا نفوس القضاة والسلطان عليه للوقيعة به، لكن الله ﷻ سلمه من ذلك.

ولم يقفوا عند هذا الحد، بل انبرى بعضهم وألف رسالة وهو أحمد القاضي الشافعي (أحمد بن جهبل الحلبي)، فألف رسالة للرد على شيخ الإسلام في هذه الفتوى، وهذه الرسالة ساقها السبكي في "طبقات الشافعية" كاملة، وطبعت مستقلة طبعة قديمة، وطبعت باسم "الحقائق الجلية في الرد على ابن تيمية فيما أورده في الفتوى الحموية". وهذا ليس من وضع المؤلف، بل من وضع الناشر كما نص على ذلك، ملأها بالكذب والافتراء والبهتان، وأشار الشيخ –رحمه الله– أو ألمح إلى هذا الرد.

ولعل كتابه –ذاك السفر العظيم المفقود– المسمى "الأجوبة المصرية على الاعتراضات الحموية" لعله في الرد على هذه الرسالة، لكن هذا الكتاب للأسف لا يزال مفقودا، وأشار هو إلى هذا الكتاب كثيرا، قال: وقد أجبنا عليه تفصيلا في جواب "الأجوبة المصرية على الاعتراضات في الفتوى الحموية"، ذكر ذلك في مقدمة "نقض التأسيس"، وأشار إليه تلميذه ابن عبد الهادي وابن القيم، وذكر ابن القيم أن حجمه قريب من حجم "درء تعارض العقل والنقل"، و"منهاج السنة"، فالكتاب ضخم، والشيخ –رحمه الله– ألف "نقض التأسيس" تكملة لهذا الكتاب الكبير، فألف أولا "جواب الاعتراضات المصرية"، ثم أكمله "بنقض التأسيس في الرد على الرازي في أساس التقديس".

مقدمة المؤلف في نصوص الصفات

يقول: وهو جواب عظيم النفع جدا، فقال السائل إلى الآن ما بدأ كلام الشيخ، كل هذا كلام الناسخ : ما قولكم في آيات الصفات كقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ ﴾[2] إلى غير ذلك من آيات وأحاديث الصفات كقوله ﷺ إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن وقوله: يضع الجبار قدمه في النار إلى غير ذلك من الأحاديث، وما قالت العلماء، وابسطوا في ذلك القول مأجورين إن شاء الله. فأجاب.

يلاحظ أن السؤال في أيش؟ حول نصوص الصفات، فالآية الأولى في صفة الاستواء، الآية الثانية في صفة .. في صفة ماذا؟ العلو، ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾[3] **يقول ابن القيم: أجمع السلف على أن معنى** ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾[4] **معناه: علا وارتفع.**

الحديث الثالث: إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن **الحديث رواه مسلم، أيضا إثبات صفة خبرية ثبتت بصحيح السنة إثبات أيش؟ الأصابع لله ﷻ وسيأتي الكلام على هذه الأحاديث وهذه النصوص.**

الصفة الرابعة: القدم. وهذا حديث: يضع الجبار قدمه في النار **في الصحيحين، ليس المقصود لذات الصفات التي وردت في هذه النصوص، إنما المقصود جنس هذه النصوص، ما قول العلماء؟ ما مذهب السلف؟ ما القول الحق فيها؟ فأجاب –رحمه الله–:**

---

١ – سورة طه آية : ٥.

٢ – سورة فصلت آية : ١١.

٣ – سورة البقرة آية : ٢٩.

٤ – سورة البقرة آية : ٢٩.

الحمد لله رب العالمين

، وكثيرا –رحمه الله– ما يبدأ أجوبته بالحمدلة، وذلك للحديث الحسن الذي في سنن أبي داود: ﴿ كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أبتر ﴾ ولأنه –عليه الصلاة والسلام– كما في خطبة الحاجة، يبدأ دائما بالحمد لله.

قولنا: فيها ما قاله الله ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء، الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم.

يقول: القول في هذه الصفات وفي هذه النصوص، قولنا هو ما قاله الله ورسوله، وما قاله سلف الأمة ممن تلقوا هذه النصوص عن الرسول ﷺ ليس لنا فيها قول آخر

هذا الآن جواب مجمل، وسيمهد الشيخ قبل أن يبدأ في تفصيل هذا الجواب إلى إيضاح هذه القاعدة العامة: أن الإنسان يجب عليه أن ينطلق في هذا الباب من أيش؟ من كلام الله وكلام رسوله، وسيذكر أنه لا مجال للاجتهاد ولا مجال للقياس في هذا الباب، ما قاله، وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، وقول الأئمة في هذا الباب هل يخرج عن نصوص الكتاب والسنة؟

الجواب: لا. طيب ما فائدة رجوعنا إلى كلام الأئمة؟ لماذا الشيخ ما قال: الكلام في هذا الباب، أو القول في هذا الباب ما قاله الله ورسوله؟ أكد على قضية ما قاله الله ورسوله والسابقون الأولون، وما قاله أئمة الهدى.

نعم ... أحسنت، باب العقائد معاشر الأخوة المصدر فيه عند أهل السنة والجماعة الكتاب والسنة لا ثالث لهما، طيب إذن ما فائدة الإجماع؟ ما فائدة أحيانا دلالة العقل؟ نلاحظ أن أهل السنة يستدلون على مسائل في العقائد بأيش؟ بالعقل، وأحيانا بالفطرة، ما فائدة هذه الأدلة؟ هذه الأدلة يستفاد منها في جانبين:

الجانب الأول: لضبط الفهم، فكثير من أهل البدع يزعم أنه يستدل على بدعة بأيش؟ بنصوص الكتاب والسنة، ولهذا كل يدعي وصلا بليلى، لكن لا بد من ضبط هذه النصوص وفق فهم السلف –رحمهم الله–؛ لأنهم هم الذين عاصروا الوحي، وهم أعلم الناس بمفهوم قول الله وقول الرسول –صلى الله عليه وسلم–؛ ولهذا ينبغي ويجب أن تضبط نصوص الكتاب والسنة وفق فهم السلف، لا يأتي كل إنسان ويتخبط ويقول: لا، مفهوم الآية هذه تلك، ومفهوم هذا الحديث هذا الأمر، وهذا هو الذي أوقع أهل الضلالة وأهل الانحراف، أنهم اعتمدوا على أيش؟ على أفهامهم، نعم يستدلون أحيانا بنصوص من القرآن، يستدلون أحيانا بنصوص من السنة، لكن وفق مفهوم من؟ وفق عقولهم، لا، أهل السنة يقولون: ينبغي أن تضبط نصوص أهل الكتاب والسنة بفهم السلف، هذه الفائدة الأولى لإجماع السلف في هذا الباب.

الفائدة الثانية: زيادة التأكيد. الآن أي قضية من القضايا تثبت عندنا بشهادة كم؟ بشهادة عدلين، طيب لو جاءنا في المسألة أربعة شهود، لكن هل أصل المسألة وأصل القضية متوقف على ورود هؤلاء الأربعة؟ لا؛ ولهذا

.....

أصل القضية تثبت بشهادة عدلين، فعندنا المسألة ثبتت بالكتاب والسنة، لكن مجيء الإجماع، مجيء دلالة الفطرة، ودلالة العقل زيادة في أيش؟ في التأكيد، ولهذا يوردها أهل السنة.

مثال: لو حصلت عندنا جريمة، فجاء شاهدان وشهدا بوقوع هذه الجريمة وأنها وقعت من فلان، ثبتت الآن ولّا ما ثبتت؟ ثبتت، لو وجدت عندنا صور قرائن، تثبت هذه الجريمة، أليس هذا فيه زيادة تأكيد؟ نقول: قرائن يستأنس بها، لكن لا تثبت بها أصل الجريمة، واضح، كذلك عندنا الإجماع، ودلالة العقل، ودلالة الفطرة، فالشيخ هنا يؤكد على أنه لا بد من الكتاب والسنة، وقول سلف الأمة، الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، نعم الأئمة الأربعة، السفيانان، الحمادان، الزهري، وبقية هؤلاء الأئمة الذين .. أيش؟ استفاض بين الناس، الأمة تناقلت هذا قرنا عن قرن، جيلا عن جيل، أنهم أمة الهدى، أجمع المسلمون على عدالتهم ودرايتهم، وأن قولهم في هذا الباب قول يعتبر حجة، وهذا هو الواجب.

الآن الشيخ بدأ في جملة اعتراضية؛ ليبين الأصل في هذا الباب أن ينطلق من الكتاب والسنة ومن إجماع السلف.

يقول: وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وغيره

أي باب؟ باب العقائد، وما يتعلق بالله ﷻ من باب أولى، كمسألة الأسماء والصفات، لماذا؟ لماذا لم يتوسع في باب العقائد فيستخدم في الاجتهاد، في القياس، كما عمل في مسائل الفروع، أو المسائل العملية (مسائل الفقه)، لماذا؟

نعم؛ لأن أمور العقائد أمور قائمة على الغيب، فلا مجال للقياس والاجتهاد، أن تقيس وتجتهد في أمور مشاهدة، وأمور محسوسة أمور منظورة، لكن هذه أمور غيبية، فلا يجوز القياس فيها والاجتهاد، أيضا القياس والاجتهاد نحتاج إليه متى؟ إذا جدت مسائل نازلة، لجأ العلماء إلى أيش؟ إلى الاجتهاد والقياس، أما المسائل التي ورد فيها النص بالكتاب والسنة فلا حاجة للقياس والاجتهاد؛ ولهذا مسائل الفروع (المسائل الفقهية) كلما جدت نازلة، كلما حدثت حادثة بحث العلماء عن دليل عليها نص في الكتاب أو في السنة، بعد ذلك إذا لم يجدوا أيش؟ اجتهدوا وقاسوا، لكن أمور العقائد محكمة لا يمكن أن يجد فيها مسألة، بل اتفقت الشرائع، اتفق الأنبياء، اتفقت الكتب المنزلة على أصول العقائد، فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ ولهذا النسخ يمكن أن يدخل في الأحكام، يشرع الله ﷻ هذا الأمر، هذا الحكم، ثم ينسخه بحكم آخر، أما أمور العقائد فلا، لا يدخلها النسخ؛ لأنها أمور قائمة على الخبر، على الغيب، فلا يدخلها النسخ.

يقول: وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وغيره، الواجب في باب العقائد، وحتى في باب الأحكام، في المسائل العملية يجب عليهم أن يصبروا ويردوا على قول الله وقول الرسول، وقول سلف الأمة، فإن الله بعث محمدا ﷺ بالهدى ودين والحق، هذا هو التعليل، لماذا نقتصر على الكتاب والسنة، وعلى ما قاله سلف الأمة.

يقول: فإن الله بعث محمدا بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، وشهد له بأنه بعثه داعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا، وأمره أن يقول: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾[1] فمن المحال في العقل والدين، من المحال بالعقل والشرع أن يكون السراج المنير

لاحظوا عدة صفات يريد أن يؤكد الشيخ –رحمه الله– بها على أنه يستحيل أن يكون النبي ﷺ أهمل جانب الاعتقاد، أو قصر في جانب الاعتقاد، فاحتجنا معه إلى رأي فلان أو علان، احتجنا معه إلى رأي الغزالي، إلى رأي أبي حامد الغزالي أو رأي الرازي، أو رأي الجويني، أو رأي .. أيا كان، الشيخ يقول: يستحيل أن يكون النبي ﷺ ترك شيئا من باب العقائد يحتاج إلى أيش؟ إلى بيان، لماذا؟

ذكر عدة أسباب .

---

١ – سورة يوسف آية : ١٠٨.

يقول: فمن المحال في العقل والدين، أن يكون السراج المنير -هذا التعليل الأول- الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور -هذا التعليل الثاني-، وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه - هذا الثالث-، وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة -هذا هو الرابع-، وهو يدعو إلى الله إلى سبيله بإذنه على بصيرة - هذا الخامس -، وقد أخبر أنه أكمل له ولأمته دينهم وأتم عليهم نعمته.

هذه ستة، ستة أسباب ذكرها الشيخ يستحيل معها أن يكون الرسول ﷺ ترك باب الإيمان بالله مهملا لم يبينه ولم يوضحه.

الأول: أن يكون السراج المنير، الله ﷻ وصفه بأيش؟ بأنه سراج منير في قوله: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾[1] **عفوا نعم:** ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦ ﴾[2] **فكون السراج بمعنى أن الأمة تستضيء بنوره، فكيف تستضيء الأمة بنوره في آداب قضاء الحاجة، في آداب النوم، في آداب الأكل، في آداب النكاح، ولا تستضيء بنوره في أيش؟ في باب العقائد، هل يقول هذا عاقل؟ هذا الأمر الأول.**

"الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور". أخرجهم من الظلمات إلى النور، من ظلمات أيش؟ كما ذكر المفسرون: من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، وهذا يستلزم أن يكون قد أحكم باب الاعتقاد، معاشر الأخوة، الآن الشيخ يؤسس يقعد هذه قواعد عامة، ينبغي على المؤمن قبل الدخول في تفاصيل أحكام العقيدة

---

١ - سورة الفرقان آية : ١.

٢ - سورة الأحزاب آية : ٤٦.

.....

أن يؤسس نفسه في هذه القواعد؛ لأن هذه أسس وقواعد إذا فهمها الإنسان وأدركها، سهل عليه بقية مسائل الاعتقاد، بقية مسائل الاعتقاد هي تطبيق على هذه القواعد، إذن كونه السراج المنير، وكونه الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور.

الأمر الثالث: وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، في قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[1] **فالله ﷻ أمرنا أن نتحاكم إليه، فإذا كنا نتحاكم إليه –عليه الصلاة والسلام– في المسائل العملية: في مسائل الصلاة، في مسائل الصيام، في مسائل الحج، بل حتى في المعاملات: في البيع، والشراء، والنكاح، فمن باب أولى أن نتحاكم إليه في أيش؟ في باب العقائد التي هي متوقفة أصلا على كلامه ﷺ .**

نعم، ﴿ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ ﴾[2] **كون هذا الكتاب الذي جاء به –عليه الصلاة والسلام– حكما فصلا بين الناس، فهو في باب العقائد من باب أولى أن يحكم ويفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه في باب العقائد، كذلك أمرنا أن نرجع إليه عند التنازع، فإذا تنازعنا واختلفنا في مسألة عقدية، فالواجب أن نرجع إليه مباشرة، وأولى من رجوعنا إليه في أحكام البيع والشراء، واضح؟**

"وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة". وأولى ما يدعو إليه أي شيء؟ النبي ﷺ أول ما يدعو إليه الناس إلى أي شيء؟ إلى أصول الاعتقاد؛ ولهذا مكث في مكة أكثر من نصف الدعوة، مكث ثلاثة عشر سنة يدعو الناس إلى أيش؟ إلى لا إله إلا الله، إلى أصول الاعتقاد، يؤسس في نفوس الناس هذه العقيدة، لما فهموها وأدركوها، وتشبعت نفوسهم وقلوبهم منها، هاجر إلى المدينة وبدأ في تفاصيل أحكام الشرع، وقد أخبر أنه أكمل له ولأمته دينهم وأتم عليهم نعمته، وذلك في قوله: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ

---

١ – سورة النساء آية : ٥٩.

٢ – سورة البقرة آية : ٢١٣.

.....

لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[1] **سبحان الله! هل يقول عاقل أن النبي ﷺ أكمل للأمة دينها، لكن باب العقائد تركه ملتبس ومشتبه؟!**

إذا كان ترك باب العقائد ملتبس ومشتبه فماذا أكمل؟ ماذا أكمل؟ أهم باب أهم شيء جاء به النبي ﷺ ما هو؟ باب العقائد، إذن فنحن نعتقد اعتقادا جازما أن النبي ﷺ أكمل للأمة دينها، أصولا وفروعا؛ ولهذا تقول عائشة –رضي الله عنها–: 🕮 من زعم أن النبي ﷺ كتم آية، فقد زعم أن الرسول خان الرسالة 🕮 وهذا لا يقوله مسلم، ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ﴾[2] **ولهذا تقول –رضي الله عنها–: 🕮 لو كان كاتما لشيء من القرآن لكتم –أيش؟– قصته مع زيد 🕮 قصة من خاصة خصوصياته –عليه الصلاة والسلام–، لكن لما كانت وحيا من السماء بلغها للناس، تتلى إلى يوم القيامة، فهل يمكن وهل يقول عاقل أنه ترك شيئا من باب العقيدة ملتبسا مشتبها على الناس؟**

---

١ – سورة المائدة آية : ٣.

٢ – سورة المائدة آية : ٦٧.

صفات الله ﷻ ما يجب له منها وما يجوز وما يمتنع

يقول الشيخ بعد هذه المقدمة: محال مع هذا وغيره –محال أن يكون هذا السراج المنير، هذا الذي أخرج الأمة من الظلمات إلى النور– أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبسا مشتبها، فلم يميز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العلا، وما يجوز عليه وما يمتنع عليه.

هذه المسألة التي مدار النقاش في هذه الرسالة صفات الله ﷻ ما يجب لله مثل، ما يجب لله من الصفات، كصفات الكمال: الحياة العلم، القدرة، الإرادة، السمع، البصر، العلو، هذه تجب لله، وما يجوز عليه، مثل صفات الفعل: كالمجيء، النزول، الاستواء، هذه جائزة، يجوز أن يتصف بها، ويجوز ألا يتصف بها، لكن لما ثبت النص بإثباتها أثبتناه، ولّا لا، وما يمتنع عليه، ما هو الشيء الممتنع عليه؟ صفات النقص، مثل: النوم، الظلم، التعب، ونحو ذلك، كل صفة نقص فهي ممتنعة عليه سبحانه وتعالى.

فإن معرفة هذا أصل الدين

معرفة ماذا؟ باب العقائد، أصل الدين لأن الدين ينقسم إلى قسمين: أعمال ظاهرة، تمثلها أركان الإسلام الخمسة، وأعمال باطنة، يمثلها ماذا؟ أركان الإيمان، أصول الإيمان الستة، جاءت مجتمعة في حديث جبريل المشهور كما في الصحيحين، قال النبي ﷺ في آخر الحديث: ﴿ هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم ﴾ الدين يشتمل هذا الأمر، وأمور العقائد هي الأصل، وهي الأساس، فهل تنفع الأعمال الظاهرة والباطن فاسد؟ فلو جاءنا إنسان يصلي ويصوم ويحج ويجاهد ويتصدق، لكنه لا يؤمن بالله، ولا بالملائكة، ولا بالكتب، ولا بالرسل، هل ينتفع؟ هذه حال المنافقين، الذين هم في الدرك الأسفل من النار، والأعمال الظاهرة أركان الإسلام دليل على صحة هذا الأمر، الذي هو الباطن، الذي هو الأصل؛ ولهذا يقول الشيخ: فإن معرفة هذا أصل الدين، فالدين قائم على هذا الأساس.

الأعمال الظاهرة، الأعمال التي نسميها الأعمال العملية، ويسميها الفقهاء الفروع، هي كالبناء الظاهر، أما العقائد فهي القواعد والأسس والأصول.

فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية؛ لأنه لا يمكن أن يكون الإنسان مهتديا وهو منحرف في مسألة من مسائل الاعتقاد، فأصل الهداية وأساس الهداية، أن يكون الإنسان في عقيدته على وفق ما جاء عن الله وعن رسوله، هذه هي الهداية الحقة، نعم كونه يقصر في بعض الأعمال الظاهرة، هذا نقول أنه مقصر، مرتكب لكبيرة، مرتكب لذنب، لكن كون المعتقد عنده صحيحا فهذا مهتد، فهو أساس الهداية هذه العقيدة، وأفضل ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول، أفضل شيء اكتسبته القلوب، وحصلته النفوس، وأدركته العقول، هو الإيمان بالله ﷻ وذلك أن الإنسان يرتقي في درجات العلم والمعرفة والهداية بقدر أيش؟ بقدر معرفته بالله ﷻ بل حتى ارتقاء في درجة العبودية لله ﷻ فكلما كان بالله أعرف، كان له أعبد وأخوف وأتقى؛ ولهذا أتقى الخلق قاطبة من؟ النبي ﷺ فقد قال في صحيح البخاري: ﴿ والله إني لأعلمكم بالله وأتقاكم لله ﴾

.....

فهذه التقوى وهذه العبادة فرع عن أيش؟ عن هذا العلم ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾[1] **يعني الله ﷻ يقول: لا يمكن أن نترك هذا الإنسان بلا تكليف، ليش؟ هذا يتنافى مع الصفات الحقة لله ﷻ إذا كان الله متصفا بصفات الكمال، فلا بد أن يكلف هذا العبد بهذه العبودية، إذن فأعظم شيء حصلته هذه النفوس وهذه القلوب هي معرفة الله ﷻ وبقدر هذا النور في هذا القلب الذي حصل بسبب هذه المعرفة، بقدر هذا الأمر، يكون الإنسان عابدا لله ﷻ حقا؛ ولهذا أكثر الناس عبودية لله، وأكثر الناس خشية لله، وأكثر الناس خوفا من الله هم الأنبياء، ثم الذين يلونهم، أصحاب النبي ﷺ هم أعظم الناس عبودية لله ﷻ من هذه الأمة، والسبب أنهم أعرف الناس بالله ﷻ .**

يقول: فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول، وأفضل خلق الله بعد النبيين من هؤلاء؟ أصحاب النبي ﷺ هذه عقيدة أهل السنة والجماعة: أن أفضل الناس بعد النبيين هم أصحاب النبي ﷺ هذه العصبة المباركة، الذين اصطفاهم الله واختارهم لصحبة أفضل وأحب الخلق إليه المصطفى –عليه الصلاة والسلام–، فهم أفضل من حواري عيسى، وأفضل من أصحاب موسى، وأفضل من أتباع نوح وأتباع إبراهيم، رضي الله عنهم وأرضاهم.

---

١ – سورة المؤمنون آية : ١١٥-١١٦.

يقول: فيكيف يكون ذلك الكتاب الذي هو القرآن، وذلك الرسول الذي هو أفضل الرسل، الذي أكمل لأمته الدين، وأفضل خلق الله بعد النبيين الذين هم أصحابه -رضي الله عنهم- لم يحكموا هذا الباب اعتقادا وقولا؟

اعتقاد بمعنى العلم، والقول أنهم تكلموا وبينوا للناس أمور العقيدة، يقول: ومن المحال أيضا أن يكون النبي ﷺ علم أمته كل شيء الخرءة، أو الخراءة، وهذا ثبت في حديث سلمان رضي الله عنه عندما سأله اليهودي: علمكم نبيكم كل شيء؟ قال: نعم، قال: حتى الخراءة، قال: نعم، علمنا كل شيء حتى الخراءة، علمنا آداب قضاء الحاجة، فأمرنا ألا نستقبل القبلة ببول ولا غائط، وأمرنا ألا نستنجي باليمين، أو نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار ... إلى آخره، فالنبي ﷺ علم أمته حتى قضاء الحاجة.

الشيخ يقول: هذا الرسول الذي علم أمته حتى آداب قضاء الحاجة، وقال -عليه الصلاة والسلام-: 📖 تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك 📖 وهذا الحديث رواه ابن ماجة، والإمام أحمد، وهو حديث صحيح، وقال فيما صح عنه أيضا: 📖 ما بعث الله من نبي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم 📖 والحديث هذا أخرجه مسلم، وقال أبو ذر ﷺ 📖 لقد توفي رسول الله ﷺ وما من طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما 📖 وهذا الحديث رواه الإمام أحمد بسند صحيح، وقال عمر بن الخطاب ﷺ 📖 قام فينا رسول الله ﷺ مقاما، فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه 📖 رواه البخاري ومسلم.

هذه الأحاديث والنصوص التي أوردها الشيخ للدلالة على ماذا؟ أن النبي ﷺ أكمل هذا الدين وأحكمه أصولا وفروعا، علما واعتقادا، قولا وفعلا.

يقول: محال مع تعليله كل شيء لهم فيه منفعة في الدين وإن دقت أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم، ويعتقدونه بقلوبهم في ربهم ومعبودهم رب العالمين.

يستحيل أنه يحكم لهم هذا الباب ويترك هذا الباب، هذا لا يقوله عاقل، فضلا أن يقوله مسلم يفهم ويعقل ما يقول، الذي معرفته وغاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، إذا كانت معرفة الله ﷻ هي منتهى المعارف، نهاية المعارف، نهاية ما يعلمه الإنسان، أفضل ما يعلمه الإنسان أيش؟ أن يتعلم ما يتعلق بربه ومعبوده، وعبادته التي هي فرع عن أيش؟ عن معرفته؛ لأنه مهما يكن الإنسان لا يمكن أن يعبد الله حقا العبودية وهو جاهل به، وسبق قلنا: إن الإنسان كلما كان بالله أعرف كان له أعبد، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، يقول: بل هذه خلاصة الدعوة النبوية، وزبدة الرسالة الإلهية، دعوة الناس إلى معرفة الله ﷻ ما يجب له وما يجوز عليه، وما يمتنع عليه، هذه هي أيش؟ هذه خلاصة دعوة النبي ﷺ هذه هي زبدة دعوة النبي ﷺ فكيف يمكن للنبي ﷺ أن يعلم الناس الحواشي، ويترك الأصول، كل هذا الكلام يريد الشيخ أن يقعد به لما بعده، للرد على هؤلاء، الذين تركوا كلام الله وكلام رسوله في هذا الباب جانبا، واعتمدوا على عقولهم، اعتمدوا على قول الرازي، على قول الجويني، على قول ابن سينا، على قول الفارابي، وتركوا الكتاب والسنة.

يقول: بل هذه خلاصة الدعوة النبوية، وزبدة الرسالة الإلهية، فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة -أي: بقية- من إيمان وحكمة، ألا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول ﷺ على غاية التمام؟!

بمعنى أنه لم يترك في باب العقائد شاردة ولا واردة إلا بينها، وبلغها أصحابه إلينا غضة طرية كما تلقوها، من غير تحريف ولا تبديل، إذا كان قد وقع ذلك منه، فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب، زائدين فيه أو ناقصين.

الشيخ يقول الآن: أنت سلمت معي أن النبي ﷺ لا يمكن أن يترك شيئا من باب العقائد دون أيش؟ أن يوضحها ويبينها للناس، طيب، ربما يقول إنسان: نعم النبي ﷺ بينها، لكن ما وصل إلينا هذا البيان، وهذا لا يقوله من؟ أبرز من يقول هذا الكلام يقولونه بلسان حالهم، وقد يقولونه بلسان مقالهم، من يا أخوان؟

نعم، الرافضة، الذين يطعنون في جمهور الصحابة، هم يزعمون أن الصحابة جمهور الصحابة ضلوا بعد النبي ﷺ وانحرفوا وغيروا وبدلوا، بل منهم من زعم أنهم كفروا وارتدوا، طيب، من الذي نقل لنا هذا الدين عن النبي -صلى الله عليه وسلم-؟ هم هؤلاء، فإذا طعن فيهم فقد طعن في أصل هذا الشرع، فقد يقول قائل: نعم النبي ﷺ بين هذا الأمر، لكنه ما وصل إلينا؛ ولهذا سنلجأ إلى عقولنا، الشيخ أراد أن يرد على هذا الاحتمال الذي ربما يرد لبعض الناس.

قال: إذا كان قد وقع ذلك منهم، ما هو؟ دائما يا إخوان، خذها قاعدة عامة في كلام شيخ الإسلام: من أراد أن يفهم كلامه فليفهم فقط الضمائر، هو الشيخ -رحمه الله- سعة علمه تكثر عنده الجمل الاعتراضية، ويكثر عنده الضمائر، إنسان عقله -رحمه الله- أشبه بالكمبيوتر، فهو يحيل بالضمائر، ويحيل على مسائل تقدمت، فإذا فهم الإنسان هذه الضمائر، سهل عليه فهم كلام الشيخ، في كل كلامه، افهم هذه الضمائر على ماذا تعود، ويسهل عليك فهمها، فقوله: فإذا كان قد وقع ذلك منه، ذلك أيش؟ باب العقائد، منه: من النبي ﷺ يعني هو بين باب العقائد، أوضح باب العقائد، فصل في باب العقائد، يقول: فمن المحال أن يكون خير أمته، ومن

.....

هؤلاء؟ أصحابه، هذا بإجماع المسلمين، لقول النبي ﷺ في حديث عمران بن حصين كما في صحيح البخاري: ﴿ خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ﴾ وللأحاديث الكثيرة التي جاءت في الثناء على أصحابه، والإمساك عما شجر ووقع منهم؛ لئلا يقع في النفس عليهم شيء، ولقوله كما في الصحيحين: ﴿ لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ﴾

لو جاء إنسان بعد زمن الصحابة، لو جاء من التابعين، من كبار التابعين وأنفق مثل جبل أحد ذهبا، هذا الجبل العظيم الذي يراه الإنسان في أي مكان من المدينة، أنفقه ذهب في سبيل الله، ما بلغ في الأجر والفضل عند الله كنفقة أحد الصحابة مثل هذا الكأس، مد أو نصف مد من تمر، أو أقط، أو شعير؛ ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنه ﴿ لمقام أحدهم مع رسول الله تغبر فيه قدماه، يعني مقام أحد أصحاب النبي ﷺ تغبر قدماه في هذا الموقف، خير من عبادة أحدكم لو عمر عمر نوح ﴾ إذن هذا الفضل وهذا الشرف لا يمكن أن يبلغه إنسان، كيف يكون هؤلاء الذين هم خير هذه الأمة، وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب؟ هل يقول هذا عاقل؟ زائدين فيه، أو ناقصين عنه، لا يمكن، وسيوضح الشيخ –رحمه الله– استحالة هذا الأمر في الأسطر الباقية، وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

إن شاء الله سنستمر على أن الدرس ينتهي في حدود عشرة، ونبقى في حدود عشر دقائق إلى سبع دقائق للإجابة على بعض الأسئلة المتعلقة بالموضوع. نعم.

س: أحسن الله إليكم يا شيخ، هذا سؤال يقول: هل يوجد شروح للحموية؟ وما صحة الشرح الموجود الآن في بعض المكاتب؟

ج: أنا لا أعرف للحموية الآن شرحا مطبوعا، سوى ما كتبه فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين –رحمة الله عليه– "فتح رب البرية" وهو ليس بشرح، إنما صنع –رحمه الله– في الحموية كما صنع مع التدمرية، أخذ المفهوم العام للحموية وصاغه بأسلوبه؛ ولهذا قسمه هذه التقسيمات المعروفة. نعم.

س: أحسن الله إليكم، نرجو من فضيلتكم بيان من المشايخ الذين تعلم على أيديهم شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى–، والله يحفظكم.

ج: هناك ذكر من ترجم للشيخ مجموعة من المشايخ الذين تتلمذ عليهم، ومن أبرز هؤلاء والده، فإنه تتلمذ عليه، وخلفه في درسه في المدرسة السكرية، ووالده كان من كبار أئمة الحنابلة، وكذلك جده من؟ أبو البركات صاحب المنتقى الذي شرحه الشوكاني –رحمه الله–، فالشيخ نشأ في أسرة علم، فوالده وجده، ووالد جده،

.....

وأيضا إحدى جداته التي يقال أن تيمية هذه اسمها وتنسب هذه الأسرة لها، أنها كانت أيضا طالبة علم، فهو نشأ في هذه الأسرة المباركة، وتتلمذ على يد والده وجده، وحفظ القرآن وعمره عشر سنوات، وجلس للتدريس وعمره قرابة عشرين سنة، جلس في المدرسة السكرية، من الذي يحضرها؟ كان يحضرها كبار القضاة والأئمة – رحمه الله–، نعم.

ويقول ابن كثير: إنني حضرت هذا الدرس، الدرس الأول، ودونت الفوائد والملح التي قالها في هذا الدرس، وقد تعجب الناس منه؛ لأنه أول درس يخلف والده فيه. نعم.

هذا هو الذي يحضرني الآن من شيوخه، وذكر من ترجم له من شيوخه، ويعتبر أيضا من أقرانه المذي –رحمه الله– صاحب "تهذيب الكمال".

س: أحسن الله إليكم، ما هي "الفتاوى المصرية"؟ وهل هي لشيخ الإسلام؟

ج: هناك مختصر الفتاوى المصرية، نعم للشيخ، لكن قد يستغرب الإنسان أن عليها مسحة المذهب الحنبلي، قال بعض العلماء: ربما ألفها في أول حياته لما كان متأثر كثيرا بمذهبه المذهب الحنبلي، لكنه معروف أنه فيما بعد تجرد، وصار له اختيارات خالف فيها أصحاب المذاهب الأربعة. نعم.

س: أحسن الله إليكم، ما مدى انتشار مذهب الأشاعرة في العالم الإسلامي في هذا الزمان؟

ج: أما على وجه العموم بين العامة، فلا نقول: أن مذهب العامة مذهب الأشاعرة، الأصل كما ذكر الأئمة والعلماء الأصل في الناس، في عوام الناس أيش؟ صحة المعتقد، سلامة المعتقد، يبقى عندنا الخاص، والكتب التي تدرس في الجامعات وفي الدروس لا شك أن مذهب الأشاعرة منتشر، وعلى نطاق واسع، لكن مما ساعد في انتشاره أن الناس لجهلهم يعتقدون أن هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة؛ ولهذا ناقشنا وناظرنا بعض هؤلاء المحققين لما قدموا هنا، أو التقينا بهم خارج هذه البلاد، لما ناظرناهم في بعض مسائل العقيدة، وقلنا: إن هذا خلاف مذهب أهل السنة، وهذا مذهب الأشاعرة، قالوا: والله لقد نشأنا وتربينا وترعرعنا على أن هذه عقيدة أهل السنة؛ ولهذا رجع بعضهم، نعم. فمثلا "جوهرة التوحيد" التي تدرس على نطاق واسع في العالم الإسلامي هي على مذهب الأشاعرة. نعم.

س: أحسن الله إليكم، يقول: هل يصح تكفير الأشاعرة، رغم وجود علماء فيهم لوثة من هذا المذهب؟

ج: الصحيح لا يجوز تكفير الأشاعرة، بل حتى ولا المعتزلة، شيخ الإسلام يقول: أجمع العلماء على عدم تكفير الثلاث وسبعين فرقة، وإنما الذين كفرهم العلماء من هذه الطوائف خاصة من المعطلة، هم الجهمية الغلاة، الذين قال ابن القيم فيهم:

.....

يعني كفرهم أكثر من خمسمائة، وذكر جزءا منهم الإمام اللالكائي –رحمه الله– في كتابه "شرح أصول اعتقاد أهل السنة"، أما الأشاعرة فلا يجوز تكفيرهم، ولم يقل أحد من العلماء أنهم كفار، بل هم أقرب طوائف المعطلة لأهل السنة، نعم، لكن لا يعني هذا، هم أهل بدع، مذهبهم مذهب ضال، مذهب منحرف، خالفوا فيه نصوص الكتاب والسنة. نعم.

س: أحسن الله إليكم، يقول هذا السائل: ما حكم من خرج عن السنة؟

ج: السؤال عام، كيف ما حكم من خرج عن السنة؟ من خرج عن السنة، خالف السنة التي هي في مقابل القرآن، فلا شك أن هذا لا يصح له دين؛ ولهذا قال ابن حزم: قل لي بربك من اقتصر على القرآن كم ستصلي؟ ستكتفي بركعة أول النهار وركعة آخر النهار، ويصدق عليك أنك صليت، وكم ستخرج من الزكاة؟ لأن هذه كلها ما وردت في القرآن، أما إن أراد أنه يخالف السنة التي هي في مقابل الواجب، فلا شك أن اتباع السنة من الأمور التي ينبغي للمؤمن أن يلتزمها، والمداومة على مخالفتها باب خطر؛ ولهذا قال الإمام أحمد: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[1]

مخالفة هدي النبي ﷺ فالواجب على المسلم أن يقتفي أثر النبي ﷺ في كل شيء، كما كان الصحابة –رضي الله عنهم– حتى أحيانا في الأمور المباحة؛ ولهذا لما قال لهم في تأبير النخل، أتى إلى المدينة لما هاجر إلى المدينة وجدهم يؤبرون النخل، معروف أن أهل مكة ليسوا أهل زراعة، البلد ليست بلد زراعية، وأهل المدينة أهل زراعة، والنبي ﷺ لا يعرف شيئا عن الزراعة، رآهم يؤبرون يلقحون النخل، فقال: لو تركتم تأبير النخل، فهم مباشرة سلموا لأمره، علما بأنهم يعلمون علم اليقين أن هذا سيترتب عليه أيش؟ فساد هذه الثمار، لكن، سمعنا وأطعنا. لما فسدت ثمار المدينة تلك السنة، جاءوا النبي ﷺ يشتكون، قالوا: فسدت ثمارنا، ما السبب؟ قالوا: تركنا التأبير، لماذا تركتم التأبير؟ قالوا: قلت لنا، قال: إذن أنتم أعلم بأمور دنياكم إذا كان هذا في الأمور العادية، في الأمور المباحة، فما الظن بجانب العبادة، نعم.

---

١ – سورة النور آية : ٦٣.

.....

س: أحسن الله إليكم، يقول هذا السائل: هل يمكن أن نقول: إن هناك فائدة ثالثة لإيراد أهل السنة لأقوال السلف في كتبهم وهي بيان أنهم متبعون لا مبتدعون، وليسوا بدعا من العلماء؟

ج: نعم وهذه داخلة في الفائدة الأولى، فكوننا نلتزم منهج السلف في فهم الكتاب والسنة، بمعنى أنهم ملتزمون بدلالة الكتاب والسنة، ولهذا قلنا: إن أقوالهم لا تخرج عن دلالة الكتاب والسنة، يستحيل أن تخرج عن دلالة الكتاب والسنة في هذا الباب، لكن كيف فهموا هذا النص، يجب علينا أن نفهمه كما فهمه هؤلاء، وإلا أن نفاة صفة اليدين يستدلون بقول الله ﷻ ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾[1] لكن يقولون: معنى اليد القدرة، أو معنى اليد الإرادة، نحن نقول: لا هذا خطأ، اليد هي الصفة الحقيقية لله ﷻ دليلكم؟ هذا دليلنا قول الله ﷻ كيف فهمت هذا؟ فهمناه وفقه ما فهمه السلف –رحمهم الله–، فهموا من هذا النص أنه دليل على هذه الصفة، قول الله ﷻ ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾[2] هم يقولون معناه: ثم استوى على الملك، أو ثم استولى على العرش، نقول هذا فهم خاطئ، فهم يستدلون بهذه الآية، نحن نقول نستدل بهذه الآية على إثبات صفة الاستواء، كيف فهمتم ذلك؟ لأن السلف –رحمهم الله– فسروا الاستواء بأنه العلو والارتفاع، نعم.

س: أحسن الله إليكم، يقول السائل: ذكرت أن الأشاعرة ينفون ما عدا الصفات السبع، فهل ينفون بقية الصفات أو يؤولونها؟ أرجو التوضيح.

ج: هذا جمهور الأشاعرة قلنا: إنهم ينفون ما عدا الصفات السبع، لكن هذا النفي هم يسمونه تأويلا، ومنهم طائفة تسميه تفويضا؛ ولهذا الشيخ سيذكر أن أقسام الناس تجاه هذه الصفات ستة أقسام ترجع إلى ثلاثة أقسام: أهل التجهيل، وأهل التأويل، وأهل ... فهم يسمونه تأويلا، وإلا لو جاء إنسان وقال: أنا لا أؤمن بأن الله استوى على العرش، ورد هذا النص هكذا بدون تأويل، نقول: هذا كفر؛ لأنه أيش؟ رد وجحد لآية، لكن هم لا يقولون: تأويل هذه الآية، وهو في حقيقة الأمر نفي لتلك الصفة، سموه تأويلا، يسموه تفويضا، سموه ما شئتم، إنما حقيقته النفي، نعم.

---

١ – سورة المائدة آية : ٦٤.

٢ – سورة الأعراف آية : ٥٤.

.....

س: أحسن الله إليكم، يقول: ألا يمكن أن يقال: إن الإجماع مستند في باب العقائد، باعتبار أن الإجماع لا بد له من مستند سواء علمناه أو لا؛ ولأن الأمة لا تجتمع على خطأ؟

ج: لا شك، قلنا: إن الإجماع في باب العقائد يستند إلى دليل، عرفناه أو ما عرفناه، الأمة لا يمكن أن تجمع في مسألة؛ ولهذا –وإن كانت مسألة طويلة والبحث فيها– مسألة إجلاس النبي ﷺ على العرش، من قال بها من السلف هم اعتمدوا على أثر مجاهد، من قال بها من السلف قال: يستحيل مجاهد والأئمة الذين وافقوا على هذا الأمر إلا أن يكون مستندهم نص لكن جهلوه.

وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

مذهب السلف في الصفات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه وسلم ومن والاه، أما بعد:

قال المصنف –رحمه الله تعالى رحمة واسعة–: ثم من المحال أيضا أن تكون القرون الفاضلة، القرن الذي بعث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كانوا غير عالمين، وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين؛ لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول، وإما اعتقاد نقيض الحق، وقول خلاف الصدق، وكلاهما ممتنع، أما الأول: فلأن من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم، أو نهمة في العبادة، يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده، وأعظم مطالبه، أعني بيان ما ينبغي اعتقاده، لا معرفة كيفية الرد وصفاته، وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، وهذا أمر معلوم بالفطرة المجدية، فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضى –الذي هو أقوى المقتضيات– أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم؟ وهذا لا يكاد يقع من أبلد الخلق وأشدهم إعراضا عن الله، وأعظمهم إكبابا على طلب الدنيا، والغفلة عن ذكر الله، فكيف يقع من أولئك؟!

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على سيدنا وإمامنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

قبل أن نبدأ في درس اليوم، سبق في الليلة الماضية أن ذكرت أن ابن كثير دون الدرس الأول لشيخ الإسلام، والصحيح أنه نقل في "البداية والنهاية" أن تاج الدين، الشيخ تاج الدين الغزالي هو الذي دون هذا الدرس؛ لما رأى فيه من الملح والعجائب.

.....

أقول وبالله التوفيق: لا زال كلام الشيخ –رحمه الله– في الرد على من زعم أن السلف في القرون المفضلة، وفي مقدمة هؤلاء أصحاب النبي ﷺ كانوا مقصرين في بيان ما يجب اعتقاده، يقول: ثم من المحال أيضا أن تكون

القرون الفاضلة، والقرون الفاضلة كما ذكر بالأمس هي ما ثبت في صحيح البخاري من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ﴿ خير أمتي –وفي رواية: خير الناس –قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ﴾[1]

واختلف أهل العلم في تحديد القرن، فذهب بعضهم إلى أن القرن عشرون سنة، وذهب آخرون إلى أن القرن ثلاثون، وبعضهم قال أربعون، إلى أن بلغوا مائة، ومن العلماء من قال: القرن الأول هم الصحابة، والقرن الثاني الذين يلونهم التابعون، والثالث تابعوهم، ومنهم من قال: القرن الأول هم الصحابة، والقرن الثاني هم أبناؤهم، والثالث أبناء أبنائهم.

وذهب الحافظ ابن حجر –رحمه الله– إلى أن المراد بالقرن هم أهل زمان واحد متقارب، اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة، كل أهل زمان اشتركوا في أمر يعتبر هذا قرن، شيخ الإسلام –رحمه الله– ذهب إلى أن الاعتبار في القرون الثلاثة جمهور أهل القرن، فجمهور الصحابة الذين توفوا في زمن الخلفاء الأربعة، وجمهور التابعين أي أكابر التابعين الذين توفوا في آخر عهد الصحابة –رضي الله عنهم–، في آخر زمن صغار الصحابة، والقرن الثالث قال: هم من كانوا في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث، والذي رجحه سماحة شيخنا –رحمه الله– الشيخ عبد العزيز، إلى أن القرن الأول هم الصحابة، والقرن الثاني هم التابعون، والقرن الثالث تابعوهم، ولعل هذا يجمع الأقوال كلها.

يقول –رحمه الله–: ثم من المحال أيضا أن تكون القرون الفاضلة القرن الذي بعث فيه رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين، يعني: لازم من قال: إن الخلف أعلم من السلف في هذا الباب، باب العقائد، يلزمه أن يكون أن الصحابة أو القرون المفضلة كانوا غير قائلين وغير عالمين، نعم، لماذا؟

التعليل يقول الشيخ: لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول، وإما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق، يعني من زعم أن السلف لم يكونوا قائلين، أو غير عالمين، يلزمه أحد أمرين لا ثالث لهما، الأمر الأول: إما عدم أيش؟ العلم والقول، بمعنى أنهم غير عالمين بهذا الأمر، ولم يقولوا في شيء من هذا الباب، وإما أنهم يعتقدون نقيض قول الحق، وقالوا في هذا الباب بخلاف قول الصدق، وكلاهما ممتنع، لا يمكن بحال من الأحوال أن

يكون الصحابة على تلك الحال، طيب، لماذا؟ يقول أما الأول: ما هو الأول؟ عدم العلم والقول، يقول: فلأن من في

.....

قلبه أدنى حياة وطلب للعلم، أو نهمة في العبادة، يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه، ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده، الإنسان الذي في قلبه أدنى محبة للعلم وميل للعبادة، سيكون أعظم مقاصده ماذا؟ معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته، هذه من أبجديات الأمور بالنسبة له.

يقول الشيخ: أعني بيان ما ينبغي اعتقاده، لا معرفة كيفية الرد وصفاته. وهذا سيأتي الكلام عليها لاحقا، أن الكلام، كلام الصحابة وكلام السلف في الصفات، كله يجور على أيش؟ بيان المعنى وليس بيان الكيفية.

الإنسان الذي في قلبه أدنى محبة للعلم وميل للعبادة، سيكون أعظم مقاصده ماذا؟ معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته، هذه من أبجديات الأمور بالنسبة له.

يقول الشيخ: أعني بيان ما ينبغي اعتقاده، لا معرفة كيفية الرد وصفاته. وهذا سيأتي الكلام عليها لاحقا، أن الكلام، كلام الصحابة وكلام السلف في الصفات، كله يجور على أيش؟ بيان المعنى وليس بيان الكيفية.

ويقول: وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، النفوس السليمة المؤمنة السالمة من أمراض الشهوات والشبهات، ليس لديها شيء أعظم وأشوق من أن تعرف هذا الأمر، الذي هو ما يجب لله، وما يجوز عليه وما يمتنع.

يقول: هذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية، يعني هذا ليس بمكتسب، فهذا الناس مفطورون عليه، فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضى، ما هو هذا المقتضى، الإشارة هنا أن يكون البحث عن هذا الباب، والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده، وأعظم مطالبه إلى آخره، هذا هو الآن المقتضى، هذا قائم بالنسبة للصحابة ولا لا، قائم، إن أعظم شيء بالنسبة لهم معرفة هذا الباب والسؤال عنه، إذا كان هذا المقتضى موجود، فيستحيل –وهو من أقوى المقتضيات– أن يتخلف عنه مقتضاه، الذي هو العلم والقول واضح، أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم، هذا لا يكاد يقع من أبلد الخلق، وأشدهم إعراضا عن الله، وأعظمهم إكبابا على طلب الدنيا، والغفلة عن ذكر الله، فكيف يقع من أولئك؟ إذا كان هذا لا يقع ممن أخذت الدنيا جل اهتمامه، وصرف جل وقته في طلب الدنيا وما يتعلق به، فكيف بأولئك الجيل، الذين همهم الأساس الله والدار الآخرة، طلقوا الدنيا بالثلاث، هذا لا يمكن أن يتصور من هؤلاء بحال من الأحوال؛ ولهذا الشيخ قال: هذا أمر مستحيل، يعني غير قابل للنقاش والأخذ والعطاء، الأمور المستحيلة لا تطرح للنقاش، التي تطرح للنقاش الأمور المحتملة أيش؟ فيقول: هذا الأمر مستحيل، ولا يدور في خلد مسلم، نعم.

وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق، أو قائلين، فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل، أرث حال القوم، ثم

.....

الكلام عنهم في هذا الباب أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوى، أو أضعافها، يعرف ذلك من طلبه وتتبعه، نعم.

الاحتمال الثاني: أن يكونوا اعتقدوا نقيض الحق، وقالوا في هذا الباب خلاف الصدق، يقول الشيخ: وهذا الاحتمال الثاني أشد استحالة من الاحتمال الأول، ولا يمكن هذا أن يقع من أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ لأنه لو افترض أن هذا واقع منهم؛ لكانت الأمة في ضلال من ذاك الوقت إلى يومنا هذا؛ ولهذا قال: لا يمكن أن يقول هذا أو يعتقده مسلم عرف حال القوم، بل لا يقوله عاقل، طيب. هذه الأمور هل تخفى على أولئك أهل الكلام؟ هؤلاء الذين لهم شهرتهم ولهم باعهم في علم الكلام، هل خفي عليهم هذا الأمر؟ الواقع أنهم تحيروا في الأمر، لما وجهوا بهذه الحجة الظاهرة، قيل لهم: هل الصحابة عرفوا هذا الأمر أم ما عرفوا؟ هذه المقدمات العقلي، هذه المقدمات المنطقية التي جعلتموها هي الأصل، وبنيتم عليها مسائل الاعتقاد، هل علمها الصحابة؟ هل قالوا بها؟ بقوا متحيرين في الأمر، لكن ممن بحث عن عذر ومخرج الجويني إمام الحرمين –عفا الله عنا وعنه– فقد نقل عن شيخ الإسلام أنه قال: أن الصحابة لم يعرفوا هذا الأمر، يعني صرح بهذا الشيخ، لماذا؟ قال: لأنهم انشغلوا بالجهاد والقتال في سبيل الله، لكن هذا عذر حقيقة يعني لا يمكن أن يكون له أدنى وجاهة، –سبحان الله– ينشغلون بالقتال والجهاد عن أعظم الأصول، عن أساس الدين، عن جانب الاعتقاد، هذا لا يمكن، وسيأتي مزيد في الأسطر التالية، لبيان أن السلف –رحمهم الله– في هذا الباب كانوا أعلم وأحكم وأسبق، نعم.

قوله –رحمه الله–: ثم الكلام عنه في هذا الباب أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوى، نعم؛ لأن الفتاوى غالبا ما تكون مختصرة؛ ولهذا الشيخ يقول: سأقتصر بهذه الفتوى على أهم ما يحصل به المقصود؛ ولهذا سيذكر فيما بعد أنه تجنب عرض شبه هؤلاء، والجواب عنها لماذا؛ لأن هذه فتوى يقول: ومن أراد معرفة كلام الأئمة في هذا الباب بتوسع، فليرجع إلى مظانه، ومن مظان ذلك ما ذكر مثلا الإمام اللالكائي –رحمه الله– في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، فقد حرص على جمع أقوال سلف الأمة، من الصحابة والتابعين في باب الاعتقاد، كذلك ما نقله الإمام أبو عبد الله بن بطة في كتابه الإبانة الكبرى، أيضا ما ذكره الإمام عبد الله بن الإمام أحمد في كتابه السنة، فهؤلاء وغيرهم عنوا بنقل كلام الأئمة في باب الاعتقاد، نعم.

ولا يجوز أيضا أن يكون الخالفون أعلم من السالفين، كما يقوله بعض الأغبياء، ممن لم يقدر قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة، المأمور بها من أن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم، فإن هؤلاء المبتدعة الذين يفضلون طريقة الخلف على طريقة السلف، إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث، من غير فقه لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾[1] وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات، وغرائب اللغات

نعم، هذه العبارة اشتهرت عن هؤلاء المتأخرين من أهل الكلام، هؤلاء لما وجهوا بهذه الآثار الكثيرة، والكم الهائل عن سلف الأمة، التي تخالف ما قعدوه، وذهبوا إليه، وجدوا هذه العبارة مخرج لهم، فقالوا: طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم، قبل أن نبدأ في مفهوم هذه العبارة، وما سيترتب عليها، لا بد من الإشارة إلى ضابط السلف، وضابط الخلف، هم قالوا الآن: طريقة السلف أسلم، من هم هؤلاء السلف؟ اختلف في ذلك إلى ثلاثة أقوال :

القول الأول: من ذهب إلى أن السلف هم أصحاب النبي ﷺ .

القول الثاني: من قال: إن السلف هم أصحاب القرون المفضلة الذين امتدحهم النبي ﷺ فجمهور من عاش في القرون المفضلة هم السلف.

القول الثالث: قال: إن السلف كل من كان على مثل من كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، ولا حد زمني لهذا المفهوم؛ ولعل القول الوسط من ذهب إلى أن السلف هم جمهور من عاش في القرون المفضلة، ويدخل في هؤلاء

وفي مقدمتهم أصحاب النبي ﷺ والمشهورون من الأئمة كالأئمة الأربعة؛ وإسحاق بن راهوية والسفيانان وغيرهم، أقول جمهور من عاش في هذه القرون المفضلة؛ لأن من عاش في هذه القرون ممن عاش في هذه القرون من خالف منهج السلف، فيلاحظ مثلا أن بوادر التشيع وبداية الخوارج ظهرت في وقت مبكر، كذلك بدعة الإرجاء، كذلك بدعة القدرية ظهرت في وقت مبكر، لكن كان الغلبة في هذه القرون لسلف الأمة.

---

١ – سورة البقرة آية : ٧٨.

.....

أما الخلف، فلم أقف حقيقة على ضابط محدد، سوى ما أشار إليه شيخ الإسلام بعض أسطر، قال: ولا سيما والخلف ضرب من المتكلمين الذين كثر اضطرابهم إلى آخره، الخلف في اللغة هو المتأخر في الظهور، وغالبا ما ورد هذا اللفظ في القرآن، بإسكان اللام في معرض الظن، فقال الله ﷻ ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[1] ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾[2] ويقول لبيدة اللبيب:

ذهب الذين يعاشوا في أكنابهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب

فيقول العلماء بإسكان اللام غالبا ما يأتي في معرض الذم، فالخلف والخلف هؤلاء هم من كان منهجهم في باب الاعتقاد على خلاف منهج السلف، طيب لماذا سموا خلف؟ لأن هذا الضرب من الناس لم يظهر إلا متأخرا بعد انقضاء القرون الثلاثة، نعم. ظهرت بوادر البدع في القرون المفضلة، لكن هذه البدع لم تتسع ولم يكن لها كيان، ولم يكن لها مؤلفات بالشكل الواسع، إلا بعد انقضاء القرون المفضلة، فكأنهم ظهروا متأخرين، فسموا خلف بالنسبة للسلف؛ لأن السلف في اللغة هو المتقدم في الزمن.

نعود إلى هذه العبارة طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم، أولا يحسن هناك التنبيه، أن جل النسخ المطبوعة للفتوى الحموية، وردت هناك عبارة بعد هذه العبارة، وهي العبارة التي جاءت بعد هذه العبارة، وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء، قد يعني بها معنى صحيحا، في الواقع وبعد البحث والتتبع، وجد أن هذه العبارة مدسوسة في كلام شيخ الإسلام، وذلك للأمور التالية:

أولا: أن هناك تسع نسخ خطية للحموية لم ترد بها هذه العبارة، الأمر الثاني: أن ابن عبد الهادي الذي هم تلميذ شيخ الإسلام، ساق في كتابه الكواكب الدرية جزء من الحموية، ولم ترد هذه العبارة، فيما أورده، الأمر الثالث: أنها باطلة بكل المعاني، وليس لها مخرج صحيح، الأمر الرابع: أن هذه العبارة وجدت تعليقا على النسخة الحجرية، التي طبعت لأول مرة لما طبعت الحموية، قديمة طبعت في الهند، وجدت هذه العبارة تعليق في الهامش، فلعل الناشرون الذين طبعوا الحموية، اعتمدوا على هذه النسخة، وأدخلوا هذه العبارة في صلب كلام شيخ الإسلام،

---

١ – سورة مريم آية : ٥٩.

٢ – سورة الأعراف آية : ١٦٩.

.....

ظنا منهم أنها من كلام شيخ الإسلام، طيب. نعود إلى معنى هذه الكلمة التي اشتهرت عن المتأخرين، قلنا: السبب في ذكر هذه العبارة، أنهم وجدوها مخرج لهم، طيب. ماذا يعنون بهذه الكلمة، طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم.

زعموا أن السلف فوضوا معاني النصوص إلى الله ﷻ نصوص، فقالوا: إن طريقة السلف هي التفويض، والتفويض أسلم، لأيش أسلم؟ قالوا: لأن هذه العبارة هذا اللفظ مثلا قول الله ﷻ ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾[1] قالوا: يحتمل عدة احتمالات، يحتمل كذا، ويحتمل كذا، ويحتمل كذا، كونك تفوض المعنى إلى الله، هذا أسلم؛ لأنك ربما تختار معنى بيكون خطأ، وقالوا: هذه هي طريقة السلف، طريقة السلف فوضوا معاني نصوص الصفات إلى الله ﷻ وهذا –كما سيأتي– كذب وافتراء على السلف، ما معنى التفويض، معنى التفويض: أنك تنفي المعنى الحق الظاهر من هذا النص ماشي، ثم تفوض معنى الآية والنص إلى الله ﷻ فتقول قول الله ﷻ ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[2] هذه الآية لا تدل على إثبات اليدين لله ﷻ إذا ماذا تدل؟ الله أعلم بمراده في هذه الآية، قالوا: هذا هو التفويض، وهذا هو الذي سلكه السلف، وهذا هو الأسلم، طيب.

وطريقة الخلف قالوا: طريقة الخلف أعلم وأحكم، ليست أسلم، لكن أعلم وأحكم، ما هي طريقتهم؟ أنهم بحثوا في هذه النصوص، والتمسوا لها معاني، وأولوها صرفوها إلى المعاني، التي تتفق مع –كما يزعمون– المقدمات العقلية، الأدلة العقلية، البراهين العقلية، قالوا: هذه أعلم وأحكم، لكن ليست أسلم، الشيخ سيذكر في هذه الأسطر القادمة، أن هذه العبارة أو هذه الجملة فاسدة، وفيها كذب وافتراء على السلف، بل إن طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم، وهي التي تهدي إلى الطريق الأقوم، أما طريقة الخلف ففيها الضلال والانحراف، وهي التي تدعو إلى الشك والحيرة والانحراف، نعم.

قوله: فإن هؤلاء المبتدعة، الذين قالوا: إن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم، يقصدون منها ماذا؟ تفضيل أي الطريقتين، لا شك أن الأعلم والأحكم، أفضل من الأسلم، يعني أيهما أفضل وأجود، كون تعطي هذه العبارة، أو هذا الكتاب لإنسان يقرأه ويشرح لك معانيه، ويبين لك معانيه، ويفصل فيما احتواه هذا

---

١ – سورة الرحمن آية : ٢٧.

٢ – سورة ص آية : ٧٥.

.....

الكتاب، أو إنسان يقرأ لك، ويقول: الله أعلم بمراد هذا الكلام، أيهما أفضل، لا شك الأول، فهم أطلقوا هذه العبارة، لتفضيل طريقة الخلف على طريقة السلف، طيب. لماذا لجؤوا لذلك؟ قال الشيخ: إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث، فقط يؤمنون بهذا اللفظ، لكن ما معناه، قالوا: الله أعلم بمراده، فجعلوا السلف جعلوا الصحابة، وكبار الأئمة، بمنزلة الأمي الذي لا يفقه من هذا الكلام حرف واحد ولهذا قال: بمنزلة الأميين الذين قال فيهم: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾[1] وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص، المصروفة عن حقائقها، بأنواع المجازات وغرائب اللغات، نعم. طريقتهم –كما سيأتي– التأويل الذي هو في واقع الأمر تحريف، وليس بتأويل، يصرفون هذا النص عن حقيقته إلى معنى آخر، ويقولون: إن إطلاق هذا اللفظ على هذه الصفة مجاز، فيقولون –مثلا–: إطلاق الاستواء على العلو والارتفاع هذا مجاز، إنما معنى اللفظ الحقيقي الاستيلاء، أو إلى آخر التأويلات التي ذكروها، نعم.

١ – سورة البقرة آية : ٧٨.

فهذا الظن الفاسد، أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر، وقد كذبوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف

نعم، يعني هذه المقالة الفاسدة أوجبت لهم الكذب على السلف –رحمهم الله–، حيث زعموا أن طريقتهم هي التفويض الفاسد، والضلال والكذب والانحراف في تصويب طريقة الخلف، فإن طريقة الخلف –التي هي التأويل– هي الطريقة الفاسدة، وطريقة السلف، التي هي فهم النصوص، ومعرفة معنى هذه النصوص، هي الطريقة الصحيحة، نعم.

شبهات المعطلة لصفات الله ﷻ

وسبب ذلك، اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص، للشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر، وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى، بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ، وتفويض المعنى، وهي التي يسمونها طريقة السلف، وبين صرف اللفظ إلى معاني بنوع تكلف، وهي التي يسمونها طريقة الخلف، فصار هذا الباطل مركبا من فساد العقل والكفر بالسمع، فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية، ظنوها بينات وهي شبهات، والسمع حرفوا فيه الكلام عن مواضعه

نعم، السبب في تصويبهم طريقة الخلف، والكذب والافتراء على طريقة السلف، ما الذي حملهم على ذلك؟ ما الذي حملهم على القول بأن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم؛ لأنهم زعموا أن هذه النصوص –نصوص الصفات– لن تدل على صفة من صفات الله ﷻ ما الذي حملهم على ذلك؟ الشبهات الفاسدة، وسيرد شيء منها، كقولهم: إن إثبات الصفات يستلزم التجسيم، أو إثبات الصفات يستلزم التشبيه، نعم. أو كإثبات بعض الصفات كصفة العلو، يستلزم إثبات الحيز والجهة لله ﷻ ونحو ذلك من هذه الشبهات التي اعتقدوا أنها قواطع يقينية عقلية، لا تقبل الأخذ والعطاء، عندهم الآن تعارض النص مع العقل، وعندهم قاعدة عامة أنه إذا تعارض النص مع العقل، قدموا العقل، فعندهم ما دامت هذه النصوص لا تدل على هذه الصفات، لهذه الشبهات التي أوردوها، يقول الشيخ: وشاركوا فيها إخوانهم من الكافرين، نعم. من ملاحدة الفلاسفة، فملاحدة الفلاسفة ما حرفوا نصوص الكتاب والسنة، حرفوا نصوص اليوم الآخر، ونصوص التي جاءت تثبت الملائكة، نعم. إلا بهذه الشبهات، فهم شاركوا هؤلاء في الإدلاء بهذه الشبهة، ورد هذه النصوص بسبب هذه الشبهات، يقول: فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر، بمعنى عندهم قاعدة عامة أن هذه النصوص لا تدل على شيء من الصفات، عندهم هذه القاعدة العامة، طيب.

ما العمل مع هذه النصوص الدالة على هذه الصفات؟ القرآن مليء بالنصوص الدالة على هذه الصفات التي ينفونها، صار موقفهم أحد موقفين، إما الإيمان باللفظ وتفويض المعنى إلى الله، وهذا يسمونه طريقة السلف،

.....

وهو التفويض، إذن طريقة السلف هي التفويض، فيقولون: إما أن تفوض، هات معنى هذا اللفظ، وإما أن تصرف هذا اللفظ عن معناه الظاهر إلى معان بعيدة، بنوع تكلف، وهذه هي طريقة الخلف، وهو التأويل الذي اعتمدوا عليه في تحريف هذه النصوص، فصار هذا الباطل مركب من فساد العقل، لأيش؟ لأن هذه الشبهات التي عارضوا بها النصوص، ليست أدلة عقلية، هذه شبهات، وليست أدلة، إذن هذه الشبهات التي يسمونها أدلة عقلية هذه شبهات فاسدة، والكفر بالسمع؛ لأنهم ما آمنوا بالسمع، تلاعبوا بنصوص السمع، يقول: فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية، ظنوها بينات، وهي شبهات.

ولعلي –مثلا– أورد لكم مثال بسيط؛ لأجل أن يتضح هذا الكلام، زعموا أن إثبات –مثلا– اليدين لله يستلزم منه التشبيه، هذا الآن عندهم دليل عقلي يقيني، لا يقبل النقاش، أن إثبات اليدين يستلزم التشبيه، يعني أننا إذا أثبتنا لله اليدين، فقد شبهنا الخالق بالمخلوق، ماشي. وبسبب هذه القاعدة، بسبب هذه الشبهة، نفوا أن يكون الله موصوفا باليدين، طيب. قول الله ﷻ ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[1] قالوا: أنت الآن لك أمام النص أحد أمرين، إما أن تفوض تقول: الله أعلم بمراده بهذه الآية، وهذه طريقة السلف –كما زعموا–، وإما أن تأول، وهي طريقة الخلف، ويكون معنى ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[2] لما خلقت بقدرتي، طيب.

لماذا لا تثبتون الآية على ظاهرها وتثبتون الصفة لله ﷻ قالوا: لأنه يتعارض مع الدليل العقلي، أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه، الرد عليهم أن هذه الحجة، هذا الدليل الذي زعمتم أنه دليل عقلي، ليس بدليل عقلي، فليس إثبات الصفة يستلزم التشبيه، هذا الدليل دليل فاسد، والدليل على فساده، أنكم معاشر الأشاعرة، ألستم تثبتون السمع لله؟ ولا لا؟ تثبتون لله البصر ولا لا؟ والمخلوق موصوف بالسمع والبصر ولا لا؟ إذن أنتم تشبهون، فإثبات السمع والبصر يستلزم التشبيه، فهذا دليل على أن هذه الشبهة شبهة فاسدة، وبمثل هذه الشبهات عارضوا بها نصوص الوحيين، وأبطلوا بها دلالة نصوص الوحيين على صفات الله ﷻ نعم.

أحسن الله إليكم، ثم فائدة شخص أرسل ورقة، يقول: لا تصح قراءة المتن كأنه قرآن، رجاء التنبه.

الأصل فيها الجواز، ومن منع فعليه الدليل، ولقد أدركنا مشايخنا يقرأ عليهم بهذا الأسلوب، وما أنكروا هذا الأمر، نعم.

---

١ – سورة ص آية : ٧٥.

٢ – سورة ص آية : ٧٥.

فلما انبنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين، كانت النتيجة استجهال الأولين واستبلاههم، واعتقادهم أنهم كانوا قوما أميين، بمنزلة الصالحين من العامة، لم يتبحروا في حقائق العلم بالله، ولم يتيقنوا لدقائق العلم الإلهي، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله

يعني يقول الشيخ: فلما انبنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين، والمقدمتان هما المقدمة الأولى: أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك، هذه المقدمة الأولى، المقدمة الثانية: أن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص، المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات، وغرائب اللغات، النتيجة ما هي النتيجة؟ استجهال من كانت هذه طريقتهم، كونه يؤمن باللفظ ويكل المعنى لله ﷻ بمعنى أن هذا جاهل؛ ولهذا جعلوا السلف كحال العوام، واستبلاههم بمعنى، الأبله هو الذي لا عقل له، يعني كأنهم لا عقول لهم يفهمون بها هذه النصوص، كما سبق، من السلف الذين يقصدون هم الصحابة، وكبار التابعين، وأنهم بمنزلة الأميين، قوم أميين بمنزلة الصالحين من العامة، لم يتبحروا في حقائق العلم، يعني بأنهم عباد عامة، ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله، حازوا قصب السبق، أي تقدموا عليهم، صاروا أفضل منهم في هذا الأمر، في أعظم أمر فيما يتعلق بالله ﷻ الخلف أفضل من السلف، كما يزعم هؤلاء، حازوا قصب السبق، هذا مثال يردده شيخ الإسلام ابن القيم دائما، وهو أن قديما يوضع قصبة في حلبة المسابقة، فالسابق هو الذي يقتلع هذه القصبة، وهذا من أجل أن يتحقق أنه هو الذي وصل أولا، فالشيخ يقول: أنهم جعلوا الخلف هم الذين فازوا، وهم الذين تقدموا، وهم الذين علو على السلف –رحمهم الله– في هذا الجانب، حازوا قصب السبق، نعم.

ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان، وجدهم في غاية الجهالة، بل في غاية الضلالة، كيف يكون هؤلاء المتأخرين؟ لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين، الذين كثر في باب الدين اضطرابهم، وغلظ عن معرفة الله حجابهم، وأخبر الواقف على نهايات إقدامهم، بما انتهى إليه من مرامهم حيث يقول:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضع كف حائر ... على ذقن أو قارعا سن نادم

وأقروا على نفوسهم بما قالوه متمثلين به، أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم كقول بعض رؤسائهم:

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وغاية دنيانا أذى ووبال
وكم قد رأينا من رجال ودولة ... فبادوا جميعا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها ... رجال فزالوا والجبال جبال

ثم قال، لاحظوا من هذا، هذا الرازي، هذا المنظر لمذهب الأشاعرة، هذا الذي يعتبر من أعظم أئمة هذا الفن، الذي قعد هذا المذهب؛ ولهذا الشيخ يقول: لما رأيت، يقوله في -نقض التأسيس- لما رأيت أن جمهورهم -أي جمهور الأشاعرة- يصدرون ويردون على رأي الرازي، رأيت أن أرد على كتابه أساس التقديس، ويعتبر رد على جميعهم، ماذا يقول في نهاية حياته؟ يقول: لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، وما رأيتها تشفي عليلا، ولا تروي غليلا،

ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾[1] وقوله: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾[2] واقرأ في النفي ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾[3] ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ۝١١٠ ﴾[4] ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي، ويقول الآخر منهم: ولقد خضت البحر الخضم، وتركت أهل الإسلام وعلومهم، خضت في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمة منه، فالويل لفلان، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي، ويقول الآخر منهم: أكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام .

الشيخ يقول: من تدبر هذا الكلام، الذي فضل طريقة السلف على طريقة الخلف، وجده في غاية الجهالة، بل في غاية الضلالة، كيف يكون هؤلاء المتأخرون، لا سيما والإشارة بالخلف، إلى ضرب من المتكلمين، الذين كثر في باب الدين اضطرابهم، وغلظ عن معرفة الله حجابهم، نعم. من أكثر الناس اضطراب اختلاف، هم أهل الكلام، كما ذكر الغزالي في النقل الأخير، الذي ذكره شيخ الإسلام، أكثر الناس شكا عند الموت هم أهل الكلام، والدليل على أنهم أكثر الناس اضطرابا، هذه الأمثلة التي أوردها الشيخ، أوردها عن كبار أئمتهم، الذين يصغون ويردون على آرائهم وأقوالهم، فأول هؤلاء يقول: وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم، بما انتهى إليه من مرامهم، أي بما انتهى إليه نهاية أمرهم، وهو الشهرستاني، الشهرستاني من كبار أئمة المتكلمين، هو الذي قال هذين البيتين، أو نقلهما متمثلا بهما:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أرى إلا واضع كف حائر ... على ذقن أو قارعا سن نادم

ولهذا علق على هذين البيتين الشيخ –رحمه الله– فقال: فأخبر أنه لم يجد إلا حائرا شاكا مرتابا، أو من اعتقد ثم ندم؛ لما تبين له خطأه، بمعنى أنهم أحد اثنين، هؤلاء الذين تبحروا في هذا العلم –علم الكلام– إما أن

---

١ – سورة طه آية : ٥.

٢ – سورة فاطر آية : ١٠.

٣ – سورة الشورى آية : ١١.

٤ – سورة طه آية : ١١٠.

يصل أمره إلى الشك والحيرة والاضطراب، وسيرد بعض الأمثلة، وإما أنه يعرف أنه على ضلال، وهذا ما حصل للرازي،

.....

وما حصل للغزالي، عرفوا في نهاية المطاف أن هذا الطريق لا يهدي إلى الحق، ولا يلتمس منه الصواب، فأقروا على أنفسهم بذلك، يقول: وأقروا على نفوسهم بما قالوه، متمثلين به، أو منشئين له، فيما صنفوه من كتبهم، كقول بعض رؤسائهم، وهو الرازي، الإمام الفخر الرازي، ذكر ذلك في كتابه أقسام اللذات، والكتاب لا يزال مخطوط، تمثل بهذه الأبيات:

نهايـــــة إقـــــدام العقـــــول عقـــــال ... وأكـــــثر ســـــعي العـــــالمين ضـــــلال

ولـــم نســـتفد مـــن بحثنـــا طـــول عمرنـــا ... ســـوى أن جمعنـــا فيـــه قيـــل وقـــالوا

وأرواحنـــا فـــي وحشـــة مـــن جســـومنا ... وغايـــــة دنيانـــــا أذى ووبـــــال

وكـــم قـــد رأينـــا مـــن رجـــال ودولـــة ... فبـــادوا جميعـــا مســـرعين وزالـــوا

وكـــم مـــن جبـــال قـــد علـــت شـــرفاتها ... رجـــال فزالـــوا والجبـــال جبـــال

ثم قال، لاحظوا من هذا، هذا الرازي، هذا المنظر لمذهب الأشاعرة، هذا الذي يعتبر من أعظم أئمة هذا الفن، الذي قعد هذا المذهب؛ ولهذا الشيخ يقول: لما رأيت، يقوله في –نقض التأسيس– لما رأيت أن جمهورهم – أي جمهور الأشاعرة– يصدرون ويردون على رأي الرازي، رأيت أن أرد على كتابه أساس التقديس، ويعتبر رد على جميعهم، ماذا يقول في نهاية حياته؟ يقول: لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا –تشفي مريضا– ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق، طريقة القرآن، إن أردتم الهداية، إن أردتم السلامة، فعليكم بطريقة القرآن، أما طريقة هؤلاء المتكلمين، لا تشفي عليل، ولا تروي غليل، ورأيت أقرب الطرق، أقرب الطرق للهداية، قد يكون عند المتكلمين حق.

وليس معناه أن كل ما عند المتكلمين هو باطل، لا عندهم حق وباطل، لكن الحق صعب المنال، وعَّروا وصعبوا الطريق في الوصول إلى الحق، بهذه المناهج التي سلكوها، أما طريقة القرآن فلا، طريقة سهلة، طريقة يسيرة، فهذا اعتراف من إمام من أئمتهم، أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝﴾[1] إثبات أيش؟ صفة الاستواء ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[2] إثبات صفة العلو، واقرأ في

---

١ – سورة طه آية : ٥.

٢ – سورة فاطر آية : ١٠.

.....

النفي بمعنى اترك هذه المقدمات الكلامية، المقدمات المنطقية، عليك بطريقة القرآن، اقرأ في النفي ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾[1] ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ١١٠ ﴾[2]

يقول: ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي، ويقول في وصيته، التي نقلها صاحب عيون الأنباء، ونقلها السبكي في طبقاته، يقول في وصيته في آخر حياته، الرازي يقول: ولقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن؛ لأنه يسعى في تسليم العظمة، والجلال لله، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك المضايق العميقة، والمناهج الخفية؛ فلهذا أقول كل ما ثبت بالدلالة الظاهرة من وجوب وجوده، ووحدته وبراءته عن

الشركاء كما في القدم والأزلية والتدبير والفاعلية، فذلك هو الذي أقول به وألقى الله به، وأقول ديني متابعة الرسول ﷺ وكتابي هو القرآن العظيم، وتعويلي في طلب الدين عليهما.

هناك أيضا زيادة، فيما ذكره في كلامه السابق، أنه قال: ثم أقول من صميم القلب من داخل الروح، أني مقر بأن كلما هو الأكمل الأفضل الأعظم الأجل فهو لك، وكلما هو عيب ونقص فأنت منزه عنه، يقول شيخ الإسلام –رحمه الله– تعليقا على كلامه هذا: وهو صادق فيما أخبر به، أنه لم يستفد من بحوثه في الطرق الكلامية والفلسفة، سوى أن جمع قيل وقالوا، وأنه لم يجد فيها ما يشفي عليلا، ولا يروي غليلا، فإن من تدبر كتبه كلها، والشيخ من أكثر الناس دراية وعلما، بما كتبه الرازي، يقول: فإن من تدبر كتبه كلها لم يجد فيها مسألة واحدة من مسائل أصول الدين، موافقة للحق الذي يدل عليه المنقول والمعقول، بل لاحظوا الافتراض، بل يذكر في المسألة عدة أقوال، والقول الحق لا يعرفه، فلا يذكره، يعني يأتي بهذه المسألة ويذكر أقوال الناس فيها أحيانا يذكر كما ذكر الشيخ إلى عشرة أقوال، والقول الحق لا يذكره؛ لأنه لا يعلمه، والسبب –يا إخوان– هؤلاء لا ينقصهم ذكاء، ولكن كما قال الشيخ في آخر الرسالة: أوتوا ذكاء ولم يؤتوا ذكاء، التمسوا الحق من غير معينه، فضلوا وانحرفوا ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾[3] هؤلاء الآن كبار الأئمة، نعم إن صدقت أقوالهم هذه،

---

١ – سورة الشورى آية : ١١.

٢ – سورة طه آية : ١١٠.

٣ – سورة الصف آية : ٥.

.....

فنرجو لهم إن شاء الله توبة عند الله ﷻ لكن كما قال شيخ الإسلام: يموتون كما يموت عوام الناس، وشتان بين موت عالم، وموت عامي، هذا إن سلموا من تبعات هذا العلم الذي خلفوه للناس، نعم. وصلوا إلى نهاية الطريق، ولكن وجدوا الطريق مغلق أمامهم، هم سلكوا هذا الطريق يلتمسون الحق لكن، وجدوا أنه لا يوصل إلى الحق؛ ولهذا ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي، يقول للناس الذين بعده: التمسوا الحق من الكتاب والسنة، فيهما الهدى والنور، هما أقرب الطرق إلى الحق، ويقول الآخر منهم، وهو إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، من أئمة الأشاعرة، بل من كبار أئمة الأشاعرة، بل هو من أوائل من قال بنفي الصفات الخبرية، التي وردت في القرآن، فالأئمة الأشاعرة المتقدمون، كالباقلاني والبيهقي،

يثبتون الصفات الخبرية التي جاءت في القرآن، الجويني أول من نادى بنفي الصفات الخبرية، التي جاءت في القرآن من الأشاعرة، ماذا يقول؟ يقول: لقد خضت البحر الخضم البحر الواسع، وتركت أهل الإسلام وعلومهم، وخضت في الذي نهوني عنه، نهوه عن ماذا؟ عن الدخول في هذه المضائق، التعمق في المسائل الفلسفية والمسائل المنطقية، عندك دلالة القرآن والسنة واضحة بينة، والآن إن لم يتداركني ربي برحمة منه، فالويل لفلان، وها أنا ذا أموت على عقيدتة أمي، يموت كما يموت العوام على عقيدة مجملة.

ويقول الآخر منهم –وذكر الشيخ في غير هذا الموضع، أن القائل هو أبو حامد الغزالي–: أكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام، يا خوان الإنسان لو كان في حياته عنده شيء من الشك، لكنه عند الموت أحوج ما يكون إلى اليقين التام، يعني هذا الموقف خلاص انتهى، ما يقبل فيه الشك، هذه الأمور العقائد لا تقبل الشك، لا بد أن تلقى الله ﷻ على عقيدة، وأنت مستيقن بذلك مثل الشمس، فهؤلاء لما التمسوا الحق من غير معينه، عاقبهم الله ﷻ بهذه المصيبة، أنهم صاروا من أكثر الناس شكا عند الموت؛ ولهذا دخل ابن بادة –وهو رجل من عامة المسلمين– دخل على شمس الدين الخسرو شاهي، وهو من أعز وأجل تلامذة الرازي، دخل عليه هذا الرجل البسيط، سأله شمس الدين، قال: ما تعتقد، قال هذا الرجل: ما أعتقد، أعتقد ما يعتقده المسلمون، قال: وأنت مطمئن مرتاح البال لذلك، قال: أجل ما عندي، أدنى شك ولله الحمد، فقال: أما أنا فوالله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، فبكى وبلل لحيته، طيب. أقول أنه قال: له لما سأله ما تعتقد، قال: ما يعتقده المسلمون، عامة المسلمون، ما عندي أدنى شك، قال: وأنت مرتاح البال مطمئن، قال: أجل، قال: أما أنا هذا الرجل الذي قضى حياته وعمره في البحث، والتنقيب والأخذ والعطاء، وعرض هذه الشبه والإجابة عليها، قال: أما أنا فوالله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد،

.....

حتى بكى.

واصل الحموي، ممن دخل في هذا العلم، يقول: أضع الملحفة على وجهي، ثم أعرض شبهة هؤلاء، وأجيبها بشبهة هؤلاء، ثم هكذا إلى أن يطلع الفجر، لم أهتد إلى الحق، ولم يرتاح وينام كما ينام الناس، والسبب في ذلك، أنهم

التمسوا الحق من غير معينه، لاحظوا هؤلاء الأئمة الكبار الذين قضوا حياتهم في قيل وقال، أتعبوا نهارهم، قطعوا أوقاتهم وأعمارهم، انتهوا إلى لا شيء، وكما قال الشيخ: إن صحت توبتهم فهم يموتون كما يموت عوام المسلمين، كيف لو صرفوا هذه الأعمار في قال الله، وقال الرسول، لو صرفوا هذه العقول في تفهم كلام الله، وكلام رسوله، ولكن هكذا ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾[1] وكلام هؤلاء ينبغي أن يكون أيش؟ مثار عناية للمسلم المؤمن، ألا يدخل في مثل هذه المزالق، كما دخل هؤلاء، هؤلاء نجاهم الله ﷻ في آخر حياتهم –إن صدقت توبتهم–، لكن مئات ممن دخلوا في هذا العلم تاهوا وضلوا، فعلى المسلم أن ينظر كيف طلب السلف هذا العلم؟ كيف بحثوا عن

الحق؟ وليسلك سبيلهم فإن الخير كل الخير فيما انتهجوا، وإن الشر كل الشر فيما خالف منهجهم، وبالله التوفيق، وصل الله وسلم على نبينا محمد.

س: أحسن الله إليك، شيخ أستأذنك في قراءة بعض الأسئلة، يقول هذا السائل: هل هؤلاء تابوا مثل الرازي والغزالي، وهل كلامهم حجة داحضة على أصحابهم؟

ج: أما توبتهم، فالذي يظهر من كلامهم هذا، أننا نحسن إن شاء الله تعالى النية فيهم، أنهم تابوا، لكن يبقى أن كلامهم الذي سطروه، وهو الآن منشور بين المسلمين، موجود في الكتب، أنه الضلال الذي وضعوه، فتوبتهم لأنفسهم، فهذا لا يمنع من الرد على ما ذكروه في كتبهم، وهذا ما ذكره الشيخ –رحمه الله– يقول: كونهم تابوا، كون توبتهم صحت، هذا أمر، هذا بينهم وبين الله، لكن الذي يهمنا من هؤلاء ما هو؟ الرازي والغزالي شخص كسائر الأشخاص، قدم إلى الله أفضى إلى ما قدم، لكن المهم بالنسبة لنا كمسلمين، هذا التراث الذي خلفوه لنا، أما كلامهم يعتبر حجة على أصحابهم، لا شك؛ ولهذا الشيخ يكثر من إيراد هذه الأمثلة، وسيختم الرسالة في آخر الفتوى الحموية، بأن الناس تجاه علم الكلام ثلاثة أقسام، وذكر قسما الذين دخلوا فيه وبلغوا الغاية،

---

١ – سورة الصف آية : ٥.

.....

وعرفوا أنه لا يهدي إلى الحق، ولا يوصل إلى الصواب، كأمثال الرازي والجويني، والشهرستاني وغيرهم، نعم.

س: أحسن الله إليك، كثير من الأحبة يسأل عن الكتاب الذي بين يديك؟

ج: هو الفتوى الحموية، الكتاب الذي بين يدي الفتوى الحموية، لكنها نسخة محققة تحقيق العبد الفقير، نعم.

س: أحسن الله إليك، هذا سائل من فرنسا يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، هل يجوز لشخص أن يعطي دروسا عبر الإنترنت، وهو لم يدرس عند أي شيخ حيث يعمل على ترجمة كتب كبار العلماء إلى اللغة التي يفهمها القوم.

س: سؤال آخر، هل يجوز لبس ما فيه صورة الطفل؟

ج: السؤال الأول: وهو هل يجوز للإنسان أن يعطي دروس عبر جهاز الإنترنت، الشبكة العالمية، وهو لم يدرس عند أي شيخ، نقول: الأصل في العلم معاشر الإخوة أن يؤخذ عن العلماء، وأن يدرس عند ركب العلماء، هذا هو الأصل، لكن قد لا يتيسر للإنسان عالم يدرس عليه، فعند ذلك يبلغ ما يعرف من دين الله ﷻ على قدر استطاعته، وعلى وفق حاله، ﷺ بلغوا عني ولو آية ﷺ أمر آخر أقول: مع وجود هذه الوسائل تيسر ولله الحمد والمنة، أن الإنسان يمكن أن يتلقى العلم عن العلماء، ولو لم يباشر الجلوس معهم، فجل دروس العلماء خاصة في هذه العصور المتأخرة، قد سجلت على أشرطة الكاسيت، فبإمكان الإنسان الذي لا يتيسر له الحضور المباشر، أو المرأة التي لا يتيسر لها الحضور المباشر لهذا الدرس، أن تسمع هذا الدرس عن طريق هذا الشريط، لكن بشرط من أراد أن يستفيد لا بد أن

يكون الكتاب بين يديه، ويتابع مع هذا الشيخ ويدون الفوائد والمُلح التي يسمعها؛ لأجل أن يرسخ هذا الدرس في ذهنه، فإذا أشكلت عليه مسألة، أو أشكلت عليه قضية، فما عليه إلا أن يرفع السماعة، ويسأل أحد المشايخ، نعم. نقول: من تيسر له الحضور المباشر، هذا نور على نور، وهذا لا خلاف فيه، لكن من لم يتيسر له ذلك، نقول: خلاص، إما أن تأخذ الشيء مائة في المائة أو صفر لا، يعمل الإنسان بقدر استطاعته، هناك بعض المناطق في أنحاء العالم، نعم. قد لا يوجد عندهم شيخ، قد يوجد عندهم طالب علم مبتدئ، لكن هذا هو أعلم من عندهم، فلا يمنع أن يجلس هذا الشخص، ويدرس الناس ويعلم الناس، بحسب العلم الذي عنده.

س: هل يجوز لبس ما فيه صورة الطفل؟

ج: والله الأولى ترك هذه الصور جملة وتفصيلا، وأن لا يحمل الإنسان من الصور إلا ما اضطر إليه، أما أن يحمل هذه الصور اختيارا، فنقول: الأولى تركها، هذا هو الأسلم، والله أعلم.

.....

س: أحسن الله إليك، هذا سؤال من أشعري تائب، يقول: حفظك الله لو نسلم لكم –جدلا– أن الصحابة كانوا يعلمون مقاصد الآيات، فأين الدليل على هذا؟ فإنه لم يرد لنا قول أحد من الصحابة، أنهم قالوا: نحن نثبت ولا نكيف، بل إن هذا كله منقول عنهم، بل إن ابن تيمية نفسه لم ينقل عن أحد من الصحابة، إذن فالأصل أن المنقول لنا عن الصحابة لا شيء، وهذا لا دليل فيه أنهم أثبتوا الصفات، والله أعلم.

ج: بل أقول له هناك ستة وجوه، ذكرها شيخ الإسلام في الجزء الرابع من الفتاوى، من صفحة مائة وسبعة وخمسين، ذكر ستة وجوه، أن الصحابة –رضي الله عنهم– كانوا يعلمون معاني هذه النصوص، وأن من زعم أنهم لا يعلمون معاني نصوص الصفات، فقد افترى عليهم غاية الكذب، وذكر الوجوه، ولعلنا إن شاء الله غدا نشير إليها إشارة، نعم. وهناك دليل، الأصل أنهم يفهمون هذه النصوص، وذكر الشيخ أنه من زعم أنهم كحال الأميين والعوام فقد افترى عليهم، كيف يقرؤون نصوص ما يفهمون معناها، وهم يسألون النبي ﷺ عن معاني أمور بسيطة، أمور أشبه ما تكون بالمسائل الفرعية، إذا أشكل عليهم سألوا عن معناها، النبي ﷺ يحضرني الآن هذا المثال يقول: 🕮 ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الودود الولود العئود 🕮 قالوا: يا رسول الله عرفنا الودود الولود، فمن هي العئود؟ يسألون عن هذه الأمور البسيطة، ويتركون أصول الدين ما يسألون عنه، أبو رزين رضي الله عنه في الحديث الحسن يسمع النبي ﷺ في مجمع وهو أعرابي على فطرته، لم يدرس، لم يتعلم، يسمع النبي ﷺ يقول: 🕮 يضحك ربنا لقنوت عباده وقرب غيابه 🕮 لاحظوا ماذا قال أبو رزين بفطرته ببساطته؟ 🕮 قال يا رسول الله: أو يضحك ربنا قال: نعم 🕮 ما قال كما قال المتأخرون: إذا يلزم عليه أن يكون لله أضراس تعلى الله، لله شفتين يلزم

عليه التشبيه، يلزم عليه، لا. بس يريد أن يتأكد 🕮 أو يضحك ربنا؟ قال: نعم قال: لن نعدم من رب يضحك خيرا 🕮 هذا فهم النص، ولا ما فهمه، نعم.

س: أحسن الله إليكم، هذا يقول: يمر علينا كثيرا في كتب العقيدة كلمة مجاز، فما معنى هذه الكلمة؟

ج: المجاز: هذا مصطلح اختلف هل هو كان موجود عند العرب، أو غير موجود عند العرب، وهل هو في القرآن، أو غير موجود في القرآن، تعريفه هو استخدام اللفظ في غير ما وضع له أولا.

مثاله: اليد تستخدم في الأصل ليش؟ في اليد الحقيقية، أو لا؟ العرب إذا قالوا: يد، مباشرة يتبادر الذهن إلى اليد الحقيقية، واضح. لكن قد تستخدم في معنى آخر في النعمة، فيقال: فلان له يد عندي، واضح.

الأسد عند العرب يستخدموه لهذا الحيوان المفترس، لكن قد يستخدمونه في الإنسان الشجاع، فيقولون: جاء

.....

الأسد، أي ذاك الرجل، جاء الأسد ضاحكا، أي ذاك الرجل الشجاع، فنقل المعنى مما استخدم له إلى معنى آخر، هذا يسمى مجاز، من الجواز، طيب. هل العرب عندهم مجاز المسألة، خلافية كبيرة جدا، أما أهل الأصول، فيزعمون، نعم. أن العرب استخدموا المجاز، طيب. شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم –رحمه الله– ذهبوا إلى أن المجاز لم يعرف إلا بعد انقضاء القرون الثلاثة، وأول من قال به المعتزلة؛ ولهذا انتصر لهذا القول ابن القيم –رحمه الله– انتصارا قويا في مختصر الصواعق، وقال: سمى المجاز الطاغوت، فقال: كسر الطاغوت كذا المجاز، وانتصر أيضا لهذا القول محمد الأمين الشنقيطي –رحمة الله عليه– صاحب أضواء البيان، في رسالة له صغيرة إبطال المجاز، وعلى فرض أنه موجود عند العرب، فالقول الصحيح أنه غير موجود في القرآن؛ وذلك لأن المجاز –لاحظوا هذه أول حجة– لأن المجاز يجوز نفيه ولا يكون من نفاه كاذبا، وبالإجماع لا يجوز نفي شيء من القرآن، فعلى فرض وجوده عند العرب، فهو غير موجود في القرآن، وهذه الشبهة التي هي المجاز، هي التي عول عليها أكثر المتكلمين، في نفي أكثر الصفات، طيب. نقف على هذا، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، قال المصنف –رحمه الله تعالى رحمة واسعة– ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف، إذا حقق عليهم الأمر، لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر، ولم يقفوا من ذلك على عين ولا أثر، كيف يكونوا هؤلاء المحجوبون، المنقوصون المسبوقون، الحيارى المتهوكون، أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب آياته وذاته من السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، من ورثة الأنبياء، وخلفاء الرسل، وأعلام الهدى، ومصابيح الدجى، الذين بهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب، وبهم نطقوا الذين وهبهم الله من العلم والحكمة، ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء، فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليهم، لاستحيا من يطلب المقابلة.

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة، وأتم التسليم، لا زال كلام المؤلف، في الرد على من فضل كلام الخلف، على كلام السلف، في باب الأسماء والصفات، يقول – رحمه الله–: ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف، بمعنى أهل الكلام الذين خالفوا السلف في أصول الاعتقاد، إذا حقق عليهم الأمر، لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله، وخالص المعرفة به خبر، بمعنى أنهم لم يستندوا فيما أو في كثير مما ذهبوا إليه، وخالفوا فيه سلف الأمة، لم يستندوا في ذلك إلى خبر، إلى آثارة من العلم، إلى دليل من الكتاب أو السنة، أو إلى قول من أقوال السلف الصالح، ولم يقفوا من ذلك على عين ولا أثر، هذا مثل يضرب لمن ترك شيئا يراه، ثم تبع أثره؛ ولهذا يقال: لا تطلبوا أثرا بعد عين، فهم لم يقفوا لا على عين الحقيقة، ولا حتى على أثر هذه الحقيقة، في هذا الباب، كيف يكون هؤلاء المحجوبون، المنقوصون المسبوقون، هذه صفات لمجموع هؤلاء.

وسيوضح الشيخ فيما بعد، أنه لا يقصد أحدا بعينه، إنما يقصد مجموع هؤلاء المتكلمين الحيارى المتهوكون، المتهوك هو الذي يقع في كل أمر بمعنى، ليس لديه بينة يسير عليها، وهذه صفة هؤلاء في الحقيقة فإذا كان أئمتهم أقروا على أنفسهم أنهم ما وصلوا إلى الحقيقة، وأنهم في حيرة من أمرهم، فما الظن بالأتباع أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم بباب آياته وذاته من السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان من

.....

ورثة الأنبياء، وخلفاء

الرسل وأعلام الهدى، ومصابيح الدجى، كل هذه صفات لسلف هذه الأمة، الذين بهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب، وبهم نطقوا، لا شك أن كتاب الله ﷻ مليء بالثناء على أولئك، والترضي عنهم ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[1]

وهذا الكتاب هم الذين قاموا به، وأوصلوه للناس، وبلغوه للناس، غضا طريا كما سمعوه من النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ لهذا يقول أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن كعثمان بن عفان، وابن مسعود، أنهم كانوا إذا تعلموا شيئا من القرآن من الرسول ﷺ لم يتجاوزوه حتى يعلموا ما فيه، ويعملوا بما فيه، فجمعوا بين العلم والعمل، ويقول مجاهد –رحمه الله–: لقد عرضت المصحف على ابن عباس من أوله إلى آخره، أقفه عند كل آية أساله عند كل آية، يفسرها لي، فذاك الجيل الذين هم أصحاب النبي ﷺ والتابعون لهم بإحسان، هم الذين بينوا لنا، وحملوا لنا هذين الوحيين، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة، ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء، فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم لا شك.

ولهذا كل علم عند الأمم السابقة فهو عند أمة محمد وأزيد، وكل علم عند فرق الأمة فهو عند أهل السنة والجماعة وأزيد، فكل حق عند فرق الأمة فهو موجود عند أهل السنة من باب أولى، وأحاطوا من حقائق المعارف، وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليهم لاستحيا من يطلب المقابلة، لا شك أن هذه الأمة وهبهم الله ﷻ من العلم ما برزوا به على سائر الأمم، وليس هناك أدنى مقارنة بينهم وبين غيرهم، من أهل الكتاب فضلا عن الأمم التي لا كتاب لهم، وكذلك أهل السنة والجماعة، نعم.

---

١ – سورة التوبة آية : ١٠٠.

ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة، لا سيما العلم بالله، وأحكام آياته وأسمائه، من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم، أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة، وأتباع الهند واليونان ورثة المجوس، والمشركين وضلال اليهود والنصارى، والصابئين وأشكالهم وأشباههم، أعلم بالله من ورثة الأنبياء، وأهل القرآن والإيمان .

نعم أهل الكلام، جل ما عندهم، أو كثير مما عندهم من هذه المقدمات، التي عارضوا بها نصوص الوحيين، من أين أتوا بها؟ متى عرفها المسلمون؟ هل عرفت في زمن الصحابة؟ هل عرفت في زمن كبار التابعين؟ لم يعرفها المسلمون إلا بعد أن خالطوا أهل الأمم الأخرى، وبعد أن عربت الكتب اليونانية، كتب الفلسفة؛ ولهذا لما بعث المأمون إلى ملك الروم، أو والي الروم في اليونان، وكانت اليونان هي معقل تراث الفلاسفة، وطلب منه أن يبعث له كتب الفلاسفة كي يترجمها، وينشرها بين الناس، فتردد في ذلك، ثم جمع بطارقته، ورجال دينه فشاورهم، فقالوا له: ابعث بها إليه، فما دخلت هذه العلوم على أمة إلا أفسدتها، وهذا هو الواقع؛ ولهذا نقل السفريني عن شيخ الإسلام، والحقيقة بحثت كثيرا عن أصل الكلام في كلام الشيخ لم أقف عليه، أنه قال: ولا أظن أن يغفل الله ﷻ عن المأمون، فيما جره على المسلمين بسبب ترجمة هذه الكتب، فترجمة هذه الكتب فتحت باب شر على المسلمين، فأصول هؤلاء، والقواعد التي عارضوا بها نصوص الكتاب والسنة استقوها من أولئك؛ ولهذا يقول ابن حزم، يقول: لما زالت حضارة أولئك الكفار فارس والروم، زالت حضارتهم على أيدي المسلمين، حاولوا أن ينالوا من الإسلام وأهله، ورأوا أن الكيد لهم بالطرق العسكرية بالقوة لا يجدي، ولم يستطيعوا فسلكوا طرقا وأساليب أخرى، فحاولوا أن يفسدوا على المسلمين دينهم، فأثاروا هذه الشبهات، وسيذكر الشيخ أن أصل مقالة التعطيل التي لا زال المسلمون يحتسون شرها، أصلها مأخوذ من اليهود، كما أن الرفض أصله من اليهود، أول من نادى بالرفض عبد الله بن سبأ اليهودي، فالشيخ يقول: هؤلاء الذين هم أفراخ المتفلسفة، الذين استقوا علمهم ممن هؤلاء المتفلسفة، وأتباع الهند واليونان إلى آخره، كيف يكون هؤلاء أعلم بالله ممن من ورثة الأنبياء؟ الذين ورثوا العلم عن الأنبياء، هذا لا يقوله عاقل، إلى هنا انتهى كلام الشيخ في الرد على هذه المقولة الباطلة، أن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم، ولعلي أذكر هنا وجوها، ذكرها الشيخ في نقض التأسيس، يبين فيها أن طريقة السلف هي الأسلم والأعلم والأحكم، وأن طريقتهم كانت على وفق ما أراد النبي ﷺ وأراد الله ﷻ وأنهم ما كانوا يقرؤون هذه النصوص نصوص القرآن المتعلقة بصفات الله، ولا يفهمون معناها، فذكر وجوها متعددة فمنها أن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ

.....

أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] **فأمرنا بماذا بتدبر القرآن وقال:** ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾[2] ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ﴾[3] **القول والتدبر فرع عن ماذا؟ عن فهم المعنى، فالكلام الذي لا يفهم معناه لا يمكن أن يتدبر والله ﷻ أنزل هذا القرآن، وطلب من الناس أن يتدبروا آياته، فإذا كانوا لا يفهمون معناه كما يزعم هؤلاء المتكلمون أن السلف ما كانوا يفهمون، وما كانوا يعرفون معاني نصوص الصفات، فعلى هذا لا فائدة، ولا قيمة لهذا التدبر.**

الوجه الثاني، أن الله تعالى وصف القرآن بأنه شفاء، فقال: ﴿ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[4] **ووصفه بأنه :** ﴿ **هُدٗى وَرَحۡمَةٞ** ﴾[5] **وأنه نور، فقال:** ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ ﴾[6] **فالكلام الذي لا يفهم معناه، هل يمكن أن يكون شفاء أو نور أو رحمة، نعم. يا إخوان، كلام لا يفهم، هل يمكن أن يكون نور للمؤمن؟ أن يكون شفاء للمؤمن، هذا يستحيل، أيضا من الوجوه أن الله تعالى قال:** ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[7] **وقال:** ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[8] **فبين أنه أنزله عربيا لماذا؟ لأجل ماذا؟ ليعقله الناس، فإذا كان لا يفهم هل يمكن أن يعقل؟ أيضا وهذا أشار إليه الشيخ هنا أن الله ﷻ قال:** ﴿ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[9] **فذم هؤلاء الذين**

---

١ – سورة محمد آية : ٢٤.

٢ – سورة ص آية : ٢٩.

٣ – سورة النساء آية : ٨٢.

٤ – سورة يونس آية : ٥٧.

٥ – سورة يونس آية : ٥٧.

٦ – سورة المائدة آية : ١٥.

٧ – سورة يوسف آية : ٢.

٨ – سورة الزخرف آية : ٣.

٩ – سورة البقرة آية : ٧٨.

.....

لا يعلمون الكتاب إلا أماني، أي إلا تلاوة بلا فهم، ولا تدبر للمعنى، فإذا كان الله ﷻ ذم هؤلاء، والمتكلمون يقولون: أن السلف كانوا يقرؤون ولا يفهمون المعنى، فقد شاركوا هؤلاء، فهم مذمومون بنص القرآن، وهذا لا يقوله مسلم، والله ﷻ أيضا ذم اليهود، وقال: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[1] **فهم كانوا يقرؤون الكتاب من غير فهم لمعناه، أيضا من الوجوه التي ذكرها أن الله تعالى ذم من لم يكن يكن حظه من السماع إلا سماع الصوت، دون فهم المعنى، فقال:** ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾[2] **وقال:** ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾[3] **فمن جعل السابقين الأولين، من المهاجرين المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، غير عالمين بمعاني القرآن، جعلهم بمنزلة الكفار والمنافقين؛ ولهذا يقول: وإنما يستحق الذم إذا كان الكلام مما يمكن فهمه وفقهه، وما لا يكون كذلك لا يستحق به الذم، وذكر وجوها كثيرة، إلى أن قال في آخر ما ذكر: ومثل هذه الأدلة في القرآن كثيرة يطول تتبعها، وهذه أربعون وجها، وعند التأمل هي أكثر من ذلك، والوجه الواحد يتضمن وجها أو وجوها، والآيات المتماثلة جعلت وجها، أي جعلها هو وجها واحدا، يقول: وكلا منها دليل مستقل، فتكون الدلائل المذكورة أكثر من مائة دليل، وما لم يذكر كثير أيضا –رحمه الله– نعم.**

---

١ – سورة البقرة آية : ٧٩.

٢ – سورة البقرة آية : ١٧١.

٣ – سورة الفرقان آية : ٤٤.

فضل السلف على الخلف

وإنما قدمت هذه المقدمة؛ لأن من استقرت هذه المقدمة عنده، علم طريق الهدى أين هو، في هذا الباب وغيره، وعلم أن الضلال والتهوك إنما استولى على كثير من المتأخرين؛ بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم، وإعراضهم عما بعث به محمدا ﷺ من البينات والهدى، وترقيم البحث عن طريق السابقين والتابعين والتماسهم علم معرفة الله، ممن يعرف الله بإقراره على نفسه، ولشهادة الأمة على ذلك، وبدلالات كثيرة، وليس غرضي واحدا، وإنما أصف نوع هؤلاء، ونوع هؤلاء.

نعم يقول –رحمه الله– أن الضلال والتهوك الذي هو الوقوع في الأمر من غير معرفة له صفة لازمة لهؤلاء والسبب أنهم وقعوا في الحيرة والتهوك بما شهدوا هم على أنفسهم بذلك، وشهد عليهم الآخرون بذلك، السبب في ذلك ما هو؟ ها هم صرحوا بذلك، أنهم نبذوا كلام الله وراء ظهورهم، والتمسوا الحق من غير معينه.

ولهذا يقول الشيخ –رحمه الله– : وقد ثبت عندي بالإسناد المتصل عن أحد كبارهم صاحب أسرار المنطق، وهو رجل يقال له الخونجي كذا، أنه قال عند الموت: أموت وما علمت إلا أن الممكن يفتقر للواجب، والافتقار أمر يعرف الإنسان ربه حقيقة المعرفة. عدمي أموت وما علمت شيئا.

فهذه شهادة من أنفسهم على أنهم لم يصلوا –لا أقول إلى علم يقيني– بل ولا إلى علم يسير، يمكن من خلاله أن يقول: وليس غرضي واحدا، وإنما أصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء، يقول: أنا في هذه الفتوى وفي هذا الكلام، لا أقصد فلان من المتكلمين، ولا أقصد فلان من المتكلمين، إنما أقصد نوع من دخل في هذا العلم، وأقصد نوع السلف، لا أقصد الإمام أحمد، ولا الإمام الشافعي، ولا أقصد الصحابة، أقصد مجموع السلف – رحمهم الله–، نعم.

إثبات صفة العلو لله ﷻ

الآيات الدالة على إثبات صفة العلو لله ﷻ

وإذا كان كذلك فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله ﷺ من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأمة، مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر، في أن الله سبحانه فوق كل شيء، وعليٌّ على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء، مثل قوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾[1] ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾[2] **وقوله:** ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾[3] **وقوله:** ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾[4] وقوله: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾[5] وقوله: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾[6] وقوله: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾[7] وقوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[8] في ستة مواضع وقوله: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[9] وقوله: ﴿ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ

---

١ – سورة فاطر آية : ١٠.

٢ – سورة آل عمران آية : ٥٥.

٣ – سورة الملك آية : ١٦-١٧.

٤ – سورة النساء آية : ١٥٨.

٥ – سورة المعارج آية : ٤.

٦ – سورة السجدة آية : ٥.

٧ – سورة النحل آية : ٥٠.

٨ – سورة الأعراف آية : ٥٤.

٩ – سورة طه آية : ٥.

أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾[1] وقوله: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[2] وقوله: ﴿ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾[3] إلى أمثال ذلك مما لا لا يكاد يحصى إلا بكلفة .

نعم، انتهى الشيخ من المقدمة التي أصّل بها، أو قعّد بها، أن الحق على وجه العموم، وفي باب الأسماء والصفات، يجب أن يؤخذ من الكتاب والسنة، ومن أقوال سلف الأمة، وأن أقوالهم فيها الشفاء والنور والهدى.

بدأ الآن يجيب على سؤال السائل فيما يتعلق بالصفات، فبدأ بصفة العلو لله ﷻ وهذه الصفة –معاشر الإخوة– من أعظم الصفات التي جاءت فيها الأدلة الصحيحة الصريحة، واجتمع فيها دلالة الكتاب والسنة والإجماع، والعقل والفطرة، جميع أنواع الأدلة، ومع ذلك هذه الصفة أجمع أهل التعطيل على نفيها عن الله ﷻ اتفق الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، ومن حذا حذوهم على تعطيل الرب –سبحانه وتعالى– من هذه الصفة، فبدأ الشيخ –رحمه الله– بقوله: فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله ﷺ من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم سائر كلام الأمة، مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر.

النص عند الأصوليين: هو ما كانت دلالته قطعية لا تحتمل النقيض، يمثلون على ذلك بقول الله ﷻ ﴿ تِلۡكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾[4] هل يتبادر إلى الذهن معنى آخر لهذه الآية؟ نص قطعي واضح لا نحتاج إلى بيانه بدليل آخر.

أما دلالة الظاهر فهي ما احتمل معنيين هو في أحدهما أظهر من الآخر، يأتينا دليل يحتمل هذا المعنى، ويحتمل هذا المعنى، أو يحتمل أكثر من معنى، لكن في دلالته على هذا المعنى أظهر من في دلالته على المعنى الآخر، مثاله ماذا؟ القرء، أحسنت، القرء يحتمل أن يكون هو الطهر، ويحتمل أن يكون هو الحيض، اليد يد كلفظ مطلق مجرد، يحتمل أن يكون اليد الجارحة، ويحتمل أن يكون النعمة أو القدرة، واضح. فالشيخ يقول: هذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وهذا كلام رسوله من أوله إلى آخره، وهذا كلام السلف مدون مكتوب منقول لنا، من أوله إلى آخره، ليس فيه نص واحد، لا نص ولا ظاهر، نعم. يدل على خلاف ما ذهبوا إليه أهل السنة

---

١ – سورة غافر آية : ٣٦-٣٧.

٢ – سورة فصلت آية : ٤٢.

٣ – سورة الأنعام آية : ١١٤.

٤ – سورة البقرة آية : ١٩٦.

والجماعة، من أن

.....

الله فوق عرشه، ثم بدأ يذكر بعض الأدلة على ذلك، فبدأ بقوله سبحانه: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾[1] **الصعود والرفع معروف في لغة العرب، أنه من أسفل إلى أعلى، والله ﷻ نص أن هذا العمل الصالح والكلم الطيب يصعد لمن؟ يصعد للملائكة، نص صريح إليه إلى الله الضمير يعود إلى الله، إليه يصعد، فبمعنى أنه في العلو، أيضا قوله سبحانه:** ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾[2] **وقوله ﷻ** ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ ﴾[3] **هذه الآية وما في معناها، اعترض بها أهل التأويل على أهل السنة، قالوا لأهل السنة: ألستم تقولون أن ظاهر النصوص مراد، الظاهر اللائق بالله ﷻ قلنا: بلى، قالوا: إذن ظاهر هذه الآية ،وما في معناها من الآيات الأخرى، والأحاديث ربنا الله الذي في السماء يدل على أن الله ليس في العلو، كيف ذلك؟**

وجه ذلك، نعم. أحسنت، أن في تفيد الظرفية، بمعنى أن السماء محيطة بالله ﷻ تعالى الله عن ذلك، قالوا: كذب، ومن قال أن هذا هو ظاهر النص، بل ظاهر النص هذا هو ظاهر النص، رد عليهم شيخ الإسلام –رحمه الله– أن هذا فهم باطل، ومن نقله عن أحد من السلف فقد أن هذه الآية دليل على أن الله في العلو، وأن الله عال على كل الخلق، وأنه لا يحيط به شيء من مخلوقاته، طيب. ما معنى هذه الآية، هذه الآية لا تحتمل إلا أحد معنيين، وكلاهما يدل على الحق، المعنى الأول أن نحمل في على أصلها، ماشي على أصلها، بمعنى أنها تفيد الظرفية، لكن السماء هنا ليس المقصود بها السماء المبنية، إنما المقصود بالسماء العلو، وهذا موجود في القرآن، ونزلنا من السماء ماء طهورا، فليمدد بسبب إلى السماء إلى العلو، فيكون معنى الآية أأمنتم من في العلو واضح.

الاحتمال الثاني: لو قال قائل لنحمل السماء على السماء المبنية، فنقول إذن في تكون بمعنى على، وهذا معروف عند العرب، أن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض، فيكون معنى الآية أأمنتم من على السماء، وهذا

---

١ – سورة فاطر آية : ١٠.

٢ – سورة آل عمران آية : ٥٥.

٣ – سورة الملك آية : ١٦-١٧.

أيضا موجود في القرآن، يقول الله ﷻ ﴿ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[1] هل يقول عاقل أن الله ﷻ يأمرنا أن نسير في

١ – سورة آل عمران آية : ١٣٧.

.....

جوف الأرض، أو على الأرض، على الأرض، وقول الله ﷻ ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾[1] في وسط جذوع النخل، أو على جذوع النخل.

إذن فهذه الآية بكل المعاني الجائزة في لغة العرب، لا تدل إلا على المعنى الحق، ولا تدل على المعنى الباطل الذي أورده هؤلاء.

أيضا قول الله –سبحانه وتعالى–: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾[2] نص صريح، وقوله: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾[3] ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾[4] ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾[5] وقوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[6] يقول الشيخ في ستة مواضع، في الأعراف ويونس والرعد، والسجدة والفرقان والحديد، وقوله –سبحانه وتعالى–: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾[7]

والاستواء يا إخوان، الآيات التي جاءت في إثبات الاستواء، هي دليل على إثبات صفة الاستواء، ودليل على إثبات صفة العلو، فابن القيم لما ذكر أنواع الأدلة الدالة على إثبات علو الله ﷻ ذكر منها النصوص المثبتة للاستواء، وما الفرق بين صفة الاستواء وصفة العلو؟ ... نعم. ذكر الشيخ أن الفرق بين الصفتين، أن صفة الاستواء صفة خبرية، بمعنى ثبتت عن طريق الخبر، فلو لم يرد دليل من الكتاب أو السنة على إثبات هذه الصفة لما أثبتناها، فهي متوقفة على ورود ماذا؟ على نصوص الكتاب والسنة، أما العلو فلا، ثبت بالكتاب والسنة، والعقل والفطرة، ثبت بدلالة العقل، كما سيأتي.

الأمر الآخر، أن الاستواء صفة فعليه، متعلقة بالمشيئة؛ ولهذا ثم استوى على العرش، الاستواء أمر متأخر، أما

---

١ – سورة طه آية : ٧١.

٢ – سورة النساء آية : ١٥٨.

٣ – سورة المعارج آية : ٤.

٤ – سورة السجدة آية : ٥.

٥ – سورة النحل آية : ٥٠.

٦ – سورة الأعراف آية : ٥٤.

٧ – سورة طه آية : ٥.

.....

العلو فهو صفة ذاتية، لا تنفك عن الله ﷻ بحال من الأحوال، فهو متصف بالعلو أزلا وأبدا.

الأمر الثالث: أن العلو أعم من الاستواء، فكل من استوى على شيء، فقد علا عليه ولا عكس، وليس كل من علا شيء فقد استوى عليه، واضح؟ فالله عال عن السماوات لكن لم يستو على السماوات، واضح أو غير واضح؟

أقول: العلو أعم من الاستواء، فكل مستوي على شيء فقد علا عليه، ولا عكس فليس كل من علا شيء فهو مستوي عليه، أيضا مما استدل به المؤلف هنا على صفة العلو، قصة فرعون وهامان ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾[1] قال العلماء: فلولا أن موسى أخبره أن الله في العلو، لما رام فرعون الصعود للاطلاع إلى إله موسى، فموسى عليه السلام أخبر فرعون أن إلهه أين؟ في السماء؛ ولهذا حاول جاهدا فرعون –عليه لعنة الله– أن يصعد؛ ليطلع على إله موسى كما زعم.

كذلك الآيات التي فيها أن الله ﷻ نزل القرآن، فدائما التنزيل يكون من أعلى إلى أسفل، يقول: إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بكلفة، وقد ذكر بعض أصحاب الشافعي، أن في القرآن ألف دليل على إثبات صفة العلو، وقال غيره: فيه أكثر من ثلاثمائة دليل على إثبات صفة العلو، وذكر ابن القيم –رحمه الله– أن الآيات والأخبار الدالة على علو الرب على خلقه واستوائه على عرشه، تقارب الألوف؛ ولهذا ذكر جملة منها في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية، وقال في آخر الكتاب: ولو شئنا لأتينا على هذه المسألة بآلاف الأدلة، نعم.

---

١ – سورة غافر آية : ٣٦-٣٧.

الأحاديث الدالة على إثبات صفة العلو لله ﷻ

وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى، مثل قصة معراج رسول الله ﷺ إلى ربه، ونزول الملائكة من عند الله، وصعودهم إليه، وقوله: 🕮 الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار، فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم فيسألهم، وهو أعلم بهم 🕮 وفي الصحيح في حديث الخوارج 🕮 ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحا ومساء 🕮 وفي حديث الرقية الذي رواه أبو داود وغيره 🕮 ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء، اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك على هذا الوجع 🕮 قال ﷺ 🕮 إذا اشتكى أحد منكم أو اشتكى أخ له، فليقل ربنا الله الذي في السماء 🕮 وذكره، وقوله في حديث الأوعال 🕮 والعرش فوق ذلك، والله فوق عرشه، وهو يعلم ما أنتم عليه 🕮 رواه أبو داود.

وهذا الحديث مع أنه رواه أهل السنن كأبي داود وابن ماجة والترمذي وغيرهم، فهو مروي من طريقين مشهورين، والقدح في أحدهما لا يقدح في الآخر، وقد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة في كتاب التوحيد، الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن العدل، موصولا إلى النبي ﷺ وقوله في الحديث الصحيح: 🕮 للجارية أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: رسول الله. قال: أعتقها فإنها مؤمنة 🕮 وقوله في الحديث الصحيح: 🕮 إن الله لما خلق الخلق كتب في كتاب موضوع عنده فوق العرش، إن رحمتي سبقت غضبي 🕮 وقوله في حديث قبض الروح: 🕮 حتى يعرج بها إلى السماء التي فيها الله 🕮 إسناده على شرط الصحيحين وقول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

الشيخ –رحمه الله– لما ذكر جملة من الآيات الدالة على إثبات صفة العلو، انتقل لذكر جملة وأمثلة مما ورد في الصحيح، في إثبات هذه الصفة، فقال: وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى، ومعروف الحديث

.....

الصحيح والحسن عند أهل المصطلح، الصحيح ما رواه العدل الثقة تام الضبط عن مثله، من أول السند إلى منتهاه، وسلم من الشذوذ والعلة القادحة، والحسن مثل الصحيح عدا أنه رواه خفيف الضبط، وكلا الدرجتين من درجات الحديث المقبول الصحيح، ذكر منه قصة معراج رسول الله ﷺ إلى ربه، وهذه ثبتت في صحيح مسلم، فمعراجه –عليه الصلاة والسلام– إلى ربه ﷻ يدل على أن الله في العلو؛ ولهذا وصل –عليه الصلاة والسلام– سدرة المنتهى، وسمع صريف الأقلام، بل ارتفع إلى درجات أعلى من جبريل، فجبريل لما جاوز السماء السابعة توقف، وقال: لا أتجاوز هذا، هذا هو الحد الذي، فاصعد إلى ربك، فصعد النبي ﷺ .

أيضا نزول الملائكة من عند الله ﷻ وصعودها إليه، هذا ورد في حديث ☜ إن لله ملائكة سيارة ☞ فكونهم يصعدون وينزلون يدل على أن الله في العلو، وهذا في الصحيحين كذلك وقوله: ☜ الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار ☞ هذا أيضا ثبت في الصحيحين، وحديث الخوارج ☜ ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ☞ أي كيف لا تأمنوني على دنيا، وأنا أمين الله ﷻ على كلامه، على وحيه، وأنا أمين من في السماء يعني الله ﷻ وحديث الرقية يقول الشيخ: الذي رواه أبو داود وغيره ☜ ربنا الله الذي في السماء ☞ الحديث في واقع الأمر رواه أبو داود، والإمام أحمد والحاكم، والبيهقي واللالكائي، وابن قدامة في العلو، والدارمي في الرد على الجهمية، لكن مدار الحديث على زياد أو زيادة بن محمد، وقد قال عنه الإمام البخاري: أنه منكر الحديث، وقال عنه ابن عدي: ليس له إلا حديث أو حديثين عفوا، ليس له إلا حديثين أو ثلاثة لا يثاب عليهما، وذكر الذهبي أنه ممن انفرد بحديث الرقية.

وعلى كل حال فصفة العلو ليست متوقفة على هذا الحديث، فحتى لو كان هذا الحديث ضعيفا، فهناك عشرات بل مئات الأحاديث الدالة على هذه الصفة، وأيضا حديث الأوعال، وهو حديث العباس قال: ☜ كنا في بطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ فمرت سحابة فسألنا ما تسمون هذه قلنا: السحاب، قال: والعنان، قلنا: والعنان، قال: والمزن، قلنا: والمزن ☞ إلى آخر الحديث ☜ وفيه والله فوق العرش يعلم ما أنتم عليه ☞ أيضا الشيخ تكلم عن سند هذا الحديث؛ لأنه هناك من طعن في الحديث؛ وجه الطعن في الحديث أن عبد الله بن عميرة الراوي عن الأحنف؛ والأحنف هو الراوي عن العباس؛ الإمام البخاري أنكر أن يكون عبد الله بن عميرة سمع من الأحنف؛ فالشيخ يقول: البخاري نافي؛ وابن خزيمة الذي أورد الحديث في كتابه؛ أي كتاب التوحيد الذي اشترط فيه أن لا يرد فيه إلا ما صح عن النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ فكأن ابن خزيمة أثبت سماع من عبد الله بن عميرة عن الأحنف؛ والمثبت مقدم على النافي.

.....

ولهذا الشيخ يقول: الحديث صحيح، ولا يرد عليه إنكار الإمام البخاري، الإمام البخاري –رحمه الله– أفاد بما علم أن عبد الله بن عميرة لم يسمع من الأحنف؛ فلهذا يقول: عبد الله بن عميرة لا يعرف له سماع من الأحنف، يقول: إن البخاري في تاريخه التاريخ الكبير ذكر، فقال: عبد الله بن عميرة لا يعرف له سماع من الأحنف، فرد عليه الشيخ –رحمه الله– بأن ابن خزيمة في كتاب التوحيد قد اشترط أن لا يحتج فيه إلا بالصحيح، والإثبات مقدم على النفي، والبخاري إنما نفى معرفة سماعه من الأحنف، ولم ينف معرفة الناس بهذا السماع، فإذا عرفه غيره كابن خزيمة كانت معرفته وإثباته مقدم على نفي غيره، وعدم معرفته، وقد حكم عليه بذلك أن الحديث حسن –رحمه الله–، يقول: وقوله في الحديث الصحيح للجارية ﴿ أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله ﴾ الحديث ثابت في صحيح مسلم؛ ولهذا شرق به أهل البدع، الحديث صريح لا يحتمل التأويل النبي ﷺ يسأل هذه الجارية الأعجمية ﴿ أين الله؟ تقول: في السماء ﴾ وفي رواية ﴿ أنها أشارت إلى السماء ﴾ فقال النبي ﷺ ﴿ أعتقها فإنها مؤمنة ﴾

فوقف أهل البدع من هذا الحديث ثلاثة مواقف، فمنهم من رد الحديث، وهذا ديدنهم دائما مع السنة، القرآن يلجأون إلى التأويل أو التفويض، السنة غالبا ما يلجأون إلى رد الحديث، ولهم في ذلك عدة شبه، أحيانا يقول الحديث آحاد ولا يحتج به في باب العقائد، ومنهم من لا يستطع رد الحديث، لكن حاول أن يؤول هذا الحديث فقال: ﴿ إن النبي ﷺ سأل الجارية أين الله ﴾ وإلا لا يجوز سؤال أين الله؟ أهل الكلام النفاة لصفة العلو لا يجيزون السؤال عن الله بأين؛ لأنك لو سألت عن الله بأين، بمعنى حددت له مكانا، وهم ينفون هذا الأمر.

طيب سؤال النبي ﷺ لهذه الجارية، قالوا: لا هو يسألها عن مقام الله ﷻ قدر الله ﷻ في نفسها، فأخبرته أن قدر الله في السماء، كما تسأل إنسان ما قدر فلان عندك، يقول: في السماء، بمعنى عال ومرتفع وعظيم.

لاحظوا هذا التأويل الفاسد، ومنهم من قال: أنه سألها للامتحان، ولم يقرها على هذا الأمر، ومنهم من قال: نفوض معنى هذا الحديث إلى الله ﷻ فلا ندري، لكن لا نثبت صفة العلو ولا نجيز أن يسأل عن الله بأين.

والحديث صريح في إثبات صفة العلو، واشتمل أيضا على جواز السؤال عن الله بأين، وأن إثبات صفة العلو لله دليل على إيمان الشخص، فالنبي ﷺ حكم على هذه الجارية بالإيمان؛ لما أثبتت أن الله في العلو، وأنه رسول الله وقوله في الحديث الصحيح: ﴿ أن الله لما خلق الخلق كتب في كتاب موضوع عنده فوق العرش ﴾ دليل على أن الله فوق العرش، وأن هذا الكتاب عنده، والحديث في الصحيحين ﴿ إن رحمتي سبقت غضبي ﴾ فهذا الحديث فيه دلالة على إثبات صفة العلو، وفيه دلالة على إثبات صفة الرحمة والغضب، وأيضا

إثبات العرش.

.....

وأيضا قوله في حديث: ﷺ قبض الروح حتى يعرج بها إلى السماء التي فيها الله ﷻ الحديث صريح في إثبات صفة العلو لله ﷻ والحديث رواه ابن ماجة وأحمد وابن خزيمة، وله شاهد من حديث البراء بن عازب الطويل الذي في السنن، نعم.

قوله "وإسناده على شرط الصحيحين" هذه درجة من درجات الحديث الصحيح، أي درجة؟ اختلفتم منكم من يقول: ثاني، ومن يقول: رابع، ومن يقول: خامس، إذا قيل هذا الحديث على شرط الصحيحين، أي درجة من درجات الصحيح؟ الرابع الدرجة الأولى المتفق عليه، الدرجة الثانية ما رواه البخاري، الثالث ما رواه مسلم، الرابع ما كان على شرطهما، نعم.

وقول عبد الله بن رواحة ﷺ الذي أنشده النبي ﷺ وأقره عليه:

شـــــهدت بـــــأن وعـــــد الله حـــــق وأن النـــــار مثـــــوى الكـــــافرين
وأن العـــــرش فـــــوق المـــــاء طـــــاف وفـــــوق العـــــرش رب العـــــالمين

وقول أمية بن أبي الصلت الثقفي الذي أنشد للنبي ﷺ هو وغيره من شعره فاستحسنه، وقال آمن شعره وكفر قلبه:

مجـــدوا اللـــه فهـــو للمجـــد أهـــل ربنـــا فـــي الســـماء أمســـى كبيـــرا
بالبنـــاء الأعلـــى الـــذي ســـبق النـــاس وســـوى فـــوق الســـماء ســـريرا
شـــرجعا مـــا ينالـــه بصـــر العيـــن يـــرى دونـــه الملائكـــة صـــورا

وقوله في الحديث الذي في السنن: إن الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا وقوله: يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله، مما هو من أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية، التي تورث علما يقينيا من أبلغ العلوم الضرورية، أن الرسول ﷺ المبلغ عن الله، القائلة أمته المدعوين أن الله -سبحانه- فوق العرش، وأنه فوق السماء، كما فطر الله جميع الأمم عربهم وعجمهم في الجاهلية والإسلام، إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته.

نعم. ثم ذكر الشيخ -رحمه الله- من الأدلة الثابتة في السنة على صفة العلو، قصة عبد الله بن رواحة، وقد رواها ابن عبد البر في الاستيعاب، وقال: رويناها من وجوه صحاح، ورواها أيضا الدارمي، وابن عساكر في ترجمته في تاريخ دمشق، فهي صريحة أن النبي ﷺ أقره على أن الله ﷻ فوق العرش والعرش فوق المخلوقات وقول أمية بن أبي الصلت الثقفي، وهذا ممن أدرك الإسلام لكنه لم يسلم، وذكر المؤرخون أنه أراد أن يسلم، لكن لما علم بمقتل أهل بدر من المشركين منعه الكبر -نسأل الله السلامة-، وشعره مليء بالحكمة، وذكر بدء الخلق؛ ولهذا قال النبي ﷺ في هذا الحديث آمن شعره وكفر قلبه وثبت عن عمرو بن الشريف عن أبيه قال: ردفت رسول الله ﷺ يوما فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيئا، قلت: نعم، قال: هي فأنشدته بيتا، ثم قال: هي فأنشدته بيتا، حتى أنشدته مائة بيت إلى أن قال: كاد أمية أن يسلم ؛ لما في شعره من إثبات وجود

.....

الله ﷻ وتعظيم الله ﷻ .

وهذا الحديث رواه مسلم، فهو شاهد للحديث الذي أورده المؤلف –رحمه الله–، قوله: الشرجعا، الشرجع هو العالي، ما يناله بصر العين، يرى دونه الملائكة صورا، أي مائل العنق، وقوله: في الحديث الذي في السنن: 📖 إن الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه، أن يردهما صفرا 📖 رفع يديه إليه، العبد يرفع يديه لمن لله ﷻ وسيأتي الإشارة إلى أن أهل البدع قالوا: إن رفع اليدين إلى السماء، لا يدل على أن الله في السماء؛ إنما لأن السماء قبلة الدعاء، وهذا قول باطل لم يسبقهم إليه أحد، ولا دليل عليه لا من الشرع ولا من اللغة.

وحديث 📖 يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب 📖 وقوله في الحديث هذا عند أبي داود، والترمذي وابن ماجة، وابن أبي شيبة والحاكم، وقال على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي وحديث 📖 يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب 📖 هذا في الحديث الذي ذكره النبي ﷺ 📖 أن الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء 📖 هذا دليل على أن الله في السماء في العلو، يقول الشيخ: إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله، أي من الأحاديث، وقد عُني بعض العلماء في جمع، بعض هذه الأحاديث التي جاءت في العلو، ككتاب العلو للعلي الغفار، للإمام الذهبي، وإثبات العلو لابن قدامة المقدسي، وكتاب اجتماع الجيوش الإسلامية للإمام ابن القيم، وغيرهم –رحمهم الله–، مما هو من أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية، معروف ما هو متواتر هو ما رواه جمع عن جمع يستحيل عادة تواطئهم على الكذب، وأسندوه إلى شيء محسوس.

فالشيخ يقول: إن إثبات صفة العلو ثبتت بالتواتر اللفظي والمعنوي؛ لأن التواتر ينقسم إلى قسمين، تواتر لفظي، وهو ما تواتر لفظه، مثل حديث من كذب علي متعمدا، والمتواتر المعنوي أن يختلف اللفظ لكن ألفاظ هذا الحديث تجتمع على معنى واحد، فصفة العلو ثبتت بهذين النوعين، من أنواع التواتر التي تورث علما يقينيا، من أبلغ العلوم الضرورية العلم الضروري عند أهل المنطق، هو ما لا يمكن دفعه، مثل يمثلون الواحد نصف الاثنين، والسماء فوق الأرض، هذا علم ضروري، ما يمكن الإنسان يتبعه، ولا حتى يحصل بالاكتساب.

فالشيخ يقول: هذه الأدلة من القرآن والسنة، تدل على إثبات صفة العلو، وتورث لدى الإنسان علم يقيني لا يمكن دفعه، أن الرسول ﷺ المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه فوق العرش، وأنه فوق السماء كما فطر الله على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم، في الجاهلية والإسلام، هذا النوع الثالث من أنواع الأدلة على إثبات علو الله ﷻ عرفنا النوع الأول دلالة الكتاب، النوع الثاني دلالة السنة، النوع الثالث الفطرة، وهذا الدليل من أقوى الأدلة التي ووجه بها، هؤلاء الذين أنكروا صفة العلو.

.....

دليل الفطرة، ما هو دليل الفطرة؟ أن الله –كما ذكر الشيخ– فطر الناس عامة، المؤمن والكافر، العربي والأعجمي، الذكر والأنثى، والصغير والكبير، على أنهم يتوجهون بقلوبهم وأيديهم إذا حزبهم أمر أو شدة إلى السماء؛ لمن يتوجهون؟ لو لم يكن أن الله ﷻ في السماء، لما توجهوا إليها، وليس هذا أمر مكتسب، هذا أمر ضروري فطري؛ ولهذا لاحظوا النبي ﷺ لما سأل هذه الجارية، أعجمية لم تدرس لم تتعلم ترعى الغنم، فصكها سيدها ثم ندم؛ لأنه هناك ذئب جاء وعدى هذه الغنم، فأكل شاة فغضب وأسف، فصكها ثم ندم 📼 وأتى النبي ﷺ يسأل الكفارة فقال: ائت بها إليّ، ثم سألها أين الله؟ قالت: في السماء من أنا؟ قال رسول الله: أعتقها فإنها مؤمنة 📼 كيف عرفت أن الله في السماء؟

ويمثل العلماء ويورد هذا شيخ الإسلام كثيرا، في قصة أبي جعفر الهمداني مع أبي المعالي الجويني، أبو المعالي الجويني معروف من أئمة الأشاعرة، وممن ينكر صفة العلو، كان يشرح للناس، يشرح لهم حديث 📼 كان الله ولم يكن شيئا معه، أو كان الله ولا عرش 📼 ويقرر نفي صفة العلو، فقام أبا جعفر الهمداني، وقال له: يا شيخ دعنا من هذا كله، دعنا من هذه الأدلة التي توردها، وهذه الشبه، ومن هذه الاحتمالات، لكن أخبرنا عن شيء واحد أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، ما قال عارف قط يا الله إلا توجه إلى السماء، لم يلتفت يمينا ولا يسارا، فضرب أبا المعالي رأسه، وقال: حيرني الهمداني، حيرني الهمداني، ونزل. ما استطاع أن يجيب عن هذا الأمر الفطري.

وذكر شيخ الإسلام –رحمه الله– في دائرة عرض العقل والنقل، قال: كان عندي أحد هذه الشيوخ المنكرين لصفة العلو، يريد حاجة فأخرته، أخره عن وقته، ثم بدأ يتشاغل عنه في أمور، يقول: لما ضاق ذرعا رفع بصره إلى السماء، وقال: يا الله يعني كالمتذمر، يقول: فقلت له: لمن ترفع بصرك، أنت تنكر صفة العلو، تنكر أن يكون في العلو، أن يكون الله في العلو، فقال: أستغفر الله، أستغفر الله، يقول الشيخ: فقل سبحان الله، الآن تغالط فطرتك، فبينت له فعرف الحق، فرجع إليه، إذن هذه الفطرة هي من أقوى الأدلة، تسأل الصغير الصبي الذي لم يتعلم، فتقول: أين الله فيقول لك: في السماء، هذا الكافر الذي لا يؤمن بالله حقيقة، إذا نزلت به شدة يتوجه إلى السماء ضرورة.

وأذكر في سنة من السنوات، كنا نناظر أحد الأشخاص في الحرم المكي، وكان طالب علم لكنه ممن يذهب إلى مذهب الأشاعرة، وينكر صفة العلو فطال المقام معه والأخذ والرد، فسبحان الله مر صبي صغير لم يدخل المدرسة، صغير، فنادينا الصغير، قلنا له: تعالى أين الله؟ مباشرة بفطرته قال: في السماء ومشى، قلنا له: من علم هذا

.....

الصغير؟ فبهت الرجل.

إذن من الأدلة القوية التي يستدل بها على من أنكر صفة العلو، هذه الفطرة التي أودعها الله في قلوب عباده، نعم.

أقوال السلف في إثبات صفة العلو لله ﷻ بالإجماع

ثم عن السلف في ذلك من الأقوال، ما لو جُمع لبلغ مئات أو ألوفا، ثم ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ ولا عن أحد من السلف الأمة، لا من الصحابة والتابعين، ولا عن أئمة الدين، الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحدا يخالف ذلك، لا نصا ولا ظاهرا.

نعم. هذا هو دلالة النوع الرابع الإجماع، الشيخ يقول: ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جُمع لبلغ مئات أو ألوفا، وذكرت لكم ممن عني بجمع أقوالهم في كتابه العلو، وقد جمع أقوالهم على الطبقات، فقال: من الطبقة الأولى فلان وفلان، ويو، الإمام الذهبي رد أقوالهم من الطبقة الثانية الثالثة الرابعة، وكذلك ابن القيم – رحمه الله– في اجتماع الجيوش، بل إنه تعدى إلى أبعد من هذا، نقل عن الكفار وعن الجن وعن الحيوانات، يثبت أن كل هؤلاء يخالفون هؤلاء المعطلة، ويثبتون صفة العلو، يقول: وليس في كتاب الله ولا سنة رسول الله، ولا عن أحد من الصحابة، ولا عن أحد من التابعين، ولا عن تابعي التابعين، حرف واحد يخالف هذا الأمر.

قد يورد عليك شخص، ويقول: لأنه ربما ما جاء من يبحث هذه المسألة، الشيخ أشار إلى هذا الاحتمال، فقال: الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف، أدركوا أناسا ينفون عن الله صفة العلو، ويريدون الشبهات، وما بلغنا عن أحد الأئمة أنه وافقهم على ذلك، فالمسألة أثيرت في وقتهم، لكنهم ردوا عليهم، وأثبتوا صفة العلو لله حقيقة، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

س : أحسن الله إليكم، هذا سائل يقول: أعرف مؤذن مسجد يصلي أحيانا بنا، فهل تجوز الصلاة خلفه وماذا نفعل به؟ نشكيه أو ماذا نفعل؟

ج : مؤذن ما الإشكال يعني؟ – في عقيدته قال إنه ينكر بعض الصفات – على كل حال إمامة المبتدع هذا تكلم عنها العلماء، والأصل في الناس السلامة، وليس من هدي السلف أنهم إذا أرادوا أن يصلوا خلف إنسان سألوا عن عقيدته، نعم. وإذا ثبت أن هذا الإمام عنده بدعة، فلا يخلو الأمر إن كانت بدعته مكفرة، فلا يصلى خلفه، ولا كرامة، أما إن كانت بدعته دون ذلك، فإن تيسر الصلاة خلف غيره، فهذا أولى، وإن صلى المسلم خلفه ولم يجد غيره فلا بأس، وكان الإمام أحمد يصلي خلف بعض أهل البدع، نعم.

س : هذا سائل ويلح في السؤال، يقول: هل القبور يسمعون من يأتي إليهم من أهلها، ويسلم عليهم ويعرف من هم؟

ج : أما سماع أهل القبور والموتى للنبي ﷺ فهذا ثابت، وثبت في قصة قتلى بدر، لما رماهم في القليب، وقال

.....

له عمر لما وقف عليهم وقال: يا فلان بن فلان يا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقد وجدت ما وعدني ربي حقا، فقال له: عمر ماذا تكلم جثثا هامدة، قال: ما أنتم بأسمع لي منه، أما سماع عموم الأموات لعموم الأحياء، فثبت في حالة، ثبت في الحديث أن الميت إذا انصرف عنه أهله المشيعون له، يسمع قرع نعالهم، أما ما عدا ذلك فالمسألة خلافية، ولا أعرف أنا فيها حديث وابن القيم –رحمه الله– في كتابه "الروح" أثبت سماع الأموات للأحياء، وانتصر لهذا كثيرا، والله أعلم.

س : يقول السلام عليكم ورحمة الله، استدل أهل التعطيل بقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ۚ ﴾[1] **استدلوا بها على نفي العلو بالله تعالى، فكيف نرد عليهم، وجزاكم الله خيرا.**

ج : نعم. استدل المعطلة مما استدلوا به على نفي صفة العلو عن الله ﷻ **آية** ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ۚ ﴾[2] **لكن بالرجوع إلى كلام المفسرين، وإلى كلام الأئمة، ممن فسروا هذه الآية، فكلهم مجمعون على أن معنى الآية ليس كما ظنه هؤلاء، أن الله في السماء وأنه في الأرض بذاته تعالى الله عن ذلك، بل معناها أن الله هو المدعو المعبود في الأرض المدعو المعبود في السماء، فهو إله من في السماء، وإله من في الأرض، وهذا هو الذي تشهد له اللغة، فإن إله من أله يأله فهو مألوه، أي عبد يعبد فهو معبود، إله على وزن فاعل، ويأتي معناها على وزن مفعول، مثل ركاب بمعنى مركوب، فإله معناها مألوه، أي معبود، وهذا هو الذي فسر السلف –رحمهم الله–، ولا حجة لهم في ذلك، نعم. سبحان الله لاحظ كيف يتمسكون بما تشابه من هذا القول، علما بأنه لم يسبقهم إليه أحد لا من الصحابة ولا من السلف، ولا حتى لغة العرب تشهد لهم، لكن لاحظوا يتمسكون بما تشابه في هذه الآية، ويدعون مئات الآيات المحكمة الصريحة التي لا تحتمل أي معنى آخر، نعم.**

س : أحسن الله إليكم، يقول ما تفسير قول الله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾[3] **وكيف يجمع بين هذه الآية، والأدلة الدالة على علو الله عز وجل؟**

---

١ – سورة الزخرف آية : ٨٤.

٢ – سورة الزخرف آية : ٨٤.

٣ – سورة البقرة آية : ١١٥.

.....

ج : معنى الآية ﴿ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ ﴾[1] فثم جهة الله، وهذه الآية ليست من آيات الصفات، وليس فيها تأويل، كما يزعم أهل البدع، فإن في اللغة الوجهة والوجه كلها تطلق على الجهة، فأين ما تولوا فثم قبلة الله، هذا معنى الكلام، وهذه الآية مما اعترض بها أهل البدع على شيخ الإسلام في مناظرة الواسطية، قالوا له لما اجتمعوا به في المجلس الثاني، قالوا له: أنت تقول أن السلف لا يؤولون، قال: نعم، قالوا: وجدنا آية أولها السلف، قال كأنكم تريدون قول الله ﷻ ﴿ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ ﴾[2] قالوا: نعم، قال: من قال لكم أن هذه فيها تأويل، هذه هي أصل اللغة، الوجه يطلق على الجهة، وأطلق أو حققنا أن هذه اللفظة المقصود بها الجهة، وليس الوجه الذي هو الصفة؛ لأن سياق الكلام يدل على الكلام عن الصفات، أو عن القبلة؟ عن القبلة، إذن عندنا إذا كان اللفظ محتملا مثل الوجه الآن، يحتمل أن يكون الصفة، واحتمال أن يكون الجهة، والعرب أطلقوا الوجه على هذا وذاك، كيف نحدد هذا المعنى في هذه الآية؟ من الأمور التي يحدد بها معنى اللفظ أيش؟ سياق الكلام، شيخ الإسلام يقول: إن سياق الكلام مستلزم لفهم معنى الكلام، ليس فقط في كلام الله، بل حتى في كلام الناس، فأنت لا تفهم كلام المتحدث إلا إذا فهمت السياق الذي ورد به، واضح. فهذه الآية ليست من آيات الصفات، ولا علاقة لها بالصفات، فمعنى فثم وجه الله أي فثم قبلة الله وهذا هو الذي فسرها به السلف فسرها ابن عباس في هذا، نعم.

س: هل هناك سبب ظاهر لبدء المؤلف بصفة العلو؟

ج: لا ليس هناك سبب اللهم إلا أن هذه الصفة من أظهر الصفات التي أولها أهل البدع، ومن أعظم الصفات التي ثبتت بالأدلة القطعية التي اجتمع فيها جميع أنواع الأدلة، نعم.

س: هذا يقول: السلام عليكم ورحمة الله، في حديث كتب في كتاب موضوع عنده فوق العرش، دال على أن غير الله أيضا فوق العرش، وهو الكتاب، إذن فعلوه على العرش يشاركه فيه غيره، بينوا لنا وجه ذلك مأجورين؟

ج : لا يلزم كونه الكتاب عنده فوق العرش هذا من تكرمة الله ﷻ لهذا الكتاب، لكن لا يلزم أن يكون

---

١ – سورة البقرة آية : ١١٥.

٢ – سورة البقرة آية : ١١٥.

مساويا لله ﷻ الله فوق العرش مستوي عليه –سبحانه وتعالى– عال ومرتفع عن العرش، لكن استواء يليق

.....

بجلاله، وهو ممسك للعرش، وفوق جميع المخلوقات، فلا يساويه مخلوق في علوه –سبحانه وتعالى–؛ لأن الأدلة الصريحة تدل على أن ما فوق العالم ثمة إلا الله، وكل ما سوى الله فهو عالم، نعم.

س : أحسن الله إليكم، يقول: نود أن تورد لنا مثالا من الأمثلة التي ذكرها ابن القيم –رحمه الله تعالى– التي حكاها عن الجن والحيوانات، كما ذكرت حفظك الله.

ج : لا يحضرني حقيقة الآن، قرأتها قديما لكن لعلي غدا؛ لأني نسيت أحضر بعض الأمثلة، ومن أراد الإطلاع يرجع إليها في آخر كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية، الحيوانات أذكر أنه ذكر أن المؤرخين والمفسرين ذكروا أن النمل لما أراد سليمان أن يخرج، لما أراد الخروج للاستسقاء طلب نزول المطر، ورأى أن هناك نملة مستلقية على ظهرها رافعة يديها إلى السماء، قال: قد كفيتم ورجع لعله استدل بهذه القصة. وذكر قصة أيضا حول بعض الوعول لكن لا تحضرني تفصيلا وجه الاستدلال منها الآن، نعم.

س : يقول: هل من المستحسن ما يفعله بعض الناس، يسأل طفله أين الله؟ لأننا وجدنا من ينكر هذا الفعل حفظكم الله؟

ج : لا، ليس هناك ما يمنع أن يسأل الإنسان طفله أين الله؟ ويعلمه ويربيه على هذه العقيدة الصحيحة، وليس فيه أيضا تشويش على نفس الطفل، ليست مثل بقية المسائل، لما تأتي تريد تثبت له صفة الاستواء فوق مستوى عقل الطفل، لكن صفة العلو مركوزة في فطرته، فأنت الآن فقط تجلي هذه الفطرة، لا أقل ولا أكثر، نعم.

س : أحسن الله إليكم، يقول: القول الذي نقله السفاريني عن ابن تيمية –رحمهما الله تعالى– لا أظن أن الله يغفر إلى نهاية الحديث هذا القول مشكل؟

ج : لا شك مشكل عليك، ومشكل أيضا على غيرك، فأنا حرصت حقيقة أن أجد كلام الشيخ؛ لأني أظن أن هناك سقط في الكلام، لكن على فرض عدم وجود سقط، ولأجل أن نحمل الكلام على أحسن المحامل، خاصة مع ابن تيمية –رحمه الله– فهو أكثر الناس التماس عذر للمخالفين؛ ولهذا تعجب لما تراه يرد على مقولة فلان أو فلان، كما يقولون يمسح بها البلاط، حقيقة يفندها أحيانا ترى أنه يكفر الشخص، ثم إذا أتى إلى ذات الشخص، بدأ يلتمس له الأعذار، بل لكم أن تعلموا أنه لما جاءني ذكر بعض أئمة الأشاعرة، وممن توسع في الرد على أقوالهم، وتفنيد ما ذهبوا إليه، وبيان اللوازم الباطلة للأصول التي أصلوها، ختم كلامه بكلمة جميلة جدا، وينبغي أن تقول: منهج المسلم في التعامل مع المخالفين، قال: ولعل الله ﷻ أن يعاملهم على قدر نياتهم، فإنهم ما أرادوا إلا الخير، ما أرادوا إلا تنزيه الله ﷻ كلمة طيبة، كلمة جميلة، نعم. ذات الشخص لما أتكلم فيه أكل الأمر إلى

.....

الله ﷻ وأرجو له رحمة الله، ورحمة الله ﷻ واسعة، لكن الذي يهمني من هذا الشخص، ما هو؟ كلامه، فأقول: على فرض ثبوتها عن شيخ الإسلام، أنه ليس هناك كلام سقط، لا يغفر، نعم. معنى أنه سيسأله عن هذا الأمر والله ﷻ ذكر أنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها خاصة، وما فعله المأمون فعلا في فعله هذا في ترجمة كتب اليونان، جر على المسلمين شر وبلاء، لا زال المسلمون إلى يومنا هذا يتحثون آثار هذا العمل.

طيب، هذا يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فإنه قد وجد سقوط حرف لم في الصفحة التاسعة عشرة من الكتاب الموزع السطر الأخير، وهذا الحرف يغير المعنى، والجملة الصحيحة هي والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله، والله ولي التوفيق والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الرد على النفاة المعطلة لصفات الله ﷻ

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد، قال المصنف – رحمه الله تعالى رحمة واسعة–: ثم ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ ولا عن أحد من سلف الأمة، لا من الصحابة والتابعين، ولا عن أئمة الدين، الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف، حرف واحدا يخالف ذلك لا نصا ولا ظاهرا، ولم يقل أحد منهم قط إن الله ليس في السماء، ولا أنه ليس على العرش، ولا أنه بذاته في كل مكان، ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل ولا منفصل، ولا أنه تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصبع ونحوها، بل قد ثبت في الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مجمع حضره رسول الله ﷺ جعل يقول: ألا هل بلغت فيقولون: نعم، فيرفع أصبعه إلى السماء وينكبها إليهم، ويقول: اللهم اشهد غير مرة وأمثال ذلك كثير.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم، يقول المؤلف –رحمه الله تعالى– ولم يقل أحد منهم، أي من سلف هذه الأمة من الصحابة، أو من التابعين أو من تابعيهم، ولا عن أحد من الأئمة المشهورين، لم يقل أحد قط منهم، أن الله ليس في السماء، كما يقوله هؤلاء النفاة، الذين ينفون عن الله صفة العلو، فلم يؤثر عن أحد من هؤلاء السلف أنه أشار إلى إقرار مذهب هؤلاء النفاة، ولا أنه ليس على العرش، ولا أنه بذاته في كل مكان، القول الأول إن الله ليس في السماء، ولا أنه ليس على العرش.

هذا مذهب جمهور نفاة العلو، جمهور المعطلة، ولا أنه بذاته في كل مكان، هذا مذهب الحلولية غالبا، ما ينتشر هذا المذهب عند أهل التصوف، الغلاة من الصوفية يزعمون أن الله حال في كل مكان، وأنه بذاته في كل مكان، ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، بمعنى لا يقال: أنه فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال، ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل ولا منفصل.

وهذا مذهب غلاة النفاة، وكان يقول به الفلاسفة قديما، ثم تبعهم على هذا المذهب متأخر الأشاعرة، ومتأخر الأشاعرة قالوا بذلك؛ للفرار من إلزام أهل السنة لهم بالدليل العقلي، على إثبات صفة العلو، وذلك أن أهل

.....

السنة قالوا لهم: هل الله ﷻ لما خلق هذا العالم خلقه داخل ذاته، أو خارج ذاته، القسمة العقلية تقول إما أن يكون خلق هذا العالم داخل ذاته، أو خلقه خارج ذاته، هل هناك قسمة ثالثة؟ وهذا ما أورده الإمام أحمد –رحمه الله– في الرد على الجهمية.

فالجواب عقلا أن الله خلق هذا العالم خارج ذاته سبحانه، فإذا كان خلقه خارج ذاته فلا بد أن يكون عاليا عليهم؛ لأن هذه الجهة هي أشرف الجهات بالنسبة له، لما ووجهوا بهذا الدليل العقلي، يعني أنتم تعرفون أنهم سلطوا التأويل على الأدلة النقلية، وردوا كثيرا من الأحاديث المثبتة لصفة العلو؛ بحجة أنه آحاد، لكن الآن هذا دليل عقلي، وأنتم تقولون بالعقل، فقالوا: إذن نقول: أن الله لا داخل العالم ولا خارج العالم، سبحان الله، هل يمكن للعقل أن يتصور موجود، لا داخل العالم ولا خارجه، إذن أين هو؟ ولا متصل بالعالم ولا منفصل بهذا العالم، إذن أين هو؟ ولهذا هم فروا من تشبيه الله ﷻ بالموجودات، فشبهوه، يا ليتهم شبهوه بالعدم، شبهوه بأعظم المعدومات وهو الممتنع، معروف أن المعدوم ينقسم إلى قسمين، ممكن الوجود، وممتنع الوجود، فممكن الوجود مثلا هذا الكأس قبل صناعته معدوم، ولا موجود؟ معدوم، ويمكن وجوده ولا ممكن؟ يمكن وجوده.

طيب كون هذا الكأس لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت، هذا أمر ممتنع، والممتنع يمثل له العلماء بالجمع بين النقيضين، أو رفع النقيضين، النقيضان هما اللذان لا يجتمعان معا، ولا يرتفعان معا، مثل الوجود والعدم، والحياة والموت، يعني لا يمكن أن يكون الشيء لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت، فلا بد من أحد هذين النقيضين، بخلاف الضدين، الضدان هما اللذان لا يجتمعان، لكن ربما يرتفعان معا، مثل السواد والبياض، لا يكون الشيء أسود أبيض في آن واحد، لكن ربما لا يكون لا أسود ولا أبيض، أحمر أصفر واضح. فعندنا كون الله ﷻ لا داخل العالم، ولا خارجه، هذا رفع للنقيضين، وهذا من أعظم الممتنعات عقلا.

فهم الآن فروا كونهم ما وصفوا الله ﷻ بالعلو؛ خشية الوقوع في التشبيه بماذا؟ بالموجودات فشبهوا الله ﷻ بأعظم الممتنعات، وهذا هو غاية الضلال والانحراف، نسأل الله السلامة.

يا إخوان، لاحظوا قد يقول عاقل، قد يقول إنسان: هل يمكن لشخص يؤمن بهذا الشيء، نعم. هؤلاء فطاحل أئمة، ومع ذلك لما تقول: هل الله داخل العالم أو خارجه، يقول لك: لا داخل العالم ولا خارجه، هذا العقل معاشر الإخوة الذي أعطاه الله الإنسان، وميز الله به الإنسان على سائر الكائنات؛ ليكون سببا لهدايته؛ ولهذا نقرأ

.....

كثيرا في القرآن ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1] ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[2] لكن إذا استخدمه الإنسان في غير ما خلق له، أو أقحمه في أمور فوق طاقته، انقلب هذا العقل –الذي هو في الأصل أساس للهداية– انقلب سببا لبلاء صاحبه، كما حصل مع هؤلاء، هؤلاء أرادوا أن يحملوا عقولهم فوق طاقتها، والعقل –معاشر الإخوة– حاسة كسائر الحواس له حد، وله طاقة.

هذه اليد أعطاك الله إياها، لكن تستخدمها في حدود ما خلقت له، تستطيع ترفع بها هذا الإناء، تستطيع ممكن ترفع بها هذه الطاوية، لكن لو أراد إنسان أن يرفع بهذه اليد هذا المسجد، هل يمكن؟ ولو حاول لتلفت يده، والسبب أنه أراد أن يستخدمها في شيء أعظم من الطاقة التي خلقت لأجله، كذلك العقل هؤلاء أرادوا أن يقحموا عقولهم في كل شيء؛ ولهذا جعلوا العقل هو الميزان، حتى في الأمور الغيبية، حتى في الأمور المتعلقة بالله –عز وجل–؛ ولهذا عادت عقولهم وبالا عليهم، وصارت سببا لضلالهم وانحرافهم، حتى انتهوا إلى مثل هذا المذهب الخبيث، إذا كان الله ﷻ ليس بداخل العالم ولا خارجه، أين هو؟ إذن هو العدم.

ولهذا قال محمود بن سبكتكين لذاك النافي لما وصف الله ﷻ بهذا النفي، ليس في كذا وليس في كذا، قال: ميز لي بين هذا الرب الذي تعبده وبين العدم، لو قلت لك: صف لي العدم ما وجدت أحسن من هذا الوصف؛ ولهذا قال العلماء: المعطل يعبد عدما، والممثل يعبد صنما، ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل ولا منفصل، ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالإصبع.

وهذا أيضا مذهب المعطلة، أنه لا تجوز الإشارة إلى الله بالإصبع؛ لأنك إذا أشرت إليه فقد حددت مكانه، وعندهم أن الله ﷻ لا مكان له ونحوها، بل قد ثبت في الصحيح عن جابر ﷺ وهذا في صحيح مسلم في حجة الوداع، لما قال النبي ﷺ وقد اجتمع له في هذا الموقف ما لم يجتمع له في موقف آخر، جمع له من أصحابه أكثر من مائة ألف، وأنزل الله ﷻ عليه ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾[3] قال: إنكم مسئولون عني يوم القيامة؛ لأن كل أمة ستسأل عن رسولها، هل بلغت؟ هل قصر

---

١ – سورة البقرة آية : ٤٤.

٢ – سورة الأنعام آية : ٥٠.

٣ – سورة المائدة آية : ٣.

.....

في البلاغ؟ فكأنه يقول: إن

كان هناك من تقصير، فأنا الآن موجود حي بين أيديكم بين أظهركم، سلوني أجبكم، إنكم مسئولون عني، فماذا أنتم قائلون، قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فاستشهد الله عليهم.

الشاهد أنه قال: «اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد» ينكبها بمعنى يميل أصبعه إليهم، فهذا دليل على جواز الإشارة إلى الله حسا، خلافا لمذهب المعطلة، إضافة لحديث الجارية السابق، كما في صحيح مسلم، لما سألها أين الله؟ قالت: في السماء، وأشارت إلى السماء، نعم.

ولا أنه تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصبع.

فإن كان الحق فيما يقولوه هؤلاء السالبون النافون للصفاة الثابتة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من هذه العبارات ونحوها، دون ما يفهم من الكتاب والسنة، إما نصا وإما ظاهرا، فكيف يجوز على الله ثم على رسوله ﷺ ثم على خير الأمة أنهم يتكلمون دائما بما هو نص أو ظاهر، في خلاف الحق الذي يجب اعتقاده، ولا يبوحون به قط، ولا يدلون عليه لا نصا ولا ظاهرا، حتى يجيء أنباط الفرس والروم وفروخ اليهود والفلاسفة يدنون، يبينون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف، أو كل فاضل أن يعتقدها.

نعم. المؤلف يقول: فإن كان الحق هو هذا الذي جاء به هؤلاء النفاة المعطلة، وما قالوه خلاف ما ثبت في الكتاب والسنة، يعني أننا نعلم أن مذهبهم مخالف لنص القرآن والحديث، كما في الأدلة السابقة، وذكر الشيخ أنه ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله، ولا عن أحد من الصحابة، ولا من التابعين، ولا من سلف الأمة، ما يقوله هؤلاء، إذن عندنا ما يقوله هؤلاء المعطلة خلاف ما جاءنا في الكتاب والسنة، يقول: كيف يتصور أن يتكلم الله ﷻ ورسوله بما هو نص، لا يحتمل التأويل، أو بما دلالته دلالة ظاهرة له احتمالات، بخلاف الحق، هم الآن يقولون: إن الحق هو الذي جئنا به، وهو الذي نقول به، نعم: ودلالة الكتاب والسنة على خلاف ما قالوا به، إذن فكل ما في الكتاب والسنة خلاف الحق الذي يجب اعتقاده، والحق متوقف على كلام هؤلاء أنباط الفرس، كما وصفه الشيخ –رحمه الله–، أي أخلاط أنباط الفرس والروم، وفروخ اليهود والفلاسفة، فمذهب هؤلاء كما عرفنا هو مستقى من أي شيء من الكتاب والسنة، أبدا أصوله وقواعده وأسسه مأخوذة من فلسفة اليونان، ومن ديانة اليهود والنصارى، نعم.

فإن كان ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب، وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصا أو ظاهرا، لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير، بل كان وجود الكتاب والسنة ضررا محضا في أصل الدين.

نعم. يقول الشيخ: لازم قول هؤلاء أن الكتاب والسنة لم يبينا الحق الذي يجب اعتقاده، على كل مكلف، وإنما الحق هو الذي جاء به هؤلاء، فلازم ذلك أن ترك الناس بلا كتاب ولا سنة خير لهم، من مجيء الكتاب والسنة؛ لأن مجيء الكتاب والسنة ما زادت الناس إلا حيرة.

لازم قولهم أن الهداية لا تؤخذ من الكتاب والسنة، إذن ما فائدة الكتاب والسنة وسيذكر الشيخ بعد أسطر أن هذا القول صرح به بعضهم، وهو لازم للبعض الآخر، وكون الكتاب والسنة بناء على قولهم ضرر محض لا شك، إذا كانت أدلة الكتاب والسنة ليس فيها هداية للخلق، ولا بيان للحق، وإنما الذي فيها خلاف الحق الذي الآن يظهر من أدلة الكتاب والسنة إثبات العلو، إثبات السمع، إثبات البصر، إثبات الاستواء، وهؤلاء يقولون: الحق نفي العلو، نفي السمع، نفي البصر، نفي المجيء، نفي النزول عن الله ﷻ إذن أصبحت دلالة الكتاب والسنة ضرر ولا نفع، ضرر هي تدعو الناس إلى خلاف الحق كما يقوله هؤلاء، نعم.

فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء، أنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله ﷻ وما يستحقه من الصفات نفيا ولا إثباتا، لا من الكتاب ولا من السنة، ولا من طريق سلف الأمة، ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقا له من الأسماء والصفات فصفوه به، سواء كان موجودا في الكتاب والسنة أو لم يكن، وما لم تجدوه مستحقا له في عقولكم فلا تصفوه به، ثم هم هؤلاء فريقان، أكثرهم يقولون: ما لم تثبته عقولكم فانفوه.

ومنهم من يقول: بل توقفوا فيه، وما نفاه قياس عقولكم الذي أنتم فيه مختلفون مضطربون، اختلافا أكثر من جميع اختلاف على وجه الأرض فانفوه، وإليه عند التنازع فارجعوه، فإنه الحق الذي تعبدتكم به، وما كان مذكورا في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا، أو يثبت ما لم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم، فاعلموا أني أمتحنكم بتنزيله، لا لتأخذوا الهدى منه، لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة، ووحشي الألفاظ، وغرائب الكلام، وأن تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله، مع نفي دلالته على شيء من الصفات، هذا حقيقة الأمر على رأي هؤلاء المتكلمين.

نعم. معلوم أن جمهور أهل الكلام عندهم قانون اتفقوا عليه، وهو أنه إذا تعارض النقل مع العقل قدموا العقل، إذا تعارض الدليل النقلي مع الدليل العقلي، قدموا الدليل العقلي، وهذا هو واقعهم فيما يتعلق ما يجب لله ﷻ وما يجوز عليه، وما يمتنع عليه، لم يرفعوا بدلالة الكتاب والسنة رأسا،

بل معولهم في ذلك على أيش؟ على ما يزعمونها الأدلة العقلية، ما نحتته عقولهم؛ ولهذا يقول الشيخ: فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء: إنكم يا معشر العبّاد –أي: يا معشر المسلمين– لا تطلبوا معرفة الله ﷻ وما يستحقه من الصفات نفيا وإثباتا لا من الكتاب ولا من السنة، إذن من أي شيء؟ من عقولكم؛ ولهذا مما أُورِد عليهم، قيل لهم: ما هو العقل الميزان في هذا الأمر؟ هل هو عقل ابن سينا، أو قبله أرسطو أو الفارابي، أو الرازي أو القاضي عبد الجبار، أو ابن حسين البصري، عقل من؟ من نزن بعقله ما يجب لله عز وجل؟

ولهذا صار من أكثر الناس اختلافا وتفرقا هم هؤلاء المعطلة –أهل الكلام–، لماذا؟ لأنهم اعتمدوا على عقولهم وليس عندنا عقل واحد، إذا كانت العقول تتباين في أمور بسيطة، أحيانا في أمور دنيوية، فما الظن إذا حُكّمت

.....

هذه العقول في أمور غيبية؛ ولهذا لاحظوا المعتزلة فرقة واحدة أو فرق؟ بدأت فرقة واحدة ثم بدأت تتفرق على نفسها، كلٌّ يقول قولا ويختط رأيا ومنهجا ويذهب إليه، وبعضهم يكفر بعضا؛ الخوارج فرق شتى، الجهمية فرق شتى، المرجئة فرق شتى، الرافضة فرق شتى، والسبب أن المصدر متعدد، المصدر العقل.

لكن أهل السنة من زمن النبي ﷺ إلى يومنا، بل إلى قيام الساعة، فرقة واحدة، طائفة واحدة، الذي يقول به أبو بكر وعمر هو الذي يقول به الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين؛ لأن الكل يصدر ويرد على مصدر واحد الكتاب والسنة، نعم اختَلفوا في المسائل العملية المسائل الفقهية، لكن مسائل الأصول أمور العقائد الثابتة الواضحة البينة الكل متفق عليها.

فهؤلاء اعتمدوا فيما يجب لله ﷻ في النفي والإثبات على عقولهم؛ ولهذا زعموا أن ما أثبته العقل وجب إثباته، وما نفاه العقل وجب نفيه، وما لم يثبته العقل أو ينفه اختلفوا إلى طائفتين: فمنهم من قال: يجب النفي، ومنهم من قال: يتوقف فيه.

فقول الشيخ: "وما نفاه قياس عقولكم الذي أنتم فيه مختلفون مضطربون اختلافا أكثر من جميع اختلاف على وجه الأرض"، هذا هو واقع هؤلاء الذين اعتمدوا على عقولهم، بل الشخص الواحد منهم يقرر مسألة ثم يقرر نقيضها في موضع آخر، كما هي حال الرازي كما ذكر، يقرر مسألة في هذا الموضع ثم يقرر ما يناقضها في موضع آخر، والسبب ليس عنده قاعدة ثابتة، يعتمد على ما يسمى بدلالة العقل.

نعم، نحن لا نخالفهم في أن دلالة العقل دلالة معتبرة، لكن دلالة العقل الصحيح وليست هذه الشبهات التي يقدمونها للناس ويزعمون أنها أدلة عقلية، هذه في واقع الأمر شبهات كما قال الشيخ، بل مجهولات، أما العقل الصحيح، الأدلة العقلية الصحيحة لا يمكن أن تتعارض مع الأدلة النقلية الصحيحة، لكن ما عارضوا به الأدلة النقلية وزعموا أنها أدلة عقلية هي شبهات عقلية وليست أدلة عقلية.

إذن ما فائدة القرآن على رأي هؤلاء، إذا كان العمدة والمعول على العقل فما فائدة القرآن؟ بعضهم قال: فائدة القرآن زيادة شاهد فقط؛ ولهذا هم يقبلون بدلالة القرآن والسنة متى؟ إذا وافقت عقولهم، فجعلوه تحصيل حاصل، وإذا خالف العقل ردوه. طيب إذا أخذتم به هل تعتمدون عليه؟ قالوا: لا، زيادة شاهد فقط،

ومنهم من قال: لا، إنما فائدة القرآن والسنة، فائدة القرآن ... وإن السنة غالبا ما يسلطون عليها سيف الرد والطعن بحجة أنها خبر الآحاد، وخبر الآحاد لا يؤخذ به في باب العقائد.

فالقرآن بعضهم يقول: لا، أنزله الله ﷻ لامتحان العباد، ولأجل أن يجتهد العباد في صرف ظواهر هذه النصوص

.....

فيكتسبوا بهذا الاجتهاد الأجر عند الله ﷻ وممن صرح بهذا –كما ذكره الشيخ– أبو حامد الغزالي –عفا الله عنا وعنه– في أول حياته، وأيضا ابن عقيل الحنبلي قبل رجوعه لما كان على مذهب الاعتزال، وابن رشد الحفيد.

يقول الشيخ: "الجهمية النفاة يقولون: فائدة إنزال هذه النصوص المثبتة للصفات وأمثالها من الأمور الخبرية التي يسمونها هم المشكل والمتشابه"، النصوص المثبتة لصفات الله ﷻ وهم يسمونها النصوص المشكلة، النصوص المتشابهة، فائدة هذه النصوص –مجيئها في القرآن– يقول: فائدتها عندهم اجتهاد أهل العلم في صرفها عن مقتضاها، صرفها عن ظاهرها، عن دلالتها، بالأدلة المعارضة لها حتى تنال النفوس كدَّ الاجتهاد، يعني: إذن فائدة هذه الآيات الله ﷻ أنزل علينا هذه الآيات أيش؟ لنجتهد في صرفها عن ظاهرها، وحتى تنهض إلى التفكر والاستدلال بالأدلة العقلية المعارضة لها الموصلة إلى الحق، فحقيقة الأمر عندهم أن الرسل خاطبوا الخلق بما لم يبيِّن الحق ولا يدل على العلم ولا يفهم منه الهدى، بل يدل على الباطل ويفهم منه الضلال ليكون انتفاع الخلق بخطاب الرسل اجتهادهم في رد ما أظهرته الرسل وأفهمته الخلق.

إذن ملخص كلام الشيخ: أن هؤلاء يزعمون أن الآيات والنصوص التي جاءت في إثبات الصفات لله ﷻ فقط لأجل أن يجتهد الناس في صرفها عن ظاهرها فيؤجرون على هذا الاجتهاد، أما ظاهرها فهو لا يهدي إلى الحق ولا يوصل إلى المعتقد الصحيح.

وهذا الكلام قد رأيته صرح بمعناه طائفة منهم، وهو لازم لجماعتهم لزوما لا محيد عنه، ومضمونه أن كتاب الله لا يهتدَى به في معرفة الله، وأن الرسول ﷺ معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله، وأن الناس عند التنازع لا يردون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول ﷺ بل إلى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية، وإلى مثل ما يتحاكم إليه مَن لا يؤمن بالأنبياء: كالبراهمة والفلاسفة، وهم المشركون والمجوس وبعض الصابئين.

نعم، هذا مضمون مقول هؤلاء في اعتمادهم أو دعوة الناس إلى الاعتماد على العقل وترك دلالة الكتاب والسنة: أن كتاب الله ﷻ لا يهتدى به في معرفة الله، هذا الكتاب الذي قال الله ﷻ فيه: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾[1] هم يقولون فيما يتعلق بأعظم المسائل –مسائل الاعتقاد المتعلقة بالله عز وجل–: هذا الكتاب لا يهتدى به، والرسول ﷺ لم يعلم ولم يبين للخلق ما يجب لله ﷻ وأن الناس إذا تنازعوا في مثل هذه المسائل لمن يرجعون؟ للكتاب والسنة كما أمر الله عز وجل؟ لا، يرجعون إلى عقولهم.

وهذا ما كان عليه الناس في الجاهلية قبل مجيء الكتاب والسنة، فكأنهم يريدون من المسلمين أيش؟ أن يعودوا إلى ما كان عليه أهل الجاهلية، الله ﷻ لمَّا أرسل الرسل وأنزل الكتب لأجل ماذا؟ لأجل أن يتحاكم الناس إليهما، لأجل أن يهتدي الناس بهما. هؤلاء قالوا: لا، الهداية والحق ليس بالكتاب والسنة إنما بهذه الأدلة العقلية التي جاءوا بها.

---

١ – سورة البقرة آية : ١-٢.

وإن كان هذا الرد لا يزيد الأمر إلا شدة ولا يرتفع الخلاف به، إذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا إليهم، وقد أمروا أن يكفروا بهم، وما أشبه حال هؤلاء المتكلفين بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ ﴾[1] .

فإن هؤلاء إذا دعوا إلى ما أنزل الله من الكتاب وإلى الرسول –صلى الله عليه وسلم، والدعاء بعد وفاته هو الدعاء إلى سنته– أعرضوا عن ذلك وهم يقولون: إنا قصدنا الإحسان علما وعملا بهذه الطريق التي سلكناها، والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية.

الشيخ رحمه الله يقول: وإن كان هذا الرد وهذه اللوازم التي ذكرتها ومضمون مقولة هؤلاء قد لا تزيد الأمر إلا شدة، وذلك أن عامة أتباع هؤلاء يجهلون مثل هذه الأمور؛ ولهذا يزخرفون عليهم بهذه الشبهات التي ظاهرها السلامة لكن السم الزعاف في مضمون هذا الذي جاءوا به.

الشيخ يقول: إن الأمر يزداد شدة بمثل بهذا الرد، لكن لا بد من إيضاح الحق للناس؛ لأنهم إذا قرءوا مثل ذلك سيرجعون إلى معظميهم وإلى طواغيتهم فيلبسون عليهم، وهذه حال المبتدع، ومن هنا تأتي خطورة البدعة، أن صاحب البدعة في كثير من الأحيان خاصة إذا تعمق فيها أنه يستمر –نسأل الله السلامة– فيها؛ ولهذا تكلم العلماء في قضية توبة المبتدع، وهل المبتدع له توبة أم لا، وأشار النبي ﷺ إلى ذلك في حديث ☜ تتجارى بهم الأهواء ☜ وفي حديث الخوارج ☜ يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه ☜ دليل على أن من تمكنت البدعة من قلبه أن الغالب أيش؟ لا يعود.

ولهذا جاء في الأثر أن إبليس قال: سلطتُ الشبهات على بني آدم فأحرقوني بالاستغفار، يعصون الله ثم يستغفرون

---

١ – سورة النساء آية : ٦٠–٦٢.

.....

فيغفر الله لهم. وهذه هي حال مرتكب الكبيرة، يفعل الكبيرة لكن وهو يفعلها يعرف ويشعر أنه عاصٍ مقصر في جنب الله عز وجل؛ ولهذا يفعلها وهو خائف، يفعلها وهو يرجو التوبة، إذا انتهى منها بادر أحيانا إلى التوبة، يقول: فسلطت عليهم الشبهات، فهم يعصون الله وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، صاحب البدعة يتزود من هذه البدعة، لأيش؟ لأنه يرى أنه يتعبد الله ﷻ بها.

ولهذا الشيخ في آخر الرسالة ذكر أن الناس تجاه علم الكلام ثلاث طوائف، وقال: أشد الطوائف الثلاث خطرا هؤلاء المتوسطون الذين اغتروا بما مع كبرائهم من بهرجة القول، فهم مغترون بما معهم من هذا الكلام، أما من دخل بهذا العلم وبلغ غايته فقد اتضح له الحق، وأن هذا العلم وهذا الطريق الذي سلكه لا يهدي إلى حق، كحال الرازي والجويني والغزالي وأمثالهم ممن أورد الشيخ أمثلة عليهم.

أقول: بمثل هذا الأمر يعرف الإنسان خطورة البدعة والحرص على متابعة سنة النبي ﷺ والابتعاد عن مخالفة السنة حتى في الأمور الدقيقة؛ لأنه ربما يستجره الشيطان حتى يوقعه في هذه البدعة العظيمة، أحيانا قد يصل إلى درجة الكفر.

ثم عامة هذه الشبهات التي يسمونها دلائل إنما تقلدوا أكثرها عن طواغيت المشركين أو الصابئين أو بعض ورثتهم الذين أمروا أن يكفروا بهم، مثل فلان وفلان، أو عمن قال كقولهم لتشابه قلوبهم: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[1] ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ ﴾[2] .

الشبهات هذه التي يوردونها سيذكر الشيخ الدليل على ذلك أن غالب هذه الشبهات إنما استقوها وأخذوها عن ضلال الصابئين وعن أنباط الفرس ودين الفلاسفة، وسيذكر الشيخ أن مقالة التعطيل أصلها من اليهود، وذكر سلسلة التعطيل أو سيذكرها بعد أسطر، وهم في هذه الشبهات يرجعون إلى هؤلاء الطواغيت الذين أمر الله ﷻ أن يكفروا بهم، ونفى الإيمان عن من لم يُحكم الله ورسوله فيما تنازع فيه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[3] **أقسم الله ﷻ بأعظم مقسم به، أقسم بنفسه أن الإنسان لا يؤمن حتى أيش؟ يحكم الرسول ﷺ** ﴿ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[4] **هل يكفي؟ لا** ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا ﴾[5] **هل يكفي؟ لا** ﴿ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[6] .

إذا كان هذا في عامة الأمور المختلف فيها، فما الظن إذا كانت هذه الأمور من الأصول الاعتقادية التي لا يمكن

---

١ – سورة النساء آية : ٦٥.

٢ – سورة البقرة آية : ٢١٣.

٣ – سورة النساء آية : ٦٥.

٤ – سورة النساء آية : ٦٥.

٥ – سورة النساء آية : ٦٥.

٦ – سورة النساء آية : ٦٥.

.....

أن تؤخذ إلا عن الرسول ﷺ فمن حكم غير الرسول في ذلك، من حكم من خالف الرسول في ذلك فهو داخل تحت هذه الآية من باب أولى.

ولازم هذه المقالة ألا يكون الكتاب هدى للناس ولا بيانا ولا شفاء لما في الصدور ولا نورا ولا مردا عند التنازع، إنا نعلم بالاضطرار أن ما يقوله هؤلاء المتكلفون أن الحق الذي يجب اعتقاده لم يدل عليه الكتاب والسنة لا نصا ولا ظاهرا، وإنما غاية المتحذلق أن يستنتج هذا من قوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[1] وقوله: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾[2] **وبالاضطرار يعلم كل عاقل أن من دل الخلق على أن الله ليس على العرش ولا فوق السماء ونحو ذلك بقوله:** ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾[3] لقد أبعد النجعة، وهو إما ملحد أو مدلس، لم يخاطبهم بلسان عربي مبين، ولازم هذه المقالة أن يكون تركُ الناس بلا رسالة خير لهم في أصل دينهم؛ لأن مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد، وإنما الرسالة زادتهم عمى وضلالا.

نعم، لازم هذه المقالة؛ المقالة التي ذكرها الشيخ أن العقل مقدم على النقل، وأن ظواهر النصوص لا يُهتدَى بها، لازم هذه المقالة أن القرآن الذي هو هدى للناس وبيان وشفاء لما في الصدور ونور ليس كذلك، لماذا؟ لأنه يقول: نعلم بالاضطرار أن ما يقوله هؤلاء المتكلفون –أي: من أهل الكلام– أن الحق الذي يجب اعتقاده لم يدل عليه الكتاب والسنة لا نصا ولا ظاهرا، هذا الضلال الذي جاء به هؤلاء –هذا النفي– عرفنا وقرر الشيخ أنه ليس بالكتاب ولا بالسنة لا ظاهرا ولا نصا، وإنما غاية المتحذلق، أي: المتكيس المرتفع على قدره، وهذه صفة هؤلاء أنهم تكايسوا، غاية ما في ذلك أن يستدِل على نفي صفة العلو ونفي كل الصفات التي ينفيها بماذا؟ بقول الله ﷻ ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾[4] نعم ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[5].

المعطلة في كل تعطيلهم، في جميع الصفات التي عطلوها، استندوا في ذلك في القرآن إلى هاتين الآيتين وأمثالهما:

---

١ – سورة الإخلاص آية : ٤.

٢ – سورة مريم آية : ٦٥.

٣ – سورة مريم آية : ٦٥.

٤ – سورة مريم آية : ٦٥.

٥ – سورة الإخلاص آية : ٤.

.....

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾[1] ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾[2] **نفوا صفة العلو وقالوا : دليلنا** ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾[3] **وجه الدلالة، نَفَوا الاستواء وقالوا: دليلنا من القرآن** ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾[4] **و** ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾[5] **و** ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[6] **المعتزلة نفوا السمع والبصر والبصر عن الله وقالوا: دليلنا هذه الأدلة، الجهمية نفوا الأسماء عن الله ﷻ وقالوا: هذا هو دليلنا وجه الدلالة؟ قالوا: وجه الدلالة أن إثبات هذه الصفات يستلزم التشبيه، والله ﷻ نفى عن نفسه التشبيه بهذه الآيات.**

يقول المؤلف: "وبالاضطرار" وقلنا: إن الاضطرار هو ما لا يمكن دفعه، يعني: يُعلَم ضرورة، يَعلَم كل عاقل أن من دل الخلق على أن الله ليس على العرش ولا فوق السماوات بقوله: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾[7] **لقد أبعد النجعة، يعني: جانب الصواب، سبحان الله! هل الله ﷻ يريد منا أن ننفي عنه صفة العلو وصفة الاستواء ثم يدلل لنا بهذه الآية، هل يقول هذا عاقل؟! فهذا أمر معلوم بالاضطرار أنه لا يمكن أن يكون الله ﷻ أراد نفي هذه الصفات بهذه الآية، وإنما هذا من تلبيس هؤلاء على الناس.**

ولهذا قال الشيخ: "إن من زعم أن الله نفى عن نفسه الصفات بهذه الآية فهو إما ملغز أو مدلس" يعني: لازم هذا القول أن يكون مَن نفى عنه هذه الصفات بهذه الآية أن يكون مُلغِزا أو مدلِّسا وهذا أيش؟ الله ﷻ منزه عنه، هل يريد أن يخادع العباد؟ هل يريد أن يضل العباد؟ لأن العباد ما يمكن أن يستدلوا بنفي هذه الصفات بهذه الآية، وأنت الآن أنزلت علينا هذا القرآن وقلت: إنه نور وهدى، ثم تأتي بهذه الآية لتستدل بها على نفي هذه الصفة، كيف يكون هدى ونورا؟ ولهذا قال المؤلف: لازم هذه المقالة أن يترك الناس بلا رسالة وبلا كتاب خير لهم من هذا الكتاب الذي أوقعهم في هذه الحيرة، وكل هذه اللوازم يريد الشيخ أن يبين بطلان وضلال وانحراف هذا المذهب من أصوله.

---

١ – سورة الإخلاص آية : ٤.

٢ – سورة مريم آية : ٦٥.

٣ – سورة الإخلاص آية : ٤.

٤ – سورة الإخلاص آية : ٤.

٥ – سورة مريم آية : ٦٥.

٦ – سورة الشورى آية : ١١.

٧ – سورة مريم آية : ٦٥.

يا سبحان الله! كيف لم يقل الرسولُ ﷺ يوما من الدهر ولا أحدٌ من سلف الأمة: هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه لكن اعتقدوا ما تقتضيه مقاييسكم، أو اعتقدوا كذا وكذا فإنه الحق، وما خالف ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره، وانظروا فيما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه، وما لا فتوقفوا فيه وانفوه!

نعم، يقول الآن وهذا قرره الشيخ سابقا وهو الآن يؤكده يقول: ابحثوا، هل وجدتم حديثا عن النبي ﷺ أو أثرا عن سلف الأمة أنهم قالوا: لا تعتقدوا ظواهر هذه النصوص واعتقدوا كذا وكذا، انفوا عن الله صفة العلو، الله ليس في العلو، أو الله ﷻ ليس مستويا على عرشه، أو ليس لله يدان، أو الله ﷻ لا ينزل، أعطونا أثرا واحدا عن أحد من السلف فضلًا أن تجدوا حديثا عن النبي ﷺ وهل أحالنا النبي ﷺ أو أحالنا الله ﷻ على عقولنا في هذه الأمور، أن نرجع ونقيس بعقولنا، فما أثبتته هذه العقول أثبتناه وما نفته هذه العقول نفيناه، أنى لكم ذلك؟ أعطونا دليلا، أعطونا آثارا من علم.

نشأة الفرق والفرقة الناجية

ثم الرسول ﷺ قد أخبر بأن أمته ستفترق ثلاثا وسبعين فرقة، فقد علم ما سيكون، ثم قال: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا –كتابَ الله، وروي عنه ﷺ أنه قال في صفة الفرقة الناجية: 🗀 ومن كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي 🗀 .

نعم النبي ﷺ كما في السنن عند أبي داود والترمذي وغيرهما بسند صحيح، عن جمع من الصحابة، عن ابن عمر وأبي هريرة وجابر ومعاوية، أنه أخبر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، فقال: 🗀 افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، واختلفت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة 🗀 فعلم –عليه الصلاة والسلام– ما سيكون من افتراق أمته، أن هذه الأمة ستفترق لا محالة، وهذا خبر منه –عليه الصلاة والسلام– ووقع ما أخبر به عليه الصلاة والسلام.

طيب الآن علم أن هذه الأمة ستفترق، ما المخرج؟ كيف تعرف الأمة الفرقة الحق؟ كيف تعرف الفرقة الناجية؟ يعني: كأن هناك سائل سأل النبي ﷺ وهذا من لوازم الرسالة؛ لأن الله ﷻ أرسله ليبلغ هذا الدين للناس: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾[1] فكأن قائلا يقول: يا رسول الله، إذن أي الفرق الفرقة التي على الحق؟ وكيف نعرف الفرقة التي على الحق من هذه الفرق؟ ما المنهج؟ فقال في الحديث الآخر: 🗀 إني تارك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا، كتابَ الله وسنتي 🗀 هل أحالنا على عقولنا؟ هل أحالنا على فلسفة اليونان؟ على منطق أرسطو؟ على قول فلان أو علان؟ لا، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا.

انتبهوا إذا افترقت الأمة فاعتصموا بهذين الحبلين، ومن اعتصم بهما فلن يضل، وفي رواية: 🗀 قالوا: يا رسول الله، من هي هذه الفرقة الناجية؟ 🗀 صِفها، جلِّها لنا، قال: 🗀 من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي 🗀 .

هذه الرواية جاءت من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي، وهو ضعيف، لكن لها شواهد تتقوى بها، الشاهد: أن من أراد النجاة في باب الاعتقاد وغير باب الاعتقاد فعليه أن يلزم الكتاب والسنة، ويلزم منهج أصحاب النبي ﷺ .

---

١ – سورة المائدة آية : ٦٧.

فهلا قال: من تمسك بظاهر القرآن في باب الاعتقاد فهو ضال، وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم، وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة، وإن كان قد نبغ أصلها في أواخر عصر التابعين.

نعم، يقول: ما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة؛ لأنه بعد القرون الثلاثة انتشرت مقالة المعطلة وظهرت البدع وتوسعت؛ ولهذا قال الشيخ: وإن كان قد نبغ أصلها في أواخر عصر التابعين على يد الجعد بن درهم فبدايتها كانت في أواخر عصر التابعين، لكن متى انتشرت هذه المقالة وصار لها مُنَظِّرُوها ولها من يدافع وينافح ويحاجج عنها بعد انقضاء القرون الثلاثة.

نشأة مذهب المعطلة لصفات الله ﷻ

ثم أصل هذه المقالة –مقالة التعطيل للصفات– إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين؛ لأن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه. وقد قيل: إن الجعد أخذقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم. وكان الجعد هذا –فيما قيل– من أهل حران، وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة، بقايا أهل دين النمرود من الكنعانيين الذين صنف بعض المتأخرين في سحرهم.

نعم، مقالة التعطيل هذه التي يرد عليها الشيخ يقول: أصلها مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين، وأورد هذه السلسلة أول من تكلم بالتعطيل في الإسلام الجعدُ بن درهم، الذي قتل في سنة مائتين وأربعين، أو في حدود منتصف القرن الثالث، قتله خالد بن عبد الله القسري، وذلك أنه خطب الناس يوم عيد الأضحى فقال: ضحوا – تقبل الله ضحاياكم– فإني مضحٍّ بالجعد بن درهم، فإنه يزعم أن الله لم يكلم موسى تكليما ولم يتخذ إبراهيم خليلا، ثم نزل فذبحه؛ ولهذا يقول فيه ابن القيم رحمه الله:

ولأجل ذا ضحى بجعد خالد الـ قسري يوم ذبائح القربان
إذ قال إبراهيم ليس خليله أيضا ولا موسى الكليم الداني

الشاهد أول من تكلم وتفوه بمقالة التعطيل هو الجعد بن درهم، من أين أخذها الجعد؟ الجعد أخذها عن بيان بن سمعان أو أبان بن سمعان التميمي، وبيان أخذها من طالوت، طالوت هذا ابن أخت لبيد بن الأعصم، خاله لبيد بن الأعصم، طالوت أخذها من لبيد بن الأعصم، ولبيد بن الأعصم هو الساحر الذي سحر النبي ﷺ وهذا ثابت في الصحيحين، ثم جاء الجهم بن صفوان الراسبي وتلقف هذه المقالة عن الجعد ونشرها بين الناس فنسبت إليه؛ ولهذا سمي كل معطل جهميًّا، وقد قبض عليه سلم بن أحوز والي خراسان، فقال له: اعف عني، قال: والله لو كنت في بطني لشققت بطني حتى أخرجك وأقتلك، فقتله رحمه الله.

الجهم بن صفوان تلقف هذه المقالة عن الجعد ونشرها بين الناس، وربما أنها انقدحت في ذهنه، وازداد البلاء عنده لما ناظر السمنية، طائفة من طوائف الهند، من ملاحدة الهند، هذا سيذكره الشيخ الآن، ناظروه في الله ﷻ قالوا له: هل رأيت ربك؟ قال لا، هذه الطائفة لا تؤمن إلا بالمحسوسات، قالوا: هل شممت ربك؟ قال: لا، هل سمعت ربك؟ قال: لا، هل ... هل ... قال: لا، قالوا له: إذن أنت تعبد عدما، فدخل فاحتجب عن الناس أربعين

.....

يوما لا يشهد لا جمعة ولا جماعة، ثم خرج إلى الناس بهذا المذهب الخبيث، وهذه المناظرة ذكرها الإمام أحمد في الرد على الجهمية.

الشاهد: أنه اجتمع عنده هذا البلاء وهذا البلاء فظهر وتمخض للناس بهذا المذهب الذي هو مذهب التعطيل، فنفى عن الله ﷻ كل صفة وكل اسم.

والنمرود هو ملك الصابئة الكنعانيين المشركين، كما أن كسرى ملك الفرس والمجوس، وفرعون ملك القبط والكفار.

قول المؤلف رحمه الله: "والكنعانين الذين صنف بعض المتأخرين في سحرهم" هو يلمح إلى الفخر الرازي، فإنه ألف كتابا في أول حياته، وهذا الذي نرجو –إن شاء الله– كما قال الذهبي سماه السر المكتوم في مخاطبة النجوم، أو في السحر ومخاطبة النجوم، لكن يرجى أنه تاب من ذلك، وأن تأليف الكتاب هذا في أول حياته؛ ولهذا الشيخ هنا أبهم، لكن في مواضع أخرى صرح قال: الرازي الذي ألف الكتاب.

والنمرود هو ملك الصابئة الكعانيين المشركين، كما أن كسرى ملك الفرس والمجوس، وفرعون ملك القبط والكفار، والنجاشي ملك الحبشة النصارى، فهو اسم جنس لا اسم علم.

نعم، يعني: هذه الأسماء التي هي (كسرى والنجاشي والنمرود) ليست علما على شخص، إنما هي اسم جنس، كل من تولى هذا المنصب.. كل من تولى ملك مصر في تلك الفترة يسمى فرعون، وكل من تولى ملك الحبشة يسمى نجاشيا، وكل من تولى ملك الصابئين يسمى نمرودا.

ما الفرق بين اسم الجنس واسم العلم؟

العلم هو الخاص بذات لا يتبادر إلى غيره، بخلاف اسم الجنس فهو اسم عام مثل إنسان، إنسان اسم جنس ينضوي تحته زيد وعمر وخالد، لكن إذا قلت: خالد أو فاطمة، اسم علم يخرج البقية.

كانت الصابئة -إلا قليلا منهم- إذ ذاك على الشرك وعلماؤهم الفلاسفة، وإن كان الصابئ قد لا يكون مشركا؛ بل مؤمنا بالله واليوم الآخر، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[1]:، وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[2] لكن كثيرا منهم أو أكثرهم كانوا كفارا أو مشركين؛ كما أن كثيرًا من اليهود والنصارى بدّلوا وحرفوا وصاروا كفارا أو مشركين، فأولئك الصابئون الذين كانوا إذ ذاك كانوا كفارا مشركين، وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل.

الشيخ -رحمه الله- يقول: الجعد إضافة إلى أنه تلقف هذه المقالة بهذه السلسلة عن اليهود أيضا هو نشأ وعاش في أي مكان؟ في حران، وحران هذه كانت موطن الصابئين وموطن الفلاسفة وموطن عموم الكفار من كل المذاهب، من اليهود والنصارى، بمعنى: أنه اجتمع في هذه المنطقة عدة ديانات وعدة فلسفات، فكأن الجعد تأثر أيش؟ بمقولة هؤلاء، وأن مقالة التعطيل نبتت أين؟ نبتت في المدينة؟ نبتت في مكة؟ نبتت في زمن الصحابة؟ نبتت في بيت النبوة؟ لا، نبتت في هذه البيئة التي هي أخلاط من ديانات وفلسفات أخرى.

ثم جاء بهذه الجملة الاعتراضية التي يبين أن الصابئة هي كاليهودية والنصرانية من الديانات التي تنقسم إلى مؤمن وكافر، لكن الكفر فيها أكثر؛ ولهذا ذكرهم الله ﷻ ضمن هذه الديانات: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَادُواْ وَٱلَّذِينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾[3] **اشتهر عن الصابئة أنهم كانوا يعبدون الكواكب، يعبدون الشمس والقمر؛ ولهذا بنوا لها الهياكل، بنوا لها المعابد، والفلاسفة تأثروا في فلسفتهم وتعظيم**

---

١ - سورة البقرة آية : ٦٢.

٢ - سورة المائدة آية : ٦٩.

٣ - سورة البقرة آية : ٦٢.

.....

الكواكب بدين الصابئة، وهم الذين بعث فيهم إبراهيم عليه السلام، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

س : أحسن الله إليكم، هذا السائل يقول: هل كتاب نقض التأسيس هو نفسه كتاب درء تعارض العقل والنقل؟

ج : لا، نقض التأسيس يختلف عن كتاب درء تعارض العقل والنقل، نقض التأسيس ألفه الشيخ للرد على أساس التقديس الذي هو كتاب الرازي، هو كتيب صغير مطبوع (أساس التقديس)، فرد عليه الشيخ في كتابه نقض التأسيس، طبع منه جزآن وجزء منه ملفق، بعناية الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله، لكن الكتاب حقق الآن، وفيما أعلم أن مطبعة الملك فهد قد طبعت الكتاب في قرابة ثمانية إلى تسعة أجزاء، أما درء تعارض العقل والنقل فلا، هو كتاب أجاب به الشيخ على سؤال وردَ عليه، جاءه سؤال فقال يا شيخ: إذا تعارض الدليل العقلي مع الدليل النقلي فأيهما نقدم؟

فكتب جواب هذا السؤال في هذا الكتاب المطبوع بين أيدينا في تسعة أجزاء، إجابة على هذا السؤال، قد تستكثرون، لكن من قرأ أول الكتاب علم أن هذا ليس بكثير على إجابة السؤال، الشيخ يقول: لأن كل الضلال والانحراف والتفرق بسبب الإجابة على هذا السؤال، فلو وافقنا المخالفون لنا –المخالفون لأهل السنة– وافقونا على إجابة هذا السؤال لسرنا نحن وإياهم على منهج واحد، فهم بنوا ضلالهم وتعطيلهم وانحرافهم على تقديم العقل على النقل.

س : يقول: ما أفضل طبعة للدرء، وهل تنصحون به طالب العلم المبتدئ؟

ج : الدرء الذي أعرفه أنا ليس له إلا طبعتان: الطبعة التي طبعت قديما في حاشية منهاج السنة، والطبعة الثانية هي التي طبعت بعناية دكتور محمد رشاد سالم –رحمه الله– وطبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود، وهي الموجودة الآن، وأما هل ينصح به لطالب العلم المبتدئ؟ أقول: لا، لماذا؟ لأنه سيلاحظ أنه سيقرأ عشرات الأوراق ربما لا يفهم منها شيئا، ففيها من المسائل العقلية والمسائل المنطقية الشيء الكثير، فينصح: الكتاب يستفاد منه كمرجع، ومن توسع في فهم كلام شيخ الإسلام وكلام المخالفين بعد ذلك يرجع ويقرأ فيه، وإلا يقرأه على أحد المشايخ، لكن بعد أن يؤسس نفسه في هذا العلم، وأنا أنصح طلبة العلم لمن أراد فهم كلام شيخ الإسلام في باب الأسماء والصفات على وجه الخصوص، وفي باب العقائد على وجه العموم أن يقرأ التدمرية، التدمرية هذه هي الرسالة المختصرة هي عبارة عن قواعد وأسس، مَن فهمها فهم سائر كلام شيخ الإسلام، لكن لا يستطيع الإنسان أن يفهمها بنفسه، فلا بد من قراءتها على أحد المشايخ.

.....

س : أحسن الله إليكم، يقول: ما صحة القول: كل ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك؟ وهل هو حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم؟

ج : لا أعرف أنه حديث عن الرسول ﷺ وإنما هو من كلام شيخ الإسلام، ونقله عن ابن الماجشون من أئمة السلف، أنه كلما خطر ببالك أو سنح في خيالك مهما تصورت فالله أعظم وأجل، وهناك مثال قريب: الجنة مخلوق من سائر المخلوقات أم لا؟ والنبي ﷺ يقول: 📖 فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، يقول أبو هريرة راوي الحديث : اقرءوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[1] 📖 مهما تصورت نعيم الجنة لن يدور في ذهنك الحقيقة، فإذا كان هذا في حق المخلوق فما الظن بالخالق!

النبي ﷺ يقول: 📖 لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها 📖 كم موضع السوط؟ متر في سنتيمرات، هذا الموضع في الجنة خير من الدنيا وما فيها، فكيف يمكن للعقل أن يتصور الجنة، فإذا كان هذا في مخلوق من مخلوقات الله فما الظن بالخالق!

هناك أمر آخر، مثال آخر: ثبت عن ابن عباس أن الكرسي نسبته للعرش كحلقة ملقاة في فلاة، خذ حلقة وألقها في فلاة من الأرض، ما نسبة هذه الحلقة من هذه الفلاة؟ لا شيء، والسماوات والأرض في جوف الكرسي كنسبة هذه الحلقة لهذه الفلاة، فهل يمكن للعقل أن يتصور قدر العرش، والله أعظم من العرش، وهو الممسك للعرش وما دون العرش؛ وعليه فلا يمكن للعقل بل يستحيل أن يتصور العقل حقيقة صفة الله ﷻ .

ولهذا ابن القيم وهو يتكلم عن حديث اليهودي الذي في صحيح مسلم، الذي دخل على النبي ﷺ وقال: 📖 إنا نجد أن الله يضع السماوات على أصبع والأرضين على أصبع والشجر على أصبع، ثم يهزهن 📖 الحديث، يقول –رحمه الله– هذه هي الأصابع فما الظن بالكف، فما الظن بالمتصف بهذه الكف، تعالى الله عن ذلك! فالواجب على المسلم أن يتأمل هذه الأسماء والصفات، لكن هذا التأمل لا يدعوه إلى محاولة معرفة أيش؟ كيفية هذه الصفات، وكلما تأمل هذه الصفات كلما ازداد خوفا ووجلا من الله ﷻ وازداد قربا من الله ﷻ .

س : أحسن الله إليك وبارك في علمك، يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ذكرتم عن شيخ الإسلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾[2] أن السلف لا يذهبون إلى التأويل، فكيف تفسير قوله ﷺ

---

١ – سورة السجدة آية : ١٧.

٢ – سورة البقرة آية : ١١٥.

.....

﴿ إذا قام أحدكم في صلاته فلا يبصق أمام وجهه فإن الله تجاهه ﴾ أو كما قال ﷺ .

هذا ليس فيه تأويل، ومثل العلماء بمثال حسي قالوا: لا يعني أن يكون الله تجاهه أنه موجود بذاته في قبلته، لا، ما يقول هذا مسلم، الله ﷻ عال على الخلق، لكن كما أنه معنا وهو فوق سماواته وفوق عرشه فهو أيضا تجاه المصلي وهو فوق عرشه وفوق سماواته، ولله المثل الأعلى لو كان الإنسان يصلي وضوء القمر أمامه، هل معنى أن ذات القمر أمامه؟ أليس يقال: إن القمر أمام هذا الشخص أم لا؟ وليس هذا فيه تأويل، هذه هو حقيقة الكلام، فالعرب كانوا يقولون: مازلنا نسير والقمر معنا، والقمر أين؟ في السماء.

فقول النبي ﷺ ﴿ الله ﷻ تجاهه ﴾ لا يعني هذا أن يكون موجودا بذاته أمام المصلي ولا مختلطا بالمصلي، وليس في هذا تأويل بل هذا هو ظاهر النص، التأويل يا إخوان ولعلنا نشير إليه في الدروس القادمة، التأويل بمعناه الباطل الذي جاء به المعطلة: هو صرف اللفظ من الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر بعيد، وليس في تفسير هذا الحديث صرف له عن ظاهره حتى نقول: إنه تأويل وأن السلف يؤولون، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه وسلم ومن والاه.

قال المصنف رحمه الله تعالى رحمة واسعة: ومذهب النفاة من هؤلاء في الرب: أنه ليس له إلا صفات سلبية، أو إضافية أو مركبة منها، وهم الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل إليهم، فيكون الجعد أخذها عن الصابئة الفلاسفة.

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم، يقول المؤلف رحمه الله: ومذهب النفاة من هؤلاء –أي: الصابئة الفلاسفة– في الرب – سبحانه وتعالى– أنه ليس له إلا صفات سلبية، والصفات السلبية هي الصفات المنفية، السلب هو النفي، فينفون عن الله ﷻ كل صفة ثبوتية، فيقولون: الله ليس بسميع ولا بصير ولا متكلم، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل به ولا منفصل عنه، ولا ينزل ولا يجيء، وإلى آخره يأتون بكل صفة ثم ينفونها بأداة من أدوات النفي، هكذا يصفون الله ﷻ فالأصل عندهم السلب، وإذا أثبتوا فلا يثبتون لله ﷻ إلا صفات إجمالية، فيقولون: له الوجود المطلق بشرط الإطلاق.

هذا ولا شك باطل، ولا يعني هذا أن الله ﷻ لا يوصف بالنفي، يوصف بالنفي لكن بضوابط:

الضابط الأول: أن يكون الأصل هو الإثبات، وهذا هو الوارد في الكتاب والسنة، جل ما وصف الله ﷻ به صفات ثبوتية أو صفات سلبية؟ ثبوتية؛ فالله وصف نفسه بصفات كثيرة مفصلة، هذا هو الأمر الأول، بخلاف هؤلاء فالأصل عندهم وصف الله بالسلب بالنفي.

الضابط الثاني: أن يكون الإجمال في النفي والتفصيل في أيش؟ في الإثبات؛ فالله ﷻ يقول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾[1] هذا نفي مجمل، بمعنى : الله منزه عن كل صفة نقص في هذا النفي : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[2] إذن النفي المجمل أن يُنفى عن الله صفات النقص والعيب لكن بشكل مجمل والتفصيل يكون في

---

١ – سورة الشورى آية : ١١.

٢ – سورة الإخلاص آية : ٤.

.....

الإثبات؛ ولهذا ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[1] نص على ماذا؟ إثبات صفة السمع، إثبات صفة البصر: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾[2] ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[3] ينزل ربنا صفات محددة.

الضابط الثالث: إذا ورد النفي مفصلا في صفات الله فلا بد أن يكون نفيا غير محض، وما الفرق بين النفي المحض والنفي غير المحض، أنا سأضرب لكم مثالين واستخرجوا منهما النفي المحض والنفي غير المحض: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ ﴾[4] هذا نفي، "لا تأخذه"، نفى عن نفسه أيش؟ السنة والنوم، المثال الآخر: إذا قال المعتزلي: الله ليس بسميع، لا يوصف بالسمع، أيهما النفي المحض وأيهما النفي غير المحض؟ قول المعتزلي: الله ليس بسميع، أي: لا يوصف بالسمع، هذا نفي محض، و"لا تأخذه سنة ولا نوم"؟ غير المحض، طيب ما الفرق بينهما؟

خذوها قاعدة عامة: كل نفي مفصل ورد في صفات الله فهو نفي غير محض، والنفي غير المحض هو الذي يتضمن إثبات كمال ضده، فإذا نفيت عنه هذه الصفة فلأجل أن أثبت له ضد هذه الصفة المنفية، فقول الله ﷻ ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ ﴾[5] لإثبات أيش؟ كمال الحياة والقيومية؛ ولهذا قال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ﴾[6] أراد أن يؤكد هاتين الصفتين فقال: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ ﴾[7] فالحياة التي يعتريها السنة والنوم هل هي حياة كاملة؟ حياة ناقصة.

إذن كل نفي مفصل جاء في صفات الله فهو نفي غير محض، بخلاف النفي المحض، المعطلة يصفون الله ﷻ بالنفي لكن غالبا ما يكون هذا النفي نفيا محضا، فقولهم مثلا: الله ليس بسميع، أيش يتضمن هذا؟ لا يسمع، هل يتضمن إثبات صفة أكمل من هذه الصفة المنفية؟ لا.

---

١ – سورة الشورى آية : ١١.

٢ – سورة الرحمن آية : ٢٧.

٣ – سورة الأعراف آية : ٥٤.

٤ – سورة البقرة آية : ٢٥٥.

٥ – سورة البقرة آية : ٢٥٥.

٦ – سورة البقرة آية : ٢٥٥.

٧ – سورة البقرة آية : ٢٥٥.

.....

إذن هذه ثلاث ضوابط في النفي الوارد في صفات الله ﷻ هؤلاء المعطلة، هؤلاء الفلاسفة الصابئون يصفون الله بالسلب لكن السلب المطلق؛ ولهذا يأتون بكل صفة ثبوتية وينفونها عن الله ﷻ .

يقول المؤلف: إلا صفات سلبية أو إضافية الصفات الإضافية هي التي لا يمكن أن تعقل إلا بمقابلها، يعرفون الإضافة يقولون: هي ماهيتان لا يمكن تعقل أحدهما إلا بالأخرى، أيش معنى الكلام هذا؟ صفة الأبوة أو صفة البنوة، أو صفة القبلية أو البعدية، لا يمكن أن نعقل ونعرف هذه الصفة إلا بأيش؟ بالصفة الأخرى، فالأب متى يسمى أبا، متى يوصف بالأبوة؟ إلا مع وجود الابن، والابن مع وجود الأب، كذلك القبلية والبعدية، لا يقال: الإنسان قبل، إلا أن يكون هناك شيء بعده، ولا يقال لشيء بعد إلا إذا كان هناك شيء قبله.

فهؤلاء يصفون الله ﷻ بالصفات الإضافية، يعني: ليست صفات حقيقية، ليست صفات ذاتية قائمة بالله ﷻ مثل وصف الفلاسفة له بالعلة؛ الفلاسفة يصفون الله ﷻ بأنه العلة الأولى، والعلة لا بد لها من معلول، متى تسمى هذه علة؟ إذا وجد المعلول، فهم يقولون: إن العالم معلول عن الله وهو العلة الأولى، إذن هل هذه الصفة صفة ذاتية قائمة بالله؟ لا، صفة إضافية.

أيضا يمكن أن يمثل لهذه الصفة بوصف أهل الكلام لله ﷻ بأنه قديم، بل جعلوا أخص أوصاف الله ﷻ القدم، هذه في الحقيقة صفة إضافية؛ لأنه لا يقال للشيء: قديم، إلا مع وجود أيش؟ الجديد، لا يمكن أن نطلق على هذا الشيء أنه قديم إلا إذا وجد الجديد، فهم يقولون: أخص أوصاف الله ﷻ القدم، فهذه صفة إضافية، لكن لاحظ الصفة الشرعية البديلة عن هذه الصفة ما هي؟ الأول، الله ﷻ وصف نفسه بأنه الأول ولم يصف نفسه بأنه القديم، وهذه الصفة لا يرد عليها ما ورد على صفة القدم، فصفة القدم يمكن أن يطلق عليها أنها صفة إضافية، أو مركبة منهما، يعني: صفة سلبية إضافية، وهم الذين بعث إبراهيم الخليل إليهم، وهؤلاء مَن؟ الصابئة المشركون الذين يعبدون الكواكب والذين بنوا لها الهياكل.

فيكون من هو الجعد هذا؟ أول من قال بمذهب التعطيل، فيكون الجعد أخذها عن الصابئة الفلاسفة؛ لأنه عاش في هذه البلاد التي يكثر فيها هؤلاء الذين لا يصفون الله ﷻ إلا بالسلب، فهو استفاد التعطيل من هؤلاء، فسلفه في هذا المذهب هؤلاء الكفار.

وكذلك أبو نصر الفارابي دخل حران وأخذ عن الفلاسفة الصابئين تمام فلسفته، وأخذها الجهم أيضا -فيما ذكره الإمام أحمد وغيره- لما ناظر السمنية -بعض فلاسفة الهند- وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات، فهذه أسانيد جهم ترجع إلى اليهود والصابئين والمين والفلاسفة الضالين إما من الصابئين وإما من المشركين.

يقول المؤلف: وكذلك أبو نصر الفارابي محمد بن محمد المتوفى سنة ثلاث مائة وتسع وثلاثين، وهو الذي يسمى بالمعلم الثاني، والمعلم الأول هو أرسطو، وهو الذي هذب فلسفة أرسطو، وهو الذي استفاد منه ابن سينا في فلسفته، قال عنه الإمام الذهبي رحمه الله: له تصانيف مشهورة، من ابتغى منها الهدى ضل وحار، منها تخرج ابن سينا، نسأل الله التوفيق، انتهى الكلام.

أبو نصر الفارابي هذا المعلم الثاني والمسمى بفيلسوف الإسلام، دخل هذه البلد التي هي حران، وأخذ فلسفته عن فلاسفة الصابئين، ومعلوم أن المعطلة استفادوا من فلسفة هؤلاء ومنطق هؤلاء وكُتُب هؤلاء، وأيضا الجهم أحد الذين نشروا مذهب المعطلة، ذكر الشيخ أنه ناظر السمنة، وهؤلاء الذين لا يؤمنون إلا بالحسيات، وأشرنا إلى هذا في الدرس الماضي، وذكر ذلك الإمام أحمد في كتابه (الرد على الجهمية) يقول الشيخ: فهذه أسانيد جهم، أسانيد كل معطل عطل الله ﷻ عن صفاته أو عن بعضها أسانيده تنتهي إلى من؟ إلى هذه الطوائف: إلى اليهود،إلى النصارى، إلى الصابئين المشركين، إلى الفلاسفة الضالين.

ثم لما عربت الكتب الرومية في حدود المائة الثانية: زاد البلاء، مع ما ألقى الشيطان في قلوب الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم. ولما كان في حدود المائة الثانية: انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية؛ بسبب بشر بن المريسي وطبقته، وكلام الأئمة مثل مالك وسفيان بن عيينة.

نعم، يقول الشيخ: ومما زاد البلاء وساعد في نشر مذهب المعطلة ترجمة كتب الفلسفة، وأشرنا إلى سابقا، أن ممن تولى كبر هذه القضية المأمون، وكان في حدود المائة الثانية، ولعلِّي أشير هنا إلى ملحظ، سُئلت: بعض الإخوان قالوا أو فهموا من كلمة ابن تيمية التي ذكرتها سابقا أنه قال: ما أظن أن يغفل، وليس يغفر، بعضهم فهمها يغفر، وهذا لا يجوز أن يقوله ابن تيمية ولا غير ابن تيمية، حتى الرسل لا يجوز أن تتألى على الله ﷻ بهذا الأمر، قضية أن الله يغفر لفلان أو لا يغفر لفلان، لكن إذا ثبتت عنه المقولة هو نقلها السفاريني عن الصلاح الصفدي قال: حدثني من أثق به أن شيخ الإسلام قال: ما أظن أن يغفل الله ﷻ عن المأمون فيما جره على المسلمين من بلاء بسبب ترجمة هذه الكتب.

فمما زاد البلاء بلاء لما ترجمت هذه الكتب وقرأها الناس فوافقت –كما قال الشاعر– قلبا خاليا فتمكنت منه، وافقت بعض القلوب الخالية من العلم الصحيح فتمكنت منه، خاصة وهي مليئة بالشبه، ولا شك أن الشيطان حريص كل الحرص في إذكاء هذه الشبه في نفوس أولئك؛ ولهذا يقول:زاد البلاء؛ مع ما ألقى الشيطان في قلوب الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم. وإلا من نوَّر الله بصيرته وتسلح بالعلم الشرعي فإنه بإذن الله لا يتأثر بمثل هذه الشبهات، علما بأن الأصل والأولى والأفضل عدم مطالعة مثل هذه الكتب، وعدم مناظرة مثل هؤلاء .

وهذا هو منهج السلف على وجه العموم، نعرف سيرة الإمام الشافعي مع جملة من هؤلاء، سيرة الإمام أحمد، بل إنه هجر الحارث المحاسبي لما نقل عنه أنه دخل في شيء من هذا الباب، كان لا يجلس معهم ولا يناظرهم إلا اضطرارا، فهذا هو الأصل لأن الإنسان مهما كان لا يأمن على نفسه الفتنة؛ ولهذا عمران بن حطان رأس من رؤوس الخوارج، كان من أهل السنة ومن المنافحين والمدافعين عن منهج أهل السنة، وكانت له ابنة عم –كما ذكر أصحاب الفرق– كانت على مذهب الخوارج ومتمكنة من هذا المذهب فتزوجها بقصد أن يهديها لمذهب أهل السنة فجرته إلى مذهب الخوارج، وهو الذي يقول في عبد الرحمن بن ملجم الذي وصفه النبي ﷺ بأنه أشقى الأمة أو أشقى الناس، يصفه عمران بن حطان ويقول:

.....

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوما فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

يمدحه على ماذا؟ على قتل علي رضي الله عنه وأرضاه، هذا الجهم بن صفوان، من أسباب ضلاله وانحرافه كونه ناظر هذه الطائفة الملحدة التي لا تؤمن إلا بالحسيات، ولم يكن متسلحا بالعلم.

يقول الشيخ: ولما كان في حدود المائة الثانية انتشرت هذه المقالة، أي مقالة؟ مقالة التعطيل التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية، لماذا؟ نسبة للجهم بن صفوان؛ ولهذا أحيانا يطلق على كل معطل جهمي حتى أحيانا يطلق على الأشاعرة جهمية؛ لأن مذهب التعطيل أخذ هذا الاس العام نسبة إلى هذا الرجل.

لماذا انتشرت هذه المقالة، أو من أسباب انتشارها؟ بشر بن غياث المريسي المتوفى سنة مائتين وثماني عشرة؛ لأنه نشر هذه المقالة، وهو من كبار المعتزلة، وممن نادى علنا بالقول بخلق القرآن، وأن كلام الله مخلوق؛ ولهذا يقول عنه الذهبي رحمه الله: "نظر في الكلام فغلب عليه وانسلخ من الورع والتقوى، وجرد القول بخلق القرآن ودعا إليه حتى كان عين الجهمية في عصره وعالمهم، فمقته أهل العلم وكفّره عدة، ولم يدرك جهم بن صفوان بل تلقف مقالته عن أتباعه". فهو أدرك تلامذة الجهم بن صفوان، وكان له حظوة عند السلطان، فكان هذا من أسباب انتشار مقالة الجهمية.

التأويل في صفات الله ﷻ

وكلام الأئمة مثل: مالك وسفيان بن عيينة وابن المبارك، وأبي يوسف والشافعي وأحمد وإسحاق، والفضيل بن عياض وبشر الحافي، وغيرهم في هؤلاء كثير، في ذمهم وتضليلهم. وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس، مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك فياب التأويلات، وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي أسماه (تأسيس التقديس) ويوجد كثير منها في كلام خلق غير هؤلاء مثل: أبي على الجبائي وعبد الجبار بن أحمد الهمداني، وأبي الحسين البصري وأبي الوفاء بن عقيل، وأبي حامد الغزالي وغيرهم، هي با تأويلات بشر المريسي التي ذكرها في كتابه؛ وإن كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء رد التأويل وإبطاله أيضا.

الشيخ –رحمه الله– ذكر أن الأئمة ردوا على بشر المريسي ومن في طبقته ومن هو على منهجه، وضرب لذلك أمثلة: كمالك وسفيان بن عيينة، وابن المبارك عبد الله، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحب أبي حنيفة المتوفى سنة مائة واثنتين وثمانين، وأحمد وإسحاق –يعني: إسحاق بن راهويه– والفضيل بن عياض، وبشر الحافي وغيرهم، كلام هؤلاء الأئمة في هؤلاء، في مَن؟ في الجهمية، كثير، وسيورد الشيخ شيئا من هذا، ومن أراد التوسع في ذلك فهناك كتاب (السنة) لعبد الله ابن الإمام أحمد، وأيضا (شرح أصول اعتقاد أهل السنة) للإمام اللالكائي، والإبانة أو شرح الإبانة) للإمام ابن بطة، و(الرد على الجهمية) للإمام الدارمي، و(الرد على بشر المريسي) أيضا للإمام الدارمي، فمثل هذه الكتب عنيت بنقل أقوال هؤلاء الأئمة في الرد على هؤلاء الجهمية.

يقول: "وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس"، أيُّ تأويلات؟ التأويلات التي بأيدي الأشاعرة، تأويلات بعض الصفات، الصفات التي يؤولها الأشاعرة، وضرب مثلا فقال: مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك المتوفى سنة أربع مائة وست، صاحب كتاب مشكل الحديث) وهو مطبوع، فقد جمع في هذا الكتاب الأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة ثم سلط عليها سيف التأويل، فكل حديث لا يتوافق مع مذهبه بَحَثَ له عن تأويلات.

يقول في كتاب التأويلات: هو (كتاب مشكل الحديث) المطبوع، طبع باسم "مشكل الحديث" وبيانه، يقول: وذكرها أيضا أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة ست مائة وست في كتابه الذي سماه (تأسيس

.....

التقديس)، وأيضا يسمى "أساس التقديس" هو ليس بكبير الحجم متوسط صغير،ل إلى الصغر أقرب، وهو الذي رد عليه شيخ الإسلام في كتابه (نقض التأسيس) ملأ هذا الكتاب بتأويلات نصوص الصفات.

يقول: "ويوجد كثير منها في كلام خلق غير هؤلاء، مثل: أبي علي الجبائي محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة ثلاث مائة وثلاث، وهو إمام من أئمة المعتزلة، وهو الذي تربى على يديه مَن؟ أبو الحسن الأشعري؛ لأنه زوج والدته، فتربى عنده صغيرا؛ ولهذا نشأ الأشعري على مذهب الاعتزال قرابة أربعين سنة ثم رجع عنه، والسبب أنه عاش عند زوج والدته وتلقف هذا المذهب عنه.

وعبدِ الجبار بن أحمد الهمداني المتوفى سنة أربع مائة وخمس عشرة هو أيضا إمام من أئمة المعتزلة، بل هو من مُنظِّري مذهب المعتزلة، صاحب كتاب (شرح الأصول الخمسة) ومتشابه القرآن، وهو عمدة عند هؤلاء يرجعون إليه، أيضا ملأ كتابه بتأويل النصوص التي تتعارض مع مذهبه.

وأبي الحسين البصري المتوفى سنة أربع مائة وست وثلاثين، محمد بن علي إمام أيضا من أئمة المعتزلة؛ ولهذا قال عنه ابن كثير: شيخ المعتزلة والمنتصر لهم والمحامي عن ذممهم بالتصانيف الكثيرة.

وأبي الوفاء بن عقيل علي بن عقيل الحنبلي المتوفى سنة خمس مائة وثلاث عشرة، وهو أيضا ممن تأثر بمذهب المعتزلة، لكن يقال: إنه رجع، ورجوعه فيه غبش حقيقة؛ ولهذا منهجه يكتنفه شيء من الغموض، والرجل –رحمه الله– ذكي حاد الذكاء، فمن قرأ في كتبه لاحظ فطنة هذا الرجل، وهو الذي ألف كتابه (الفنون) أكثر من ألف جزء، طُبع منها أجزاء بسيطة، وهو آية في الحفظ، ألّف رسالة صغيرة يتبرأ فيها من مذهب المتكلمين، لكن منهجه حقيقة فيه شيء من الغموض، رحمه الله، الشاهد: أنه ممن تأثر بمذهب الجهمية وأوَّل بعض الصفات.

وأبي حامد الغزالي محمد بن محمد بن محمد المشهور، المتوفى سنة خمس مائة وخمس، من أئمة الأشاعرة، وهذا الرجل أيضا مر بأطوار في حياته، سلك أولا منهج الفلاسفة وألّف رسالته (القسطاس المستقيم) وجعل المنطق هو

ميزان العلوم، قال: أي علم حتى علم الكتاب والسنة يوزن بالمنطق، فإن وافقه قُبِل وإن خالفه أُوِّل، ثم رجع عن مذهب الفلاسفة وألف كتابه (تهافت الفلاسفة) الذي رد عليه ابن رشد (تهافت التهافت).

ولهذا يقول ابن العربي: "شيخنا أبو حامد ابتلع الفلاسفة وأراد أن يتقيَّأهم فما استطاع"، ثم انتقل إلى مذهب المتكلمين، ثم انتقل إلى مذهب المتصوفين...

ولهذا يقول ابن العربي: "شيخنا أبو حامد ابتلع الفلاسفة وأراد أن يتقيأهم فما استطاع"، ثم انتقل إلى مذهب المتكلمين، ثم انتقل إلى المتصوفة، وألف كتاب إحياء علوم الدين، وهو في هذه المرحلة حتى اعتزل الناس

قرابة

.....

عشر سنوات، ثم لعله في آخر حياته رجع إلى مذهب أهل السنة، فقد ذكر شيخ الإسلام عنه أنه توفي وصحيح البخاري على صدره.

يقول عنه القاضي عياض: والشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشنيعة والتصانيف العظيمة، غلا في طريقة التصوف وتجرد لنصر مذهبهم وصار داعية في ذلك، وألف فيه تواليفه المشهورة، أُخِذ عليه فيه مواضع، وساءت به الظنون، والله أعلم بسره، ونفد أمر السلطان عندنا في المغرب وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها، فامتُثِل لذلك؛ ولهذا أُحرِق كتاب إحياء علوم الدين في بلاد المغرب بفتوى من الفقهاء، والسبب لوجود بعض الصوفيات في هذا الكتاب.

يقول: "وغيرهم هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي"، ما السبب في إيراد المؤلف هذه الجملة؛ لأنه معلوم أن بشر المريسي رد عليه الأئمة المتقدم ذكرهم وغيرهم، والأشاعرة أعدى عدو لهم من؟ المعتزلة؛ ولهذا من أعظم من وقف في وجوه المعتزلة الأشاعرة، الشيخ يقول: "هذه التأويلات الموجودة عند بعض أئمتكم هي عينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي رأس الاعتزال" يقول: التي ذكرها في كتابه؛ له كتابان، ذكرهما من ترجم له، التوحيد والمتشابه، لكن لا تزال هذه الكتب مفقودة.

وإن كان يوجد في كلام بعض هؤلاء رد التأويل وإبطاله، يقول: وإن كان في كلام بعض هؤلاء الذين ذكرناهم سواء الغزالي أو الرازي أو ابن فورك أو ابن عقيل رد لبعض تأويلات المعتزلة والجهمية، لكن عندهم تأويلات هي عينها تأويلات الجهمية والمعتزلة، "ولهم كلام حسن في أشياء" هذا من إنصافه –رحمه الله– لهؤلاء

أنهم وإن كان عندهم تأويلات باطلة ونفوا عن الله بعض الصفات الثابتة فلهم كلام حسن، ومن ذلك الرد على الفلاسفة، حقيقة هم ممن تصدوا لهؤلاء الفلاسفة وردوا عليهم بالأدلة العقلية، كذلك ردودهم على المعتزلة، وإن كان في بعضها ضعف وفي بعضها خطأ، لكن في الجملة ردود هؤلاء كما ذكر شيخ الإسلام أنها تذكر لهم وتحمد، أيضا مما لهم ويذكر قضية أنهم أثبتوا بعض الصفات، فهم خير من المعتزلة وخير من الجهمية الذين نفوا جميع الصفات.

فإنما بينت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات المريسي، ويدل على ذلك كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي، أحد الأئمة المشاهير في زمان البخاري، صنف كتابا سماه: (رد عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد) حكى فيه هذهيلات بأعيانها عن بشر المريسي، بكلام يقتضي أن المريسي أقعد بها وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت إليهم من جهته، ثم رد ذلك عثمان بن سعيد بكلام إذا طالعه العاقل الذكي علم حقيقة ما كان عليه السلف، وتبين له ظهور الحجة لطريقهم وضعف حجة من الفهم.

نعم، يقول: وإنما بينت أن عين تأويلات هؤلاء هي عين تأويلات المريسي، ويدل على ذلك ما رد به الإمام عثمان بن سعيد الدارمي المتوفى سنة مائتين وثمانين على بشر المريسي في كتابه: (رد عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد) هكذا طبع الآن بهذا الاسم، وله كتابان لل على بشر المريسي وعلى الجهمية من أفضل الكتب في هذا الباب، فقد جمع فيه بين المعقول والمنقول، وبيَّن ضلال بشر المريسي فيما ذهب إليه.

ولهذا يصف ابن القيم كتابه هذا فيقول: وكتاباه، أي: رده على بشر المريسي ورده على الجهمية، "وكتاباه" يعني: الرد على المريسي والرد على الجهمية، من أجل الكتب المصنفة في السنة وأنفعها، وينبغي لكل طالب سنة مراده الوقوف على ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أن يقرأ كتابيه، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يوصي بهذين الكتابين أشد الوصية ويعظمهما جدا: "وفيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما" انتهى كلامه. والكتابان مطبوعان محققان ولله الحمد والمنة.

يقول: "حكى فيه هذه التأويلات بأعيانها" يعني: حكى فيها تأويلات مَن؟ تأويلات الأشاعرة المتأخرين، "بأعيانها" يعني: كأن الأشاعرة تبعوا المعتزلة في تأويل هذه الصفات بأعيانها عن بشر المريسي، "بكلام يقتضي أن المريسي أقعد بها وأعلم بالمنقول والمعقول" يقول: من خلل رد عثمان بن سعيد على بشر المريسي يتضح أن بشر أقعد، وأيش معنى أقعد؟ لها معنيان: إما من القعدة وهو القرب من الميت، ومعناه: أن أقوال بشر وتأويلاته أقرب إلى المنقول والمعقول من تأويل هؤلاء المتأخرين، وإما أن يكون المعنى أقعد أي: أكثر تقعيدا، أكثر تأصيلا.

"وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت إليهم من جهته"، اتصلت أيش؟ الضمير يعود على ماذا؟ التأويلات، اتصلت إليهم التأويلات من جهته، فكأنهم استقوا هذه التأويلات واستفادوها ممن؟ من بشر

.....

المريسي، وهو بهذا التقرير الشيخ يريد أن يرد على هؤلاء الأشاعرة المتأخرين، يقول: أنتم الآن تزعمون أن المعتزلة هم عدوكم اللدود، وأنكم تخالفونهم جملة وتأصيلا، فهذه التأويلات التي تذهبون إليها هي عينها تأويلات المعتزلة، هي عينها تأويلات بشر المريسي.

يقول: " ثم رد ذلك عثمان بن سعيد بكلام إذا طالعه العاقل الذكي علم حقيقة ما كان عليه السلف" يعني: ما كان عليه السلف من أيش؟ من قوة الحجة والبيان والجمع بين المعقول والمنقول؛ لأن عثمان بن سعيد – رحمه الله – رد في كتابه هذا بالعقل والنقل على بشر المريسي، وهذا نهج من مناهج أهل السنة في التأليف في باب العقيدة.

أهل السنة لهم مناهج في التأليف في باب العقائد، فهناك الاقتصار على نصوص العقائد من غير التعليق على ذلك، كما صنع ابن أبي عاصم –رحمه الله– في كتابه (السنة) باب "إثبات الاستواء" حدثنا فلان عن فلان عن فلان، عن النبي ﷺ باب "إثبات الوجه لله" حدثنا فلان عن فلان عن فلان، عن النبي ﷺ باب "إثبات السمع لله"، باب "إثبات الشفاعة"، باب "إثبات الصراط"... وهكذا يسوقون النصوص من غير تعليق.

هناك منهج آخر وهو: ذكر هذه النصوص والتعليق عليها وإيراد كلام الأئمة في تفسيرها، كما صنع الإمام الآجُرّي مثلا في (الشريعة)، وكما صنع اللالكائي في (شرح أصول أهل اعتقاد أهل السنة)، وكما صنع الإمام ابن بطة في كتابه (الإبانة).

هناك منهج آخر وهو: عرض مع ذكر النصوص، عرض شُبه الخصوم والرد عليها بالعقل والنقل، كما صنع مَن؟ عثمان بن سعيد رحمه الله، وهو من أوائل من سلك هذا المنهج، وكحال الإمام أحمد –رحمه الله– أيضا في كتابه (الرد على الجهمية) وهذا صنيع شيخ الإسلام مع المخالفين، غالبا سلك هذا المنهج، أنه يعرض شبههم ويرد عليها بالعقل والنقل.

يقول: "وتبين له ظهور الحجة لطريقهم وضعف حجة من خالفهم"، يعني: إذا كان عثمان بن سعيد –رحمه الله– رد على بشر وبيّن ضلال وانحراف وبطلان ما ذكره بشر المريسي وهو أقعد وأقرب إلى المعقول والمنقول من هؤلاء المتأخرين، فما الظن بأيش؟ بهؤلاء المتأخرين، يقول: إذن اضح له ضعف حجة من خالف السلف.

ثم إذا رأى الأئمة –أئمة الهدى– قد أجمعوا على ذم المريسية وأكثرهم كفروهم أو ضللوهم، وعلم أن هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين هو مذهب المريسية تبين الهدى لمن يريد الله هدايته، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والفتوى لا تحتمل البسط في هذا الباب، وإنما أشي إشارة إلى مبادئ الأمور والعاقل يسير فينظر.

نعم، يقول: ومن نظر في كلام الأئمة في تضليل هؤلاء المريسية وبعضهم كفرهم اتضح له أن هذا القول الساري في المتأخرين الذي هو جزء من قول مَن؟ من قول بشر المريسي ومن على شاكلته، اتضح له أن الهدى والسلامة في طريق هؤلاء الأئمة، ثم ذكر أن الفتوى لا تحتمل البسط في هذا الباب، وإنما نشير إشارة إلى مبادئ الأمور والعاقل يسير فينظر، نعم غالبا الفتاوى –كما ذكرنا في أول الكلام في بداية قراءة هذا المتن– أن الفتاوى تكون غالبا موجزة مختصرة لا تحتمل إيراد الشبه والاعتراض عليها، وأيضا إيراد الاعتراض على الاعتراض والنقد، لكن من راد ذلك فليرجع إلى الكتب الموسعة في هذا الباب.

لِيَعُدْ إلى كلام الشيخ مثلا في "نقض التأسيس" أعجوبة –رحمه الله– في هذا الكتاب، كيف أنه يعرض شبهة الخصم، يعرض قول الرازي ثم لا يجيبه هو، لا يرد عليه، يقول: يعترض عليك خصومك من المعتزلة والفلاسفة في كذا، ويمكن أن ترد عليهم بكذا ويردون عليك بكذا، ثم إذا ذكر شُبه هؤلاء وشَبه هؤلاء وردود بعضهم على بعض انبرى ورد على الجميع، وكما هي الحال أيضا في درء تعارض العقل والنقل، فتوسع –رحمه الله– في قضية الإجابة عن شبه هؤلاء في تعطيلهم وفيما خالفوا فيه أهل السنة، فمن أراد التوسع فليرجع إلى هذه الموسوعات، أما هذه الفتوى فهي لتقرير مذهب أهل السنة على وجه الإجمال، وبيان انحراف هؤلاء ومخالفة هؤلاء لطريقة السلف على وجه الإجمال.

أقوال السلف في صفات الله ﷻ

وكلام السلف في هذا الباب موجود في كتب كثيرة لا يمكن أن نذكر هنا إلا قليلا منه؛ مثل كتاب (السنن) للالكائي، و(الإبانة) لابن بطة، و(السنة) لأبي ذر الهروي، و(الأصول) لأبي عمرو الطلمنكي، وكلام أبي عمر بن عبد البر، والأسماء والصفات للبيهقي، وقبل ذلك (السنة) للطبراني ولأبي الشيخ الأصبهاني ولأبي عبد الله بن منده ولأبي أحمد العسال الأصبهاني.وقبل ذلك (السنة) للخلال، و(التوحيد) لابن خزيمة، وكلام أبي العباس بن سريج، (والرد على الجهمية) لجماعة، وقبل ذلك (السنة) لعبد الله بن أحمد، و(السنة) لأبي بكر بن الأثرم، و(السنة) لحنبل وللمروزي ولأبي داود السجستاني ولابن أبي شيبة، و(السنة) لأبي بكر بن أبي عصم، وكتاب (الرد على الجهمية) لعبد الله بن محمد الجعفي شيخ البخاري، وكتاب (خلق أفعال العباد) لأبي عبد الله البخاري، وكتاب (الرد على الجهمية) لعثمان بن سعيد الدارمي، وكلام عبد العزيز المكي صاحب (الحيدة في الرد على الجهمية) وكلام نُعيم بن حماد الخزاعي، وكلام الإمام أحمد بن حنبل، وكلام إسحاق بن راهويه، ويحيى بن يحيى النيسابوري وأمثالهم. وقبل هؤلاء عبد الله بن المبارك وأمثاله وأشياء كثيرة.

نعم، ذكر الشيخ هنا كلام أو مظان كلام الأئمة في هذا الباب؛ ليحيل القارئ، من أراد التوسع فليرجع إلى هذه الكتب التي عنيت بذكر كلام الأئمة وبنصوص الوحيين الدالة على ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة، فذكر كتاب (السنن) للإمام اللالكائي هبة الله بن الحسن المتوفى سنة أربع مائة وثماني عشرة، والكتاب طبع في أربعة مجلدات، في ثمانية أجزاء، باسم (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة).

وهو في الواقع يعتبر من موسوعات أهل السنة هو وكتاب (الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية) للإمام ابن بطة يعتبران من موسوعات أهل السنة؛ لأن هذان الكتابان من أوسع الكتب التي جمعت الآثار عن السلف بالإضافة إلى النصوص في باب العقائد، فجمعوا فيهما آلاف الآثار، لكن وللأسف كتاب ابن بطة لم يوجد منه إلا النصف أو أكثر من النصف، ولا زال الباقي مفقودا، وإلا هو في الواقع هو موسوعة أهل السنة؛ لأنه أوسع من (شرح أصول اعتقاد أهل السنة) للالكائي، هذا الجزء الموجود –ويعتبر تقريبا النصف أو أكثر من النصف قليلا– أكثر

.....

مما أورده الإمام اللالكائي.

يقول: (السنن) للالكائي، و(الإبانة) لابن بطة أبي عبد الله عبيد الله بن بطة المتوفى سنة ثلاث مائة وثمان وسبعين. و(السنة) لأبي ذر الهروي عبد الله بن أحمد المتوفى سنة أربع مائة وخمس وثلاثين، وهذا الكتاب مفقود، الذي هو كتاب السنة لأبي ذر الهروي. و(الأصول) لأبي عمرو الطلمنكي أحمد بن محمد المتوفى سنة أربع مائة وتسع وعشرين أيضا لا يزال مفقودا، لكن ينقل منه الشيخ كثيرا، فكان –والله أعلم– في زمن الشيخ موجودا.

وكلام أبي عمر بن عبد البر، الإمام المشهور يوسف بن عبد الله المتوفى سنة أربع مائة وثلاث وستين، صاحب التمهيد والاستذكار والاستيعاب، وكلامه –والله أعلم– في التمهيد.

والأسماء والصفات للبيهقي أبي بكر أحمد بن الحسين المتوفى سنة أربع مائة وثمان وخمسين، والكتاب مطبوع له عدة طبعات وعدة تحقيقات، لكن الإمام البيهقي معلوم أنه ممن تأثر بمذهب الأشاعرة في تأويل بعض الصفات، فهو يعتبر من متقدمي الأشاعرة الذين أثبتوا الصفات التي يسمونها الصفات العقلية والصفات الخبرية التي جاءت في القرآن: كالوجه، واليدين، لكنه يؤول الصفات الخبرية التي جاءت في السنة، مثل النزول –على منهج الأشاعرة– الضحك ... كثير من الصفات التي جاءت في السنة كالقدمين يؤولها، لكنه يورد أيضا كثيرا من كلام السلف في الصفات التي يثبتها فيستفاد منه في هذا الباب؛ ولهذا قال بعض العلماء: كتاب البيهقي يستفاد منه –الكتاب الذي هو الأسماء والصفات، ليس السنن، الكلام على كتاب الأسماء والصفات– يستفاد منه مما رواه لا مما تعقب وتكلم به.

يقول: وقبل ذلك (السنة) للطبراني سليمان بن أحمد صاحب المعجم المشهور، له كتاب (السنة) والمتوفى سنة ثلاث مائة وستين، لكن أيضا الكتاب لا يزال مفقودا، وقد حرص بعض إخواننا على جمعه لكن من خلال الكتب الأخرى، يأتي مثلا إلى ما أورده الشيخ، يقول مثلا: رواه الطبراني، ذكر الطبراني في كتاب (السنة) عن فلان عن

فلان، ينقل هذا الشيء، فهو حاول، يعتبر أجود الموجود إلى أن يوجد الكتاب، شيخ الإسلام يحيل إليه كثيرا، وأيضا ابن القيم يحيل إليه كثيرا.

يقول: ولأبي الشيخ الأصبهاني الذي هو عبد الله بن محمد المتوفى سنة ثلاث مائة وتسع وستين صاحب كتاب (العظمة) ولأبي عبد الله بن منده محمد بن إسحاق المتوفى سنة ثلاث مائة وخمس وتسعين وهذا له كتاب (التوحيد) وهو مطبوع، وله أيضا كتاب (الإيمان) مطبوع، ولأبي أحمد العسال محمد بن أحمد المتوفى سنة

ثلاث مائة وتسع وأربعين، الأصبهاني كتاب (السنة) وأيضا الكتاب لا يزال مفقودا.

.....

وقبل ذلك (السنة) للخلال لأبي بكر أحمد بن محمد المتوفى سنة ثلاث مائة وإحدى عشرة، وكتابه طبع أيضا أخيرا، اعتنى –رحمه الله– بجمع الآثار عن السلف في باب العقائد، و(التوحيد) لابن خزيمة محمد بن إسحاق المتوفى سنة مائة وإحدى عشرة أيضا، وهو أيضا مطبوع، ومن أجلّ الكتب في هذا الفن رحمه الله، وكلام أبي العباس بن سريج أحمد بن عمر المتوفى سنة مائة وست، و(الرد على الجهمية) لجماعة من العلماء ألفوا كتبا في الرد على الجهمية، ذكر منهم الشيخ بعد ذلك الإمام البخاري والإمام الدارمي وشيخ البخاري عبد الله بن محمد الجعفي.

يقول: وقبل ذلك (السنة) لعبد الله ابن الإمام أحمد وهذا مطبوع، و(السنة) لأبي بكر بن الأكرم أحمد بن محمد المتوفى سنة مائتين وثلاث وسبعين هذا لا يزال مفقودا، و(السنة) لحنبل، أيضا حنبل بن إسحاق ابن عم الإمام أحمد المتوفى سنة مائتين وثلاث وسبعين، أيضا الكتاب لا يزال مفقودا، وللمروزي المتوفى سنة مائتين وخمس وسبعين، ولا يزال الكتاب مفقودا، ولأبي داود السجستاني صاحب (السنن) سليمان بن أشعث المتوفى سنة مائتين وخمس وسبعين. ولعل الشيخ يشير بذلك إلى كتاب السنة الذي ألحقه بآخر كتابه (السنن) في الجزء الخامس.

يقول: ولابن أبي شيبة عبد الله بن محمد صاحب المصنف المتوفى سنة مائتين وخمس وثلاثين، و(السنة) أيضا لابن أبي شيبة لعل الشيخ يريد بكتاب (السنة) الملحق بكتاب المصنف، يقول: و(السنة) لأبي بكر بن أبي عاصم أحمد بن عمر، وهذا مطبوع في جزأين، طبع قديما بتحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمة الله عليه، وأيضا

طبع أخيرا طبعة جديدة بتحقيق الدكتور باسم فيصل، وكتاب (الرد على الجهمية) لعبد الله بن محمد الجعبي، وهذا الكتاب مفقود، وهو شيخ البخاري المتوفى سنة مائتين وتسع وعشرين.

وكتاب (خلق أفعال العباد) لأبي عبد الله البخاري، وهذا موجود وحقق أخيرا في رسالة علمية في جامعة الإمام، وكتاب (الرد على الجهمية) لعثمان بن سعيد، وهذا ذكرنا أنه خرج محققا، وكلام عبد العزيز بن يحيى المكي المتوفى سنة مائتين وأربع، والذي ناظر مَن؟ بشر المريسي صاحب كتاب (الحيدة في الرد على الجهمية)، كتاب (الحيدة) ورد حوله كلام، ونسبة الكتاب ليحيى بن عبد العزيز، فالإمام الذهبي –رحمه الله– والسبكي يشككون في نسبة الكتاب لعبد العزيز بن يحيى المكي.

أو الإمام الذهبي قال: ما ثبت عندنا بإسناد متصل. لكن الإمام ابن بطة –رحمه الله– ساق الكتاب بإسناده، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، وممن قال وجزم بنسبة الكتاب لعبد العزيز بن يحيى شيخ الإسلام –رحمه

الله– في مواضع كثيرة، وابن القيم، والإمام ابن حجر، فالكتاب ثابت لهذا الإمام، ولا يضره تشكيك الإمام الذهبي؛

.....

لأنه ما ثبته عنده.

ويقول: "وكلام نعيم بن حماد الخزاعي المتوفى سنة مائتين وتسع وعشرين"، ونعيم –رحمه الله– بن حماد يقول –كما نقل عنه الذهبي–: أنا كنت جهميا؛ فلذلك عرضت كلامهم، فلما طلبت الحديث عرفت أن أمرهم يرجع إلى التعطيل.

يقول: "وكلام الإمام أحمد بن حنبل، وكلام إسحاق بن راهويه، ويحيى بن يحيى النيسابوري وأمثالهم، وقبل هؤلاء عبد الله بن المبارك وأمثاله وأشياء كثيرة"، فكلام هؤلاء الأئمة في هذه المصنفات ترد على هؤلاء الجهمية المتقدمين وعلى المتأثرين بهم من المتأخرين، ومليئة بكلام الأئمة في تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة وفق المنهج الصحيح.

وعندنا من الدلائل السمعية والعقلية ما لا يتسع هذا الموضع لذكره. وأنا أعلم أن المتكلمين لهم شبهات موجودة لكن لا يمكن ذكرها في الفتوى فمن نظر فيها وأراد إبانة ما ذكروه من الشبه فإنه يسير.

نعم الشيخ كما سبق وهذا من إنصافه أيضا يقول هؤلاء المردود عليهم لهم شبه يريدونها علينا إذا أوردنا عليهم هذه الأدلة لكن ليس هذا موطن ذكرها والتوسع في إيرادها فمن أراد الوقوف عليها والإجابة عنها هو قال فإنه يسير بمعنى فليرجع إلى مظان ذلك نعم.

وإذا كان أصل هذه المقالة – مقالة التعطيل والتأويل – مأخوذا عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود فكيف تطيب نفس مؤمن – بل نفس عاقل – أن يأخذ سبل هؤلاء المغضوب عليهم والضالين ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؟!

نعم نكتفي بهذا هنا فصل لعلنا نقف عليه إلى الدرس القادم والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد

س : هذا سؤال من سائل رمز لنفسه بالأشعر، فإن كان أشعريا على أشعريته فنسأل الله ﷻ أن يمن علينا وعليه بالهداية، وأن يبصرنا وإياه صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء، يقول: عند مناظرة سلفي مع أشعري أن يقول السلفي: لم يقل أحد منهم الصحابة بخلاف ظاهر القرآن وهذا دليل على أنهم يثبتون الصفات... إلى آخره، هنا يقول الأشعري: متى كان السكوت دليلا يؤخذ به ثم ما يدريك لعلهم كانوا يؤولونها لأنهم عرب والقرآن عربي، والعرب كما هو معلوم تكني باليد عن القدرة والنعمة... إلى آخر ذلك ما هو معلوم إلى آخر كلامه .

ج : نقول: الحجة عليك وليس على أهل السنة، كما قال الشيخ: هذا كلام الصحابة من أوله إلى آخره، وكلام السلف والأئمة من أوله إلى آخره، اذكروا لنا نقلا واحدا أنهم أولوا صفة واحدة من هذه الصفات التي تؤولونها، نعم هم عرب ولهذا فهموا كلام الله وكلام رسوله على ظاهره، وما احتاجوا إلى هذا التأويل الذي جاء به المتأخرون، ومن قال: إن هذه النصوص لها معنى يخالف الظاهر نقول: ما الدليل، ربما قالها الصحابة، نقول هذه ربما احتمالات، بل ما ثبت عنهم يخالف ذلك، فأنتم تؤولون الاستواء بالاستيلاء، أوردوا لنا نقلا واحدا فقط أن أحد الصحابة فسر الاستواء بالاستيلاء، والاستواء في لغة العرب التي نزل بها القرآن وفهم بها الصحابة كتاب الله ﷻ معنى الاستواء الاستيلاء أو العلو والارتفاع؟ العلو والارتفاع بإجماع أهل اللغة.

يقول: ثم استدلالكم بقوله ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[1] **نقول: قال تعالى:** ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا ﴾[2] **فالأنعام مخلوقة بالأيدي، فما فضل آدم إذن؟**

---

١ – سورة ص آية : ٧٥.

٢ – سورة يس آية : ٧١.

.....

هذا رد عليك يا أخي، هو الآن يورد يقول: لماذا ما نحمل آية (ص): ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾[1] لماذا لا نقول: هذه الآية مثل آية يس: ﴿ مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ ﴾[2] نقول: الفرق بين الآيتين لفظا ومعنًى شاسع وكبير، أما الفرق بين الآيتين لفظا فأولا: ﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾[3] أضاف الفعل لمن؟ لنفسه، وهناك ﴿ مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ ﴾[4] أضاف الفعل لمن؟ للأيدي، هذا الفرق الأول، هذه الآن الفروق اللفظية، الفرق الثاني: عدى الفعل هنا ﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾[5] عداه بحرف الجر، وهناك ﴿ مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ ﴾[6] عداه بنفسه، هذا الفرق الثاني، الفرق الثالث: هنا أفرد الضمير "لما خلقت أنا بيدي"، وهناك ﴿ مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ ﴾[7] أتى بضمير الجمع، الفرق الرابع وهو أظهرها: هنا جاء لفظ اليدين بالتثنية ﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾[8] وهناك ﴿ أَيۡدِينَا ﴾[9] بالجمع.

طيب هذه الفروق اللفظية، الفروق المعنوية بين الآيتين الذي أوردته يا أخي، لو كان معنى اليد هي القدرة أو النعمة كما يزعم الأشاعرة لما كان هناك فرق بين آدم وبين سائر المخلوقات، بل لكان أول من اعترض إبليس لما

---

١ – سورة ص آية : ٧٥.

٢ – سورة يس آية : ٧١.

٣ – سورة ص آية : ٧٥.

٤ – سورة يس آية : ٧١.

٥ – سورة ص آية : ٧٥.

٦ – سورة يس آية : ٧١.

٧ – سورة يس آية : ٧١.

٨ – سورة ص آية : ٧٥.

٩ – سورة مريم آية : ٦٤.

.....

أمره بالسجود؛ لأنه قال: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[1] لقال لو كان هذا المقصود به القدرة لقال إبليس: وأنا خلقتني بقدرتك، ما الفرق بيني وبين آدم، والله ﷻ لما ذكر أنه خلق آدم بيديه هذا تشريف وتكريم له على سائر الخلق، وسائر الخلق خلقوا بالقدرة؛ ولهذا موسى –عليه السلام– كما في الصحيحين قال لآدم ماذا؟ أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده يعني بمعنى: فضلك واصطفاك على سائر المخلوقات أنه خلقك بأيش؟ بيده، فلو كانت القدرة لما كان لآدم ميزة.

الناس يوم القيامة –كما في صحيح البخاري في حديث الشفاعة الطويل– يأتون إلى آدم ويقولون: أنت أبو البشر يميزونه بماذا؟ "خلقك الله بيده"، كرمك بهذا، أيضا الأحاديث الأخرى الكثيرة قول النبي ﷺ كما في صحيح مسلم: المقسطون على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين هل يقول عاقل: إنهم على يمين قدرة الرحمن، وكلتا قدرتيه يمين، وأيضا ورودها بالتثنية الله ﷻ كم له من قدرة؟ بإجماع المسلمين قاطبة أن الله ﷻ موصوف بالقدرة، وليس له قدرتان، فقوله: "بيدي" بمعنى: بقدرتي، ومن أراد التوسع في هذا فنحيل الأخ إلى (مختصر الصواعق المرسلة) في الجزء الثاني فليراجع كلام العلماء على هذه الآية وعلى صفة اليد.

س : يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أشكل عليَّ قولكم بالمنع من وصف الله بالقديم، فكيف نجمع هذا القول مع حديث النبي ﷺ في دعاء الدخول إلى المسجد: أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم وجزاكم الله خيرا؟

ج : نعم، المنسوب لله ﷻ المضاف إلى الله ثلاثة أقسام: الأسماء والصفات والإخبار عنه سبحانه وتعالى، أضيقها باب الأسماء؛ ولهذا لا يشتق من الصفة اسم والعكس هو الصحيح، كل اسم فهو متضمن لأيش؟ لصفة، فمثلا الحي اسم من أسماء الله يُؤخذ منه صفة الحياة، السميع اسم من أسماء الله يؤخذ منه السمع، أما الصفات فلا، فيوصف الله ﷻ بالنزول، أنه ينزل حين يبقى ثلث الليل الآخر، لكن هل يسمى بالنازل؟

يوصف بالاستواء، هل يسمى بالمستوي؟ الجواب: لا، وأوسعها باب الإخبار عن الله ﷻ فالقديم يُخبَر به عن

---

١ – سورة ص آية : ٧٥.

الله ولا يوصف به الله ﷻ كما يخبر عنه بأنه شيء: ﴿ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ ﴾[1] يخبر عنه أنه واجب الوجود

١ – سورة الأنعام آية : ١٩.

.....

لكن ما يوصف بهذه الأمور.

فما أورده الأخ من القديم يخبر عن الله عز وجل؛ ولهذا الشيخ يورِد أحيانا "الله القديم" لكن يوصف بالأوّل بدل القديم؛ لأنه أبلغ في المدح وأكمل في المدح، ومن أراد الوقوف على الفرق بين هذا وهذا والكلام على هذه الأقسام الثلاثة فليرجع لكلام الإمام ابن القيم –رحمه الله– في بدائع الفوائد، فقد أجاد وأفاد في هذا.

س : أحسن الله إليكم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ابن سينا والفارابي والرازي من ضلال المسلمين، فلماذا يسمي بعض المسلمين بعض الأماكن كالمستشفيات والشوارع بأسمائهم؟

ج : أولا: لا يُسوّى بين الرازي وبين الفارابي وابن سينا، نعم الرازي استفاد مما عند ابن سينا والفارابي، لكن بينهم فرق، الفارابي وابن سينا كفرهم العلماء؛ ولهذا يقال في العبارة الصحيحة: الفلاسفة المنتسبون للإسلام، وقد ذكر ابن القيم في (إغاثة اللهفان) أن ابن سينا إمام الملحدين، وأن حقيقة مذهبهما –وكذا شيخ الإسلام– عدم الإيمان لا بالله ولا بملائكته، ولا بكتبه ولا برسله ولا باليوم الآخر، ولا بالقدر، حقيقة مذهبهم الكفر بهذه الأصول الستة، ولكنهم تظاهروا بالإسلام حفاظا على دمائهم، ومن قرأ في كتبهم تبين له حقيقة الإلحاد الذي جاءوا به.

أما الرازي فلا، الرازي من أئمة الأشاعرة، نعم مبتدع مخالف لأهل السنة لكن ليس في درجة هؤلاء، هو مسلم ويُترَحم عليه، يبقى السؤال تسمية بعض الطرق وبعض المدارس وبعض الأماكن بأسماء هؤلاء، أقول: هذا من الخطأ ومن الجهل، كم كنا ندرس ونحن صغار أن ابن سينا من فلاسفة الإسلام ونعتز أن منا ابن سينا، فهو والله ليس مصدر عز للمسلمين، بل هو مصدر ذلة للمسلمين، والمسلمون في غنى عنه وعن أمثاله.

س : أحسن الله إليكم، يقول: هل كتاب "نقض التأسيس" لشيخ الإسلام موجود كاملا؟

ج : المطبوع لا، المطبوع لا، وذكرنا هذا بالأمس، (نقض التأسيس) المطبوع غير كامل، هو في جزأين وملفق، بمعنى: أن عبد الرحمن بن جاسم –رحمه الله– الذي أخرج الكتاب وجد عنده خروم كثيرة فأكملها من الفتاوى، لكن الكتاب حُقق ولعله كاملا في ثمان رسائل دكتوراه علمية، وطبع الآن في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف،

فلعله أن يرى النور قريبا.

س: أحسن الله إليكم، يقول: هل صحيح أن في كتاب الغزالي صوفيات كثيرة وأحاديث موضوعة بكثرة؟

ج: أما الأحاديث الموضوعة فنعم، فيه أحاديث موضوعة، أحاديث واهية، أحاديث ضعيفة، أما الصوفيات ففيه، لكن ليس بالكثرة التي تغلب عليه، من الانحرافات الموجودة فيه أظنه ينقل عن أحد الصوفية أنه يقول: "لئن ترى

.....

أبا يزيد –يعني: أبا يزيد البسطامي– مرة خير لك أن ترى الله أربعين مرة"، ومن أشباه هذه الخزعبلات.

س: أحسن الله إليكم، يقول: على ماذا اتفق المعتزلة والأشعرية، وعلى ماذا اختلفوا؟

ج : اتفق المعتزلة والأشاعرة في نفي ما عدا الصفات السبع، هؤلاء جمهور الأشاعرة، دائما إذا تكلمنا عن الأشاعرة فنقصد جمهور الأشاعرة، المتأخرين من الأشاعرة، الذين اقتصروا في الإثبات فقط على سبع صفات، وافقوا المعتزلة في نفي ما عدا الصفات السبع، وفي إثبات الأسماء، وخالفوا المعتزلة في إثبات هذه الصفات السبع في الجملة، أيضا في مسألة القضاء والقدر الأشاعرة يقولون بالكسب الذي هو حقيقة الجبر، بخلاف المعتزلة الذين يقولون: إن الإنسان هو الذي يخلق فعل نفسه.

س : أحسن الله إليكم، يقول: هل الستار من أسماء الله؟ وما الكتب التي أجد الكلام حوله فيها؟

ج : في حديث ﷺ إن الله حيي ستير ﷺ وعلى كل حال لا يحضرني الآن درجة الحديث؛ ولهذا لا أستطيع الجزم بإثبات هذا أو نفيه ولعلي أرجئ الكلام عليه إلى الدرس القادم، وأما الرجوع إلى الكتاب الذي يمكن أن يستفيد منه الإنسان في مثل هذا الباب كتاب الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله، كتاب مختصر وموجز وحرص فيه أن يجمع النصوص التي في أسماء الله ﷻ وهي (القواعد المثلى).

س: أحسن الله إليكم، يقول فضيلة الشيخ: ما هي المتون التي في العقيدة تنصحون طالب العلم المبتدئ قراءتها وحفظها، والله يحفظكم؟

ج : يقول هذا: إن كتاب السنة لأبي بكر بن الأكرم موجود وليس مفقودا، يذكر أنه مخطوط في أم القرى، أقول: إذا كان موجودا فالحمد لله نور على نور، ولعل أحد طلبة العلم المحققين يبادر في تحقيقه وإخراجه، الكتب التي في العقيدة ينصح بها طالب العلم المبتدئ أن يبدأ بالمختصرات والمتون المقتصرة على عرض عقيدة أهل السنة والجماعة مجردة عن ذكر الشبه والإجابة عنها، فمثلا يبدأ بـ (لمعة الاعتقاد) لابن قدامة، (العقيدة الواسطية) لشيخ الإسلام، لكتاب (التوحيد) للشيخ محمد بن عبد الوهاب، (كشف الشبهات)، (الأصول الأربع)، ثم يرتقي شيئا فشيئا، يرتقي مثلا لكتاب (معارج القبول) جيد، ومن الميزة التي في هذا الكتاب بساطة أسلوبه –رحمه الله–

حافظ، إضافة إلى أنه حاول أن يُكثِر من ذكر الأدلة، وهذه تُقَعِّد للإنسان عقيدته، يعني: أتى بعشرات بل أحيانا بمئات الأدلة في المسألة الواحدة، ثم يرتقي بعد ذلك إلى الكتب المطولة.

أحسن الله إليكم، هذا يسأل عن كلمة (الفلاسفة)، هل تطلق على كل ضال؟

لا، الفلاسفة هي عَلَم على من تأثر بالفلسفة، والفلسفة كما هو معلوم مركبة كلمة يونانية مركبة من جزأين:

.....

(فيلا) معناها: محب، (صوفيا) معناها: الحكمة، ثم أطلقت على محبة الحكمة، هذا أصل الفلسفة، أصل الفلسفة محبة الحكمة، وكان الفلاسفة القدامى أفلاطون ومن قبله كانوا لا يتعرضون لما وراء الغيب، يسمونها الميتافيزيقا، يتكلمون عن الأمور المحسوسة: الأخلاق، المدينة الفاضلة ...، لكن لما جاء أرسطو وهو مؤسس الفلسفة الإلهية، الفلاسفة الإلهيون، هو الذي أدخل الفلسفة وأقحمها فيما وراء الغيب، ثم أصبح هذا الاسم (الفلسفة والفلاسفة) علم على هؤلاء الذين يكفرون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، الذين يزعمون أن الله لا يوصف بشيء من الصفات، وأنه العلة لهذا العالم، وقالوا بقدم العالم بأنه انبثق عن الله ﷻ منذ القدم، وأوغلوا في النفي والتعطيل.

وأما في الملائكة فهم لا يؤمنون أن هناك ذوات محسوسة تذهب وتأتي وتصعد وتنزل، وقالوا: الملائكة عبارة عن أشكال نورانية يتصورها النبي في نفسه، وربما قوي هذا التصور فرآها ماثلة أمامه، لكنْ أشياء حقائق مخلوقة تذهب وتأتي، لا، فهذه أشياء خيالية، ومنهم من زعم أنها هي قوى الخير، قوى الخير التي في النفس هي الملائكة.

وأما الإيمان بالرسل فهم لا يؤمنون أن الرسالة اصطفاء من الله ﷻ بل هي مكتسبة، وجعلوا لها شروطا من توفرت فيه هذه الشروط فيمكن أن يكون نبيا.

وأما الإيمان باليوم الآخر وأما الإيمان بالكتب فهم لا يؤمنون أن هناك كتبا نزلت من عند الله ﷻ أو أن الله ﷻ تكلم بهذه الكتب، بل هو فيض، يزعمون أن هذا القرآن فيض فاض من العقل الفعال على النفس الذكية الذي هو النبي ﷺ فتكلم به النبي ﷺ .

وأما الإيمان باليوم الآخر فلا يؤمنون بأن هذا العالم سينتهي وسيكون فيه يومٌ يجتمع فيه الناس ويحيي الله ﷻ هذه الأجساد، لا، يقولون: كل هذه خيالات خيّل بها الملائكة على الناس والعامة لأيش؟ لتصلح أحوال الناس، فحقيقة مذهب هؤلاء الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله. وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم، قبل أن نبدأ في الدرس هناك تنبيهات:

التنبيه الأول: الحديث الذي سئلت عنه بالأمس 🕮 إن الله حيي ستير 🕮 الحديث رواه أبو داود والإمام أحمد والنسائي بسند صحيح، وممن صححه من المتأخرين الشيخ ناصر رحمة الله عليه.

الأمر الآخر: بعض الإخوان يحبذون التأني في الشرح، وأقول: لا مانع، لكن الإخوة المنظمون للدورة حقيقة

.....

يرغبون ويلحون في أن نكمل هذا الجزء المطبوع من المتن الذي بين أيديكم، وهذا يستلزم منا السرعة قليلا في التعليق.

الأمر الثالث: هناك بعض المسائل وبعض المصطلحات لولا أن الشيخ أوردها عندنا في المتن لضربنا عنها صفحا؛ لأنها ربما تشوش على بعض الحضور، ولكن لما أوردها الشيخ اقتضى المقام الوقوف مع هذه المصطلحات وبيانها مع الإيجاز، نحن نحاول بقدر ما نستطيع أن نوجز في التعليق عليها بما يجلِّي المعنى.

فصل القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه وسلم ومن والاه.

قال المصنف رحمه الله تعالى رحمة واسعة:

فصل: ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو بما وصف به رسوله ﷺ وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث، قال الإمام أحمد رضي الله عنه لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو بما وصف به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن ولا الحديث، ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي؛ بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه؛ لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول، وأفصح الخلق في بيان العلم، وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد.

نعم، المؤلف –رحمه الله– لما فرغ من المقدمة التي أسس بها لهذه الرسالة وبهذا الباب "باب ما يوصف به الله عز وجل"، وأوضح بهذه المقدمة أن الكتاب والسنة فيهما الشفاء التام والنور والهدى في هذا الباب وغيره، وأن مذهب السلف هو الأسلم والأعلم والأحكم، شرع رحمه الله في بيان المذهب الحق في باب ما يوصف به الله ﷻ فقال : ثم القول الشامل في جميع هذا الباب، أي: باب ما يوصف به الله ﷻ أي: يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث.

قوله: "لا يتجاوز القرآن والحديث" تأكيد على أن باب الصفات توقيفي على أيش؟ على الكتاب والسنة، طيب لماذا ذكر "وبما وصفه به السابقون الأولون"؟ كررنا هذا أكثر من مرة؛ لأجل أن تضبط دلالة نصوص الكتاب والسنة بفهم السلف، ولهذا قال: وبما وصفه به السابقون الأولون، ثم أراد التأكيد على أن كل ما ورد في باب صفات الله ﷻ هو متوقف على الكتاب والسنة، فقال: لا يتجاوز القرآن والحديث؛ لئلا يتوهم متوهم أن السلف وصفوا الله ﷻ بصفات ليس لها أصل في القرآن أو في الحديث.

.....

ثم ساق كلام الإمام أحمد –رضى الله عنه ورحمه– "لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو بما وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث" انتهى كلام الإمام أحمد، وقد ذكره ابن قدامة –رحمه الله– بمعناه في (لمعة الاعتقاد) ومن طريف ما يذكر هنا أن ابن جهبل الحلبي الشافعي المعاصر لشيخ الإسلام الذي رد على الحموية في كتابه (الحقائق الجلية فيما أورده ابن تيمية في الفتوى الحموية) أنه قال: يا ليته اقتصر على ما ذكره إمامه، يعني: الإمام أحمد، فقد جاء بكلام جميل، ثم ذكر كلام الإمام أحمد هذا وخلطه بكلام شيخ الإسلام، يعني: استمر في إيراد كلام الشيخ في الأسطر التي بعده، فهو أثنى على كلام شيخ الإسلام من حيث لا يدري، فهو يحسب أن كل هذا كلام الإمام أحمد.

يقول: ومذهب السلف الآن هذه هي القاعدة العامة فيما يوصف به الله ﷻ ما ذكره الشيخ في هذين السطرين، أي: يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله، هذه هي القاعدة، يريد أن يوضح ويشرح هذه القاعدة فيقول: ومذهب السلف، هم ينطلقون من تلك القاعدة أنهم يقتصرون على ما ورد في الكتاب والسنة، ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ فلا يجوز أن يصف الإنسان ربه بصفة لم ترد في الكتاب والسنة، ومن وصف الله ﷻ بصفة ليست في أحد هذين المصدرين فقد تقوَّل على الله أيش؟ بلا علم، يقول الله سبحانه: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣ ﴾[1]

ويقول سبحانه: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾[2] فمن وصف الله بصفة ليس لها أصل في القرآن أو في الحديث فقد تقوَّل عليه بلا علم، وقوله: "وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم" إما بقوله، أو بفعله، أو بتقريره، فمن الأمثلة على وصف النبي ﷺ لربه بقوله، الحديث الذي مر معنا: ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك هذا الآن النبي ﷺ يصف ربه بقوله.

---

١ – سورة الأعراف آية : ٣٣.

٢ – سورة الإسراء آية : ٣٦.

.....

ومن الأمثلة على وصف النبي ﷺ لله ﷻ بفعله، النبي ﷺ عندما كان يخطب كما في سنن البيهقي ثم قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾[1] وأشار إلى سمعه وبصره لتحقق أو لتحقيق إثبات هاتين الصفتين، أيضا فعل النبي ﷺ كما في صحيح مسلم في حديث جابر الطويل، لما استشهد الناس بحجة الوداع قال: ☐ إنكم مسئولون عني فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال: اللهم اشهد ☐ فأشار أيش؟ إلى العلو، هذا فيه إثبات لصفة العلو بفعله.

أما بتقريره –عليه الصلاة والسلام– فكما جاء في صحيح مسلم في حديث اليهودي الذي دخل على النبي ﷺ وقال: ☐ إنا نجد أن الله ﷻ يضع السماوات على إصبع يوم القيامة والأرضين على إصبع والثرى على إصبع ☐ فأقره النبي ﷺ على ذلك، وأيضا حديث الجارية الذي مر معنا بصحيح مسلم ☐ لما سألها: أين الله؟ فأشارت إلى السماء ☐ .

يقول: "من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل"، التحريف في اللغة هو التغيير، فيوصف الله ﷻ بالصفات لكن من غير تحريف، لا تحرف معاني هذه الصفات، والتحريف ينقسم إلى قسمين:

تحريف لفظي: وهذا قليل، بمعنى: أن يحرف المخالف لفظة جاءت في القرآن، والسبب في قلة ذلك أن الله ﷻ تكفل بحفظه، فلا يمكن لإنسان أن يزيد فيه حرفا أو ينقص، ويمكن أن يمثل لهذا النوع ما تفوه به بعض الجهمية عندما تلا قول الله ﷻ "وكلم اللهَ موسى تكليما" الآية: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾[2] فالمتكلم من؟ الفاعل الله –عز وجل سبحانه وتعالى– والمكلم موسى، هو نصب لفظ الجلالة لأجل أن يكون المكلَّم هو الله، موسى كلَّم الله، وهذا من التحريف اللفظي.

أما التحريف المعنوي: فهو صرف المعنى عن مقتضاه ودلالته بغير دليل، وهذا هو الغالب على صنع المعطلة؛ فإنهم حرفوا النصوص أو حرفوا معاني النصوص عن ظاهرها، وسموا هذا التحريف أيش؟ سموه تأويلا.

طيب لماذا الشيخ ما قال: من غير تأويل ولا تعطيل، لماذا قال: من غير تحريف؟ لأن التأويل منه ما هو حق ومن ما هو باطل، وسيأتينا إن شاء الله التفصيل في ذلك، هو ثلاثة أنواع: نوعان من حق، ونوع باطل وهو

---

١ – سورة النساء آية : ٥٨.

٢ – سورة النساء آية : ١٦٤.

.....

الذي يستخدمه المعطلة؛ لكن التحريف بكل معانيه باطل؛ ولهذا هو اللفظ الذي جاء به القرآن: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾[1]

من الأمثلة على التحريف المعنوي تحريفهم لمعنى قول الله ﷻ ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[2] ثم استولى على العرش، وأيضا تحريف اليد بالنعمة والقدرة، وتحريف النزول: نزول الأمر، أو نزول الملائكة، وغالب تحريفات أو تأويلات المعطلة هو من هذا النوع.

من غير تحريف ولا تعطيل.

التعطيل في اللغة: هو الخلو والفراغ، ومنه قول الله ﷻ ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ ﴾[3] ليس عليها غشاء ولا دلاء، وليس صادر ولا وارد.

وفي الاصطلاح: تعطيل الرب عما يستحقه أو عما يجب له من الأسماء والصفات أو بعضها، ثم قال: "ومن غير تكييف" بمعنى: أن السلف يصفون الله ﷻ من غير تحريف للمعنى أو للفظ، يبقون اللفظ على ظاهره كما سيأتي، ومن غير تعطيل لهذا اللفظ لما دل عليه، أو تعطيل الله ﷻ من هذه الصفة.

ومن غير تكييف.

التكييف: هو حكاية كيفية الصفة، كقول القائل: يد الله كذا وكذا، يُكيّفها، نزول الله كذا وكذا، استواء الله كيفيته كذا وكذا؛ ولهذا يسأل عن ذلك بـ"كيف"، فمثلا يقال: كيف خرج زيد؟ يقال: خرج مسرعا، كيف حجم هذا الشيء؟ يقال: كبير صغير، فتحديد كيفية الشيء هي الكيفية، فالسلف –رحمهم الله– يثبتون لله الصفات، لكن من غير تحديد لكيفية هذه الصفات، طيب، هل لصفات الله كيفية؟ الجواب: نعم، لكن لا نعلمها، لا يعلمها أحد من الخلق.

والدليل على انتفاء العلم بكيفية الصفات النقل والعقل، أما النقل فقول الله ﷻ ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ

---

١ – سورة النساء آية : ٤٦.

٢ – سورة الأعراف آية : ٥٤.

٣ – سورة الحج آية : ٤٥.

.....

عِلۡمًا ﴿١١٠﴾[1] ومعرفة كيفية الشيء فرع عن الإحاطة بالعلم بهذا الشيء، أيضا الله ﷻ يقول: ﴿ تَقۡفُ وَلَا مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ ﴾[2] ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[3] فمن حدد كيفية صفة من صفات الله ﷻ فقد تقوَّل على الله بلا علم، والسبب.. ما السبب؟ أنه ليس في الكتاب ولا في السنة دليل على إثبات كيفية هذه الصفات، نعم فيها إثبات الصفة، لكن ليس فيها كيفية الصفة؛ ولهذا اشتهر عن الإمام مالك وقيل عن ربيعة وقيل عن أم سلمة –سيأتي إن شاء الله– أن الاستواء معلوم والكيف مجهول، وقول السلف أمروها كما جاءت بلا كيف.

كما أن العلم بكيفية صفات الله ﷻ منتفٍ عقلا؛ وذلك أن كيفية الشيء لا تُعلَم ولا تعرف إلا بأحد طرق ثلاث: إما رؤية هذا الشيء، أو رؤية مثيله، أو الخبر الصادق، فلو أخبرنا إنسان أو سمعنا عن مدينة من المدن فكيف نعرف كيفية هذه المدينة؟ إما أن نشاهدها، أو نشاهد مثيلها إن كان لها مثيل، عند ذلك يمكن أن يتصور الإنسان كيفية هذه المدنية لما يقال: هذه المدينة مثل هذه المدينة التي رأيت، يكون عنده تصور ومعرفة لكيفية هذه المدينة، طيب إذا لم يتيسر هذا ولا ذاك يأتيك صادق ويخبرك عن كيفية هذه المدينة: تفاصيلها طرقها أنهارها، أشجارها سكانها، فإذا لم يأت صادق خلاص انتفى العلم بكيفية هذه المدينة، ولله المثل الأعلى.

فهل أحد من الخلق رأى الله ﷻ أو رأى شيئا من صفاته؟ الجواب: لا، إذن الطريق الأول مسدود، تعذر الوصول عن طريقه، حتى الأنبياء؟ حتى الأنبياء، حتى الملائكة؟ حتى الملائكة، النبي ﷺ أكرم وأعز الخلق وبلغ درجة لم يبلغها أحد من الخلق قاطبة ليلة الإسراء، ومع ذلك لما سأله أبو ذر: هل رأيت ربك؟ قال: نور أنى أراه وفي رواية حال بيني وبينه النور والنبي ﷺ يقول: واعلموا أن أحدكم لن يرى ربه حتى يموت فرؤية الله ﷻ في الدنيا متعذرة.

ولهذا لما سألها موسى ماذا قال الله ﷻ ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ

---

١ – سورة طه آية : ١١٠.

٢ – سورة الإسراء آية : ٣٦.

٣ – سورة البقرة آية : ١٦٩.

.....

ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ ﴾[1] **إن قَوِيَ هذا الجبل لرؤتي فسترى** ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾[2]

فهذه الأجسام التي ركبت في الدنيا للفناء لا يمكن أن تصمد لرؤية الباقي الدائم سبحانه وتعالى، فإذا أعيدت هذه الأجسام يوم القيامة وأعادها الله ﷻ للبقاء عند ذلك يمكن للمؤمنين أن يروا ربهم.

الطريق الثاني : هل لله مثيل؟ لا، تعالى الله عن ذلك: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾[3] ﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ ﴾[4] **إذن متعذر الرؤية، ومتعذر رؤية المثيل.**

هل جاءنا خبر صادق عن بيان كيفية الصفات؟ لا، هل الرسل أخبرتنا عن كيفية هذه الصفات؟ أخبرتنا عن الصفات ، أثبتت الصفات ، لكن كيفية هذه الصفات متعذر ، عند ذلك فالعلم بكيفية الصفة متعذر شرعا وعقلا.

ومن غير تكييف ولا تمثيل.

التمثيل: هو التسوية بين الشيئين، وهو تسوية الخالق بالمخلوق في صفاته أو بعض صفاته، هذا خلاف لمذهب مَن؟ المشبهة الممثلة، "من غير تكييف ولا تمثيل، ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي"، وهذه العبارة أراد المؤلف أن يرد بها على من زعم أن ظاهر النصوص لا يدل على أيش؟ على هذه الصفات المفهومة منها، فيقول: كلام الله ﷻ وما وصف الله به نفسه فهو حق على حقيقته، ليس فيه إلغاز، تعمية للمراد وإظهار خلاف المعنى الحقيقي، وليس في أحاجي مخالفة المعنى للفظ، لا، بل هو حق، على حقيقته، على ظاهره، فإذا قال: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ﴾[5] **عرفنا المقصود بالاستواء، الاستواء معلوم، العلو والارتفاع،** ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾[6] **نعرف معنى اليد وأنها يد حقيقية، لكن الله أعلم بكيفيتها.**

---

١ – سورة الأعراف آية : ١٤٣.

٢ – سورة الأعراف آية : ١٤٣.

٣ – سورة الشورى آية : ١١.

٤ – سورة مريم آية : ٦٥.

٥ – سورة الأعراف آية : ٥٤.

٦ – سورة المائدة آية : ٦٤.

.....

والنبي ﷺ لما يقول: ينزل ربنا حين يبقى ثلث الليل نعرف معنى النزول فهو حق، على حقيقته، على ظاهره، بخلاف المفوضة الذين قالوا: الذي يظهر من نصوص الصفات ليس المراد، والمراد معنى آخر، ما هو هذا المعنى؟ قالوا: الله أعلم به، وخلافا لمذهب المعطلة المحرفة المؤولة الذين قالوا: ظاهر هذا النص ليس يدل على العلو والارتفاع، إنما هناك معنى بعيد أراده النص، ما هو المعنى البعيد الذي أراده النص؟ قالوا: الاستيلاء أو الملك، فيقال: كلام الله ﷻ على ظاهره حق على حقيقته ليس فيه إلغاز ولا تعمية للمراد، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه.

أراد أن يؤكد الشيخ على هذه الحقيقة فقال: لاسيما إذا كان المتكلم، يعني: الأصل في كلام الناس، الأصل في كلام عموم الناس العرب والعجم، الأصل فيه ما هو؟ ظاهره؛ ولهذا يتعامل الناس في الدنيا وفي كل شيء بظاهر الكلام، يقول: لاسيما إذا كان المتكلم مَن؟ أفصح الخلق، أفصح من أقلت الغبراء، فأفصح من نطق بالضاد هو المصطفى ﷺ وهو المتكلم بهذه النصوص، هو المبلغ لهذه النصوص، لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق وأفصح الخلق وأنصح الخلق.

ثلاثة أمور يستحيل معها أن يكون الكلام له معنى آخر؛ لأنه لو كان للكلام معنى آخر للزم لهذا الشخص المتكلم الذي هو النبي ﷺ الذي اتصف بأنه أعلم الخلق وأنصح وأفصح أن يبين أيش؟ أنه لا يريد هذا المعنى الظاهر إنما يريد معنى آخر، وسيأتي أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز؛ فإذا كان يتلو على المسلمين ويبلغهم قول الله ﷻ ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾[1] ﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾[2] نعم ثم يسكت ويعلم ويتيقن أن هؤلاء السامعين الذين هم من العرب لا يعرفون من اليد على إطلاقها إلا اليد الحقيقية التي هي الصفة.

ثم يقول قائل: لا، هو يريد القدرة أو النعمة، نقول: لو أراد ذلك لوجب عليه أيش؟ بيان، لقال أمام الناس: أنا أريد هذا المعنى، أو أتى في الكلام بقرينة يدل على أنه لا يريد هذا المعنى الظاهر إنما يريد معنى آخر، وهذا من أقوى ما يرد به على هؤلاء؛ لأن كلامهم هذا –هم يقولون: إن ما يظهر من اللفظ ليس مرادا– هذا فيه اتهام لمن؟ اتهام للنبي ﷺ أنه عمَّى عن الخلق، وفي ماذا؟ في العبادات، في أعظم ما دعا الناس إليه، في أصول العقيدة، يتكلم عليهم بكلام وهو يريد معنى آخر ثم يسكت لا يبين!

---

١ – سورة المائدة آية : ٦٤.

٢ – سورة ص آية : ٧٥.

.....

هذا لا يفعله ولا يقوله آحاد الناس بل أبلد الناس، فضلا عن أن يحصل من هذا الذي جمع الله ﷻ ثلاث صفات: العلم، أعلم الخلق؛ لأنه لو لم يكن أعلم الخلق –نعم ربما بسبب الجهل– ما بين للناس، فإذا اجتمع مع العلم الفصاحة أنه يستطيع أن يبين، قد يكون عند الإنسان علم لكن ما يستطيع أن يبين مراد علمه، ثم النصح، كيف تترك الخلق، تترك الناس يخفى عليهم الحق، ويضطربون ويختلفون ولا تبين لهم الحق.

س: أحسن الله إليك يا شيخ، يقول: ما رأيك فيمن يقول: أن عندنا دليلا نقليا عن النبي –عليه السلام– في إثبات كيفية الله ﷻ وهو قول النبي عليه السلام: 📖 خلق الله آدم كصورته، أو كصورة الرحمن 📖 ؟

ج : لا، ليس هذا فيه يسأل الأخ يقول: من قال: إن النبي ﷺ ذكر لنا في الحديث كيفية صفة من صفات الله ﷻ وهو الحديث الذي ورد في صحيح مسلم: 📖 إن الله خلق آدم على صورته 📖 وعند ابن خزيمة وغيره 📖 على صورة الرحمن 📖 على كل هذا الحديث ليس فيه بيان لكيفية الصفة، وسيأتي إن شاء الله الحديث عليه تفصيلا، بل هو حق على ظاهره، وليس فيه ما يدعو للنُفرة، فالصورة كما قال ابن قتيبة –رحمه الله– الصورة كسائر الصفات، مثل اليد، مثل الوجه، مثل الاستواء فلا فرق بين هذا وتلك، والإمام أحمد يقول: من صرف هذا اللفظ عن ظاهره فهو جهمي، وسيأتي إن شاء الله الكلام عليه تفصيلا فلا نستعجل في الحديث عنه.

وهو –سبحانه– مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله، فكما يتيقن أن الله –سبحانه– له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة فكذلك له صفات حقيقة، وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصا أو حثا فإن الله منزه عنه حقيقة، فإنه –سبحانه– مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه، ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه، واستلزام الحدوث سابقة العدم؛ ولافتقار المحدَث إلى المحدِث، ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى.

نعم في الجملة الأولى: "وهو –سبحانه– مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله" يقول: مع أن أهل السنة يثبتون لله هذه الصفات فهم ينفون عنه مماثلة المخلوقات، ثم أوضح وجها من وجوه الرد على هؤلاء الذين نفوا بعض الصفات، وهذه من القواعد العامة التي يمكن أن يُرَد بها على كل من أثبت شيئا ونفى مثيله، فيرد بها على الجهمية ويرد بها على المعتزلة، ويرد بها من باب أولى على الأشاعرة، أن القول في الصفات كالقول في الذات.

فالشيخ يقول: "وهو –سبحانه– ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله، فكما يتيقن أن الله –سبحانه– له ذات حقيقة" أنتم معاشر الأشاعرة، أنتم معاشر المعتزلة، أنتم معاشر الجهمية، ألستم تثبتون لله ذات وإلا لا، نعم يقولون: لله ذات؛ لأنهم إذا نفوا أن يكون لله ذات قالوا: إنه عدم، فكما أن لله ذات وهذه الذات أيضا لها أفعال، أنتم ألستم تثبتون أن الله خالق رازق، يحيي ويميت، ينفع ويضر، وإلا لا، هذه أفعال الله؛ إذن فكما أنه له ذات لا تماثل بقية الذوات، وله أفعال لا تماثل أفعال المخلوقين، فكذلك هذه الذات موصوفة بصفات لا تماثل سائر الصفات، صفات الخلق، فكما أن له ذات حقيقة فله صفات حقيقة، وذاته لا تماثل ذوات المخلوقين، فصفاته لا تماثل صفات المخلوقين. واضح؟

فصفاته لا تماثل صفات المخلوقين، ولهذا قال الأئمة: إذا قال الجهمي لك أيها السني: كيف استوى الله ﷻ أو كيف ينزل؟ فاعكس عليه السؤال، قل له: كيف ذاته؟ إذا قال: الله أعلم، قل: الله أعلم بكيفية استوائه، إذا كنت تجهل الذات فأنا أجهل كيفية استواء الله ﷻ أنت تثبت ذات وأنا أثبت صفة لهذه الذات، لكن لا أكيّف، لا أمثّل، لا أشبّه، وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصا أو حدوثا فإن الله منزه عنه حقيقة، فإنه –سبحانه– مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه، نعم.

عندنا قاعدة عامة: أن الله منزه عن كل نقص، موصوف بالكمال المطلق –سبحانه وتعالى–، ولهذا كل صفة

.....

استلزمت نقصا فنحن ننزه الله ﷻ عنها، وهنا ينبغي التنبه إلى أن ليس كل صفة كمال بالنسبة للمخلوق هي صفة كمال بالنسبة للخالق.

ولهذا القاعدة الجامعة المانعة: لا نقول كل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أولى به، الأفضل ولأجل أن نحترز ألا ترد علينا بعض صفات المخلوق التي هي كمال من جهة لكنها نقص من جهة أخرى أن نقول: كل كمال ثبت للمخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه فالخالق أولى به.

فقد يأتينا قائل ويقول: أنتم تقولون أن الله له الكمال المطلق، الأكل والشرب بالنسبة للمخلوق صفة كمال أم صفة نقص؟

– نقص، والله ما أدري، أخوكم يقول صفة نقص، بمعنى هذا الذي لا يأكل ولا يشرب وعلى السرير وموضوع له المغذي هذا أكمل من هذا الذي يأكل ويشرب، كذا.

– وكمال، نقص وكمال.

إذن هي بالنسبة للمخلوق صفة كمال، مثل النوم، الإنسان الذي ينام أكمل من ذاك الشخص الذي أصيب بمرض الأرق فلا ينام أبدًا، لكن هل هما صفة كمال من كل الوجوه؟

الجواب لا، هي صفة كمال من جهة، لكن صفة نقص من جهة أخرى، مثل الولد، من يولد له أكمل من العقيم، لكن ليست هذه صفات كمال من كل الوجوه، فالأكل والشرب والنوم والولد دليل على الحاجة، الإنسان محتاج للنوم، فهذا صفة كمال أم صفة نقص؟ صفة نقص، الحاجة صفة نقص، واضح؟ مثل الأكل، الشرب.

إذن الله ﷻ له الكمال المطلق المنزّه عن كل نقص.

ثم قال الشيخ: القاعدة: كل كمال ثَبَتَ للمخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه فالخالق أولى به.

مثاله: الحياة بالنسبة للمخلوق، كمال أم نقص؟ الحياة كمال من كل الوجوه، العلم كمال من كل الوجوه، فالخالق أولى بالاتصاف بها، يقول: فإن الله منزه عنه حقيقة إنه –سبحانه– مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه، ويمتنع عليه الحدوث.

لماذا لا يمتنع عليه الحدوث؟ هذه مصطلح أو أدلة عقلية لامتناع العدم عليه؛ لأن الحادث هو المسبوق بماذا؟ بالعدم، فهذا المخلوق، كل المخلوقات حادثة أم واجبة الوجود بنفسها؟ حادثة، إذن هي وُجِدت من لا شيء.

ويمتنع عليه الحدوث، لماذا يمتنع عليه الحدوث؟ لامتناع العدم عليه، كونه لم يسبق بالعدم –سبحانه–، فهو

–

.....

إذن– ليس بحادث، وصفاته تبع له سبحانه.

واستلزام الحدوث سابقه العدم. هي تفسير نفس العبارة السابقة.

والافتقار المحدَث إلى محدِث، يعني لو قلنا أن الله ﷻ محدَث –تعالى الله عن ذلك– لاستلزمَ أن يكون له محدِث، هذه قاعدة عقلية: كل محدَث لا بد له من محدِث، ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1] ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه فالله ﷻ واجب الوجود بنفسه، وواجب الوجود بنفسه هو الذي لا يجوز عليه الحدوث ولا العدم.

وقول المؤلف بنفسه احترازًا من ماذا؟ واجب الوجود بغيره، ما هو واجب الوجود بغيره؟

نحن الآن عرّفنا أن واجب الوجود هو الذي لا يجوز عليه الحدوث ولا العدم، وقد يعترض علينا معترض ويقول: الجنة وأهل الجنة، باقية أم يلحقها الفناء؟ باقية إلى أبد الآباد، لكن هل بقاؤها بنفسها أم بإبقاء الله ﷻ لها؟ بإبقاء الله ﷻ لها. هذا دليل على أنها مخلوقة، واضح؟ فالله هو الواجب الوجود بنفسه. نعم.

---

١ – سورة الطور آية : ٣٥.

ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله الله ﷺ فيعطلون أسماؤه الحسنى وصفاته العلا، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويلحدون في أسماء الله وآياته.

نعم، أهل السنة والجماعة وسط بين المعطلة والممثلة، مذهبهم التوسط كحال هذه الأمة، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[1] **فهم لم يغلوا كغلو المعطلة، ولم يجفوا كجفاء الممثلة، يثبتون خلافًا لمذهب المعطلة، وينزهون خلافا لمذهب الممثلة، يجمعون بين قول الله** ﷻ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[2] .

فالمعطّلة اقتصروا على جانب من النصوص التي فيها ماذا؟ أدلة المعطلة ما هي؟ من القرآن، الأدلة التي فيها التنزيل كقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾[3] ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[4] ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾[5] ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ ﴾[6] **يأخذون هذا الجانب ويغمضون أعينهم عن الجانب الآخر الذي فيه الإثبات.**

الممثّلة قابلوهم على النقيض؛ فأخذوا بالنصوص التي فيها إثبات: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[7]

---

١ – سورة البقرة آية : ١٤٣.

٢ – سورة الشورى آية : ١١.

٣ – سورة الشورى آية : ١١.

٤ – سورة الإخلاص آية : ٤.

٥ – سورة مريم آية : ٦٥.

٦ – سورة النحل آية : ٧٤.

٧ – سورة الشورى آية : ١١.

.....

﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾[1] ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾[2] **نعم، وأغمضوا أعينهم عن الجانب الآخر.**

أهل السنة والجماعة جمعوا بين نصوص هؤلاء ونصوص هؤلاء، ولهذا أخذوا بالحق الذي عند المعطلة، وهو ماذا؟ ما هو الحق الذي عند المعطلة؟ التنزيل، والحق الذي عند الممثلة، ما هو؟ الإثبات. وجمعوا بينهما، أثبتوا مع التنزيل.

المعطلة: كل من عَطَّلَ ما وصف الله به نفسه ووصفه بها رسوله، سواء من الصفات أو الأسماء أو عطل بعضها، وقلنا إن رءوس أهل التعطيل ثلاثة فرق: الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة.

المشبهة الممثلة: هذا في الواقع ليس له مذهب له كيان كحال المعطلة، وإنما مذهب التمثيل ومذهب التشبيه انتشر في بعض الفرق، وأبرز من ظهر عندهم التشبيه والتمثيل الرافضة وغلاة الصوفية الحلولية، ومن أوائل من قال بالتشبيه –وكفَّرهم العلماء على ذلك– هشام بن الحكم الرافضي، وهشام بن سالم الجواليقي وداود الحواري.

---

١ – سورة المائدة آية : ٦٤.

٢ – سورة الفتح آية : ١٠.

ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله الله ﷺ فيعطلون أسماؤه الحسنى وصفاته العلا، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويلحدون في أسماء الله وآياته.

نعم، أهل السنة والجماعة وسط بين المعطلة والممثلة، مذهبهم التوسط كحال هذه الأمة، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[1] **فهم لم يغلوا كغلو المعطلة، ولم يجفوا كجفاء الممثلة، يثبتون خلافًا لمذهب المعطلة، وينزهون خلافا لمذهب الممثلة، يجمعون بين قول الله** ﷻ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[2] .

فالمعطّلة اقتصروا على جانب من النصوص التي فيها ماذا؟ أدلة المعطلة ما هي؟ من القرآن، الأدلة التي فيها التنزيل كقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾[3] ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[4] ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾[5] ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ ﴾[6] **يأخذون هذا الجانب ويغمضون أعينهم عن الجانب الآخر الذي فيه الإثبات.**

الممثّلة قابلوهم على النقيض؛ فأخذوا بالنصوص التي فيها إثبات: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[7]

---

١ – سورة البقرة آية : ١٤٣.

٢ – سورة الشورى آية : ١١.

٣ – سورة الشورى آية : ١١.

٤ – سورة الإخلاص آية : ٤.

٥ – سورة مريم آية : ٦٥.

٦ – سورة النحل آية : ٧٤.

٧ – سورة الشورى آية : ١١.

.....

﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾[1] ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾[2] نعم، وأغمضوا أعينهم عن الجانب الآخر.

أهل السنة والجماعة جمعوا بين نصوص هؤلاء ونصوص هؤلاء، ولهذا أخذوا بالحق الذي عند المعطلة، وهو ماذا؟ ما هو الحق الذي عند المعطلة؟ التنزيل، والحق الذي عند الممثلة، ما هو؟ الإثبات. وجمعوا بينهما، أثبتوا مع التنزيل.

المعطلة: كل من عَطَّلَ ما وصف الله به نفسه ووصفه بها رسوله، سواء من الصفات أو الأسماء أو عطل بعضها، وقلنا إن رءوس أهل التعطيل ثلاثة فرق: الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة.

المشبهة الممثلة: هذا في الواقع ليس له مذهب له كيان كحال المعطلة، وإنما مذهب التمثيل ومذهب التشبيه انتشر في بعض الفرق، وأبرز من ظهر عندهم التشبيه والتمثيل الرافضة وغلاة الصوفية الحلولية، ومن أوائل من قال بالتشبيه –وكفَّرهم العلماء على ذلك– هشام بن الحكم الرافضي، وهشام بن سالم الجواليقي وداود الحواري.

المؤلف يقول السلف –رحمهم الله–: لا يلحدون في أسماء الله وآياته، والإلحاد في اللغة هو الميل، ولهذا سمي اللحد لحدًا لأنه مائل عن وسط القبر، أما في الاصطلاح فهو العدول بآيات الله ﷻ أو بما دلت عليه عن حقائقها، والإلحاد –كما ذكر المؤلف– ينقسم إلى قسمين: إلحاد في أسماء الله ﷻ وهو الذي جاء في قوله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ ﴾[3] .

وللإلحاد في أسماء الله صور ذكرها ابن القيم –رحمه الله– منها: تسمية الله ﷻ بما لم يسمِّ به نفسه، كتسمية النصارى له بماذا؟

– أب ، أب. وكتسمية الفلاسفة له بالعلة الأولى أو العلة الفاعلة.

من صور الإلحاد في أسماء الله ﷻ تعطيلها، تعطيل الرب عنها، كما صنع من؟ من الذي نفوا عن الله الأسماء؟ الجهمية.

---

١ – سورة المائدة آية : ٦٤.

٢ – سورة الفتح آية : ١٠.

٣ – سورة الأعراف آية : ١٨٠.

.....

هذا نوع من الإلحاد في أسماء الله، أن يعطل الرب –سبحانه وتعالى– عن هذه الأسماء.

من أنواع الإلحاد في أسماء الله ﷻ تعطيلها عن معانيها وجعلها أعلام محضة، كما صنع المعتزلة، يقولون: الله سميع لكن لا يتصف بالسمع، يجردونها عن معناها، علم محض، كما أنني أسمي هذا خالدا وليس بخالد، وهذا محمودا وليس بمحمود، نعم، وهذه المرأة جميلة وهي ليست بجميلة، يقولون أيضا أسماء الله ﷻ علم على الله، لكن لا تدل على صفات، الله سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، حكيم بلا حكمة، قوي بلا قوة، هذا مذهبهم، وهذا نوع من الإلحاد في أسماء الله ﷻ .

ومن الصور التي ذكرها ابن القيم للإلحاد في أسماء الله أيضا قال: تسمية المخلوق بها، ومثّل باشتقاق المشركين العزى من العزيز، واللات من الإله.

الشاهد أي عدول بأسماء الله ﷻ عن المعنى الذي أراد الله وأراد رسوله يعتبر إلحادا فيها.

النوع الثاني يقول: ويلحدون في أسمائه وآياته. والإلحاد بآيات الله ﷻ ينقسم إلى قسمين أيضا، وجاء ذكر الإلحاد في آياته في قول الله ﷻ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ ﴾[1]

فهناك إلحاد في آيات الله الشرعية الذي هو كلام الله المنزل، والإلحاد في آيات الله إما إنكار هذه الآيات أو إنكار بعضها، كمن أنكر أن يكون هذا القرآن كلام الله ﷻ أو جحد شيئا من آيات الله ﷻ قال هذه الآية ليست من القرآن، فهذا نوع من الإلحاد في آيات الله الشرعية.

كذلك من أنواع الإلحاد في آيات الله الشرعية تحريف معانيها، كما هي حال الباطنية الذين قالوا: هذه النصوص لها معان، ليست هذه المعاني التي تظهر منها.

أيضا من التحريف في آيات الله ﷻ الشرعية: تعطيل الأوامر والنواهي التي تضمنها هذا الكلام، كلام الله ﷻ .

كذلك من أنواع التحريف لآيات الله ﷻ الشرعية عدم تحكيم هذا الكتاب، هذا الكتاب أنزله الله ﷻ لتدبره، لفهم معانيه، والعمل بمقتضاه وتصديق أخباره وأيضا ليكون شرعا ودستورا للأمة.

والنوع الثاني من الإلحاد في آيات الله الآيات الكونية: السماوات والأرض، كل ما خلقه الله ﷻ في الكون، ومن صور الإلحاد في آيات الله الكونية: أن ينسب التصرف فيها لغيره –سبحانه وتعالى– كحال غلاة عباد القبور، غلاة عباد الأولياء الذين يزعمون أن هذا الكون الذي يتصرف فيه من؟ الأولياء، نعم.

---

١ – سورة فصلت آية : ٤٠.

فلا يمثلون صفاته بصفات خلقه ولا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ فيعطلون أسماءه الحسنى وصفاته العلا، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويلحدون في أسماء الله وآياته.

المؤلف يقول السلف –رحمهم الله–: لا يلحدون في أسماء الله وآياته، والإلحاد في اللغة هو الميل، ولهذا سمي اللحد لحدًا لأنه مائل عن وسط القبر، أما في الاصطلاح فهو العدول بآيات الله ﷻ أو بما دلت عليه عن حقائقها، والإلحاد –كما ذكر المؤلف– ينقسم إلى قسمين: إلحاد في أسماء الله ﷻ وهو الذي جاء في قوله:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ ﴾[1] .

وللإلحاد في أسماء الله صور ذكرها ابن القيم –رحمه الله– منها: تسمية الله ﷻ بما لم يسمِّ به نفسه، كتسمية النصارى له بماذا؟

– أب ، أب. وكتسمية الفلاسفة له بالعلة الأولى أو العلة الفاعلة.

من صور الإلحاد في أسماء الله ﷻ تعطيلها، تعطيل الرب عنها، كما صنع من؟ من الذي نفوا عن الله الأسماء؟ الجهمية.

هذا نوع من الإلحاد في أسماء الله، أن يعطل الرب –سبحانه وتعالى– عن هذه الأسماء.

من أنواع الإلحاد في أسماء الله ﷻ تعطيلها عن معانيها وجعلها أعلام محضة، كما صنع المعتزلة، يقولون: الله سميع لكن لا يتصف بالسمع، يجردونها عن معناها، علم محض، كما أنني أسمي هذا خالدا وليس بخالد، وهذا محمودا وليس بمحمود، نعم، وهذه المرأة جميلة وهي ليست بجميلة، يقولون أيضا أسماء الله ﷻ علم على الله، لكن لا تدل على صفات، الله سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، حكيم بلا حكمة، قوي بلا قوة، هذا مذهبهم، وهذا نوع من الإلحاد في أسماء الله ﷻ .

ومن الصور التي ذكرها ابن القيم للإلحاد في أسماء الله أيضا قال: تسمية المخلوق بها، ومثّل باشتقاق المشركين العزى من العزيز، واللات من الإله.

الشاهد أي عدول بأسماء الله ﷻ عن المعنى الذي أراد الله وأراد رسوله يعتبر إلحادا فيها.

---

١ – سورة الأعراف آية : ١٨٠.

.....

النوع الثاني يقول: ويلحدون في أسمائه وآياته. والإلحاد بآيات الله ﷻ ينقسم إلى قسمين أيضا، وجاء ذكر الإلحاد في آياته في قول الله ﷻ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآ ﴾[1]

فهناك إلحاد في آيات الله الشرعية الذي هو كلام الله المنزل، والإلحاد في آيات الله إما إنكار هذه الآيات أو إنكار بعضها، كمن أنكر أن يكون هذا القرآن كلام الله ﷻ أو جحد شيئا من آيات الله ﷻ قال هذه الآية ليست من القرآن، فهذا نوع من الإلحاد في آيات الله الشرعية.

كذلك من أنواع الإلحاد في آيات الله الشرعية تحريف معانيها، كما هي حال الباطنية الذين قالوا: هذه النصوص لها معان، ليست هذه المعاني التي تظهر منها.

أيضا من التحريف في آيات الله ﷻ الشرعية: تعطيل الأوامر والنواهي التي تضمنها هذا الكلام، كلام الله ﷻ .

كذلك من أنواع التحريف لآيات الله ﷻ الشرعية عدم تحكيم هذا الكتاب، هذا الكتاب أنزله الله ﷻ لتدبره، لفهم معانيه، والعمل بمقتضاه وتصديق أخباره وأيضا ليكون شرعا ودستورا للأمة.

والنوع الثاني من الإلحاد في آيات الله الآيات الكونية: السماوات والأرض، كل ما خلقه الله ﷻ في الكون، ومن صور الإلحاد في آيات الله الكونية: أن ينسب التصرف فيها لغيره –سبحانه وتعالى– كحال غلاة عباد القبور، غلاة عباد الأولياء الذين يزعمون أن هذا الكون الذي يتصرف فيه من؟ الأولياء، نعم.

---

١ – سورة فصلت آية : ٤٠.

– وكل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل، فهو جامع بين التعطيل والتمثيل، أما المعطلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات، فقد جمعوا بين التمثيل والتعطيل، مثّلوا أولا وعطّلوا آخرا، وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيل لما يستحقه هو – سبحانه– من الأسماء والصفات اللائقة بالله –سبحانه وتعالى–.

فإنه إذا قال القائل: لو كان الله فوق العرش للزم أن يكون إما أكبر من العرش أو أصغر أو مساويا، وكل ذلك محال ونحو ذلك من الكلام، فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان على أي جسم كان، وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم، أما استواء يليق بجلال الله ويختص به فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها.

نعم، يقول: كل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل، يعني كل من المعطل والممثل قد جمع بين التعطيل والتمثيل، فالمعطل معطل ممثل، والممثل ممثل معطل، وبيان ذلك أن المعطل لن يصل إلى مرحلة التعطيل إلا بعد أن مثل، فهو مثلا جاء لقول الله ﷻ ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾[1] ففهم من هذا النص أنه إن أثبته على ظاهره فيلزم من هذا أن يكون استواء الله ﷻ كاستواء المخلوق.

إذن الآن مثّل أم لم يمثّل؟ هو الآن مثل، ثم انتقل بعد ذلك إلى التعطيل فعطل صفة الاستواء، ولهذا يقول: أما المعطلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق.

جاءوا بهذه الأسماء والصفات التي جاءت في القرآن والسنة، وفهموا أن هذا النزول الثابت لله ﷻ هو مثل نزول المخلوق وأن هذا المجيء الثابت لله ﷻ مثل مجيء المخلوق، وأن هذه الرحمة الثابتة لله ﷻ هي مثل الرحمة الثابتة للمخلوق، ثم بعد ذلك شرعوا في نفي تلك المفهومات.

الذي ظهر من هذا النص إثبات الاستواء، هو المفهوم من هذا النص نفوه؛ لأنهم اعتقدوا أن هذا فيه تمثيل وتشبيه، فقد جمعوا بين التمثيل والتعطيل، هم فروا من التمثيل، لكنهم في واقع الأمر ماذا؟ مثلوا.

أيضا هناك وجه آخر للتمثيل ما ذكره الشيخ هنا، لكن ذكره في مواضع أخرى عند هؤلاء المعطلة، وأي

---

١ – سورة الأعراف آية : ٥٤.

.....

معطل أي كان تعطيله حتى غلاة المعطلة، هؤلاء الذين نفوا عن الله الصفات فرارا من ماذا؟

– التشبيه.

من التشبيه، التشبيه بماذا؟ بالمخلوق، بهذا المخلوق، يعني مثلا معتزلي لما نفى عن الله ﷻ السمع والبصر لأجل ألا يشبهه ويمثله بهذا المخلوق الذي يسمع ويبصر، نقول له: أنت الآن فررت من تمثيل فوقعت في تمثيل أشد وأنكى، مثلت الله ﷻ بماذا؟ بالجمادات التي لا تسمع ولا تبصر، أنت تقول: الله ليس له سمع ولا بصر، والذي ليس له سمع ولا بصر هو الجماد، واضح؟

كذلك الأشاعرة، كذلك الجهمية، فعندهم نوعان من التمثيل: كونهم أولا مثلوا ثم عطلوا، وأيضا كونهم لما عطلوا الرب –سبحانه وتعالى– فروا من تشبيه الله بهذا المخلوق، فوقعوا في تشبيه أشد وأنكى، وأشرنا إلى هذا في مذهبهم لما قالوا: إن الله ليس بداخل العالم ولا خارجه، فروا من تشبيه الله ﷻ بالمعدوم ممكن الوجود، إلى تشبيهه بالمعدوم مستحيل الوجود، متعذر الوجود.

يقول: وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيل لما يستحقه هو –سبحانه– من الأسماء والصفات اللائقة بالله –سبحانه وتعالى–، فإنه إذا قال القائل: لو كان الله فوق العرش للزم أن يكون إما أكبر من العرش أو أصغر أو مساويا.

هذه حقيقة شبهة يوردها الأشاعرة على أهل السنة في إثبات الاستواء، يقولون: وممن أوردها الغزالي في (قواعد العقائد) عنده رسالة صغيرة، وأيضا أوردها الرازي في كتابه (أساس التقديس)، وأوردها النيسابوري في كتابه (الغُنية في أصول الدين)، هذه إحدى الشبه التي نفوا بها صفة الاستواء لله ﷻ قالوا: يا أهل السنة إذا أثبتم الاستواء فيلزمكم أن تثبتوا أن الله إما أن الله أكبر من العرش أو أصغر أو مساوٍ، وهذا فيه تحديد وفيه تشبيه، وكل ذلك محال، يقول: لبيان كيف وردت لهم هذه الشبهة، وأنها ما وردت لهم إلا بسبب أنهم وقعوا في التشبيه أولا ثم عطلوا.

يقول: فإنه لم يفهم من كون الله ﷻ على العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان على أي جسم كان.

لما سمع قول الله ﷻ ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾[1] وسمع أن أهل السنة يثبتون الاستواء على العرش تبادر إلى ذهنه أن استواء الله على العرش مثل استواء المخلوق على المخلوق، استواء كائن على كائن، هذا الذي تبادر

---

١ – سورة الأعراف آية : ٥٤.

.....

إلى ذهنه، هذا الذي فهمه من النص.

يقول: وهذا اللازم، ما هو اللازم؟ الذي ألزم أهل السنة وألزم نفسه به لأجل أن لا يثبت الاستواء، فقال: إني إذا أثبت الاستواء فيلزم أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساو، هذا اللازم تابع لهذا المفهوم، يعني كيف جاء هذا اللازم؟ لما فهم أن كل استواء ما هو إلا استواء كائن على كائن، استواء مخلوق على مخلوق، هذا المفهوم الباطل هو الذي جرّه لهذا اللازم الباطل، واضح؟ واضح أم غير واضح؟

يقول: وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم. وهو في واقع الأمر وقع في أربع محاذير، هو بهذا اللازم وبهذا المفهوم الباطل وقع في أربع محاذير

المحذور الأول: أنه مثّل ما فهمه من النص بصفات المخلوقين، وظن أن هذا هو ظاهر النص، يعني الآن لما سمع قول الله ﷻ ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[1] ظن أن ظاهر النص يدل على ماذا؟ أجيبوني.

ظاهر قول الله ﷻ ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[2] ظن أنه يدل على ماذا؟ على التشبيه، إذن يعتقد أن ظاهر النص هو التشبيه، هذا هو المحذور الأول: أنه جعل ظاهر النصوص التشبيه.

المحذور الثاني: لأجل أن يفر من هذا المحذور ماذا فعل؟ عطل النص عن مدلوله، النص دال على الاستواء، فلأجل أن يفر من هذا المحذور عطّل النص عن دلالته، قال: النص هذا لا يدل على الاستواء الذي هو العلو والارتفاع، عند ذلك صار عندنا النص معطل أم معمل؟ معطل، إذن هذا في المحذور الثاني.

المحذور الثالث: أنه عطل الله ﷻ عن هذه الصفة، الله موصوف بالاستواء، فعطل، قال: الله ﷻ ليس مستويا على عرشه، ثم وقع في المحذور الرابع وهذا في الصفات الأخرى، يمكن أن تمثلها في الصفات الأخرى أنه وصف الله ﷻ بنقيض هذه الصفة، فإذا نفى عنه السمع فيلزم أن يثبت له أنه ليس بسميع وإلا لا، فهو وقع في أربع محاذير بسبب هذا المفهوم الباطل.

يقول: أما استواء يليق بجلال الله ويختص به فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها.

لو أثبت الاستواء كما أثبته الأنبياء والرسل والسلف والأئمة والصحابة استواء يليق بجلال الله وعظمته، لَمَا حصلت عنده هذه اللوازم الباطلة التي وقع بسببها في محاذير متعددة، ألحد في آيات الله وفي ماذا؟ وفي أسمائه، هو

---

١ – سورة الأعراف آية : ٥٤.

٢ – سورة الأعراف آية : ٥٤.

.....

الآن بهذه المحاذير الأربعة وقع في نوعين من الإلحاد: إلحاد في أسماء الله وصفاته، وهي تعطيل الرب ووصفه بنقيضها، وإلحاد في آيات الله؛ أنه اعتقد أن ظاهر النص التشبيه، وعطل النص عن دلالته، فهو جمع بين الإلحاد في آيات الله والإلحاد في أسمائه، والسبب أنه لم يثبت الاستواء اللائق بالله ﷻ .

وسيوضح المؤلف –إن شاء الله– في الأسطر السابقة أنه ليس هناك أي تشبيه إذا أثبتنا لله الاستواء كما يليق به –سبحانه وتعالى–، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

هذا سؤال يقول: ابتلي كثير من الشباب بلبس البنطلون أو البنطال، ويدعي أنه صار من لباس المسلمين وليس على منعه دليل من الكتاب ولا من السنة.

أقول: الأصل في اللباس الإباحة أم المنع؟ الإباحة، كما أن الأصل في العبادات المنع، فالأصل في كل لباس أنه جائز إلا ما استثناه الشرع، لبس الحرير على الرجال، لبس الذهب على الرجال، لبس المرأة لملابس الرجل، أو لبس الرجل لملابس المرأة، كذلك اللباس الذي فيه تشبه بالكفار من الجنسين سواء من الذكور أو الإناث.

يبقى عندنا بعض الملابس هل فيها تشبه أو ليس فيها تشبه؟ فأظن أن الكلام يدور في قضية لبس البنطال أو عدم لبس البنطال حول علة ماذا؟ التشبه.

فيقال: عندنا قاعدة في التشبه، هناك أشياء هي من خصائص الكفار لا تتغير بمرور الزمن ولا بتغير المكان، من ذلك: مثل الأعياد البدعية عندهم، عيد الميلاد وإلى آخره، هذه باقية، ومن عملها في أي زمان أو مكان فهو متشبه بالكفار، وعندنا أشياء قد تكون في بدايتها خاصة بالكفار، ثم ماذا؟ تصبح عامة، تصبح ليست علما على الكفار، فهذا اللباس نعم ربما أول ما جاء للمسلمين جاءهم من الغرب، لكنه في هذه العصور المتأخرة في واقع الأمر صار لباسا مستساغا بين المسلمين، فيطبق في حقه ما يطبق في اللباس الآخر، الضوابط الشرعية، نعم، لا يكون رقيقا بحيث إنه يصف العورة، الضوابط التي في عموم اللباس تطبق على البنطال.

أيضا ينظر في البيئة التي يعيش فيها هذا المسلم، فإن كانت البيئة الأصل فيهم اللباس هذا المعتاد، مثل لباس أهل هذه المنطقة، فيأتي رجل من أهل هذه المنطقة ويلبس بين ظهراني الناس البنطال والقميص نقول: هذا أمر مستنكر، قد يكون فيه جانب آخر من المخالفة وهي الشهرة، واضح؟ لكن إنسان يعيش في بعض هذه البلاد الذي هذا هو اللباس المعتاد، ما فيها أي استنكار لشخص لبس هذا اللباس، فالذي يظهر أنه لا شيء في ذلك، وأيضا يأتي في قضية أخرى بحسب قصد من لبس هذا اللباس، إن لبسه تشبهًا بالكفار فالحكم باقٍ، وإن لبسه لا على أنه لباس كسائر اللباس فالأمر فيه السعة، ولا يُضيق على الناس واسع، والله أعلم.

.....

هذا غير، هو الآن السؤال يأتي بقضية لبس النساء للبنطال، والسؤال لبس الرجل للبنطال، أما لبس المرأة للبنطال ففتوى الشيخ نعم هذه موجودة، هو يمنع منها –رحمه الله–، لكن يطبق في حقها ما يطبق، فإذا كان ساترا فضفاضا، ليس فيه تشبه وليس فيه إبداء للزينة فما المانع، نعم الشيخ منعه من منطلق أنه تشبه، أقول: إذا كان تشبه حتى للمرأة عند زوجها الذي يجوز أن تتعرى عنده، نقول: لا يجوز أن تلبسه، أما إذا لبسته على أنه مظهر من المظاهر التي تتجمل به لزوجها فالمسألة فيها سعة، والله أعلم. نعم.

س: أحسن الله إليكم، يقول: ما رأيكم فيمن تعلم علم المنطق كحفظ متن إيثاغوجي ثم ما بعده، وذلك لمن ضبط منهج أهل السنة، وذلك لفهم شيخ الإسلام وغيره وإفهام الخصوم؟

ج: علم المنطق –يا إخوان– علم آلة، لا شك الشيخ –رحمه الله– في أول كتابه الرد على المنطقيين أنه لا يستفيد منه الغبي ولا ينتفع به الذكي أو العكس، لكنه يبقى علم آلة، فإذا سلم من المحاذير فلا مانع أن الإنسان يتعلمه بشرط ألا يدفعه ذلك إلى التشكيك في بعض المسلمات الشرعية. نعم.

س: السلام عليكم، هل يجوز للإنسان إذا وصف صفات الله كالسمع والبصر، هل يجوز له أن يشير إلى أذنيه أو عينيه؟

ج: هذه مسألة –يا إخوان– فيها تفصيل، النبي ﷺ نعم ثبت كما ذكرت لكم في سنن البيهقي أنه ﷺ قال على المنبر: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾[1] وأشار على سمعه وبصره ﷺ وقال العلماء: إن الإشارة هنا لبيان إثبات حقيقة الصفة لله ﷻ والإمام أحمد –رحمه الله– كما عند اللالكائي رأى واعظًا يتكلم وذكر حديث: ﷺ إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن ﷺ وأشار بإصبعيه وحركهما، فغضب الإمام أحمد وقال: قطعها الله، قطعها الله، قطعها الله، وانصرف.

فكيف نجمع بين هذا؟ أيضا النبي ﷺ لما ذكر هذا الحديث حرّك أصابعه، فالجمع أن المتكلم إذا أمن على المستمعين ورود التشبيه عندهم، نعم، وكان أيضا هو ممن يوثق أنه ليس عنده مبدأ تشبيه، فلا مانع، بشرط ألا يشوش هذا على المستمعين، أما إن انتفى أحد الأمرين، بمعني أن المستمعين ربما يشوش عليهم هذا الأمر، أو ربما يفهم أن هذا فيه تشبيه، أو كان المتكلم عنده مظنة التشبيه والتمثيل فلا، لا يجوز. نعم.

س: أحسن الله إليكم، يقول: قال الله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ

---

١ – سورة النساء آية : ٥٨.

.....

إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[1] .

ج: هذا نفس المسألة، يقول: كيف نرد على من زعم أن مذهبنا هو التشبيه والتمثيل، ويستدل على ذلك بحديث بن عمر عند مسلم، وهو قول النبي ﷺ ☐ يقبض الله السماوات بيد والأرض بيد فيهزهن ويقول: ☐ إلى آخر الحديث. أقول: هذا مثل قضية النبي ﷺ عمل هذا لتحقيق إثبات هذا الأمر وليس بتشبيه يده بيد الله ﷻ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. نعم.

س: السلام عليكم، يقول: قال الله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[2] هل يدخل في قوله ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[3] الحور العين الذين في الجنة بحيث أن الجنة موجودة الآن.

ج: هذه المسألة تكلم عليها العلماء، وذكروا أن مما استثني أو مما يدخل في هذا الاستثناء الحور العين بأن الله ﷻ خلقهن للبقاء، ولهذا النبي ﷺ في حديث التفضيل، حديث اليهودي الذي قال: ☐ لا والذي اصطفى موسى على البشر، فلطمه الصحابي، وقال: أتقول هذا ورسول الله بين أظهرنا، ثم جاء يشتكي إلى النبي ﷺ ذكر الحديث وفيه: فأكون أول من أفاق أو من يفيق، فإذا أنا بموسى باطش بقائم من قوائم العرش، فلا أدري أهو ممن استثنى الله أم جوزي بصاعقة الطور ☐ ؟ نعم.

س: السؤال عليكم يقول: ما أصل هذه المقولة: الله لم نره ولكننا بالعقل عرفناه؟

ج: يظهر أنها على ظاهرها، وليس فيها محظور، نعم، الله ﷻ لم يره أحد من الخلق، ولن يراه أحد من الخلق في الحياة، لكن عرفناه بعقولنا، الله ﷻ أعطانا هذا العقل، ويمكن عن طريقه أن نثبت وجوده، نثبت أنه واحد لا شريك له، نثبت أن له صفات الكمال على وجه العموم، وأنه منزه عن صفات النقص. نعم.

كيف؟ عُرف بالعقل والشرع، ولهذا إثبات وجود الله ﷻ ثبت بالأدلة العقلية التي جاء بها الشرع

---

١ – سورة الزمر آية : ٦٨.

٢ – سورة الزمر آية : ٦٨.

٣ – سورة النمل آية : ٨٧.

.....

﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1] هذا دليل عقلي، خاطب الله ﷻ عقول هؤلاء المنكرين بهذا الدليل العقلي وهم لا يؤمنون بالقرآن. نعم.

س: يقول: هل يجوز تسمية المخلوق بكريم وعزيز وحميد؟

ج: تسمية المخلوق بأسماء الله ﷻ التي لا يختص بها، هذا جائز والله ﷻ ذكر ذلك في القرآن، فسمى نفسه عزيزا وسمى ملك مصر العزيز، وسمى نفسه ملكا وسمى المخلوق بالقرآن ملك، لكن الأسماء الخاصة به –سبحانه– مثل الله والرحمن، هذه لا يجوز أن يتسمى بها مخلوق.

وهذا الاشتراك لا يزال من التشبيه، هذا الاشتراك والتشابه بين اسم المخلوق واسم الخالق هذا في المعنى العام، وكل له ما يخصه من هذا المعنى، نعم.

س: السلام عليكم، يقول: أنا أخوكم من أفريقيا، بعض الأشاعرة عندنا يقولون: إن أشرنا بأصابعنا إلى السماء فهذا يقتضي التجسيم، كيف نرد على هذا؟

ج: هذه نعم إحدى الشبه التي نفوا بها صفة العلو لله ﷻ شبهة من شبه الأشاعرة أننا إذا أثبتنا لله العلو فهذا يستلزم التجسيم، ورد عليهم العلماء أن هذا قول باطل، ولا يلزم من إثبات العلو التجسيم، كما أن لفظ التجسيم ولفظ الجسم من الألفاظ المجملة التي لا بد فيها من بيان المعنى المراد، فقد يطلق الإنسان هذه اللفظة مثل لفظ الحيز، لفظ الجهة، لفظ العرض، حلول الحوادث، كل هذه من الألفاظ المجملة، الألفاظ المحدثة التي لم ترد بالكتاب ولا بالسنة، لا بنفي ولا بإثبات، فمن أطلقها على الله سُئل عن مراده، ما مرادك من هذه اللفظة، فإن أراد حقًا أُثبت المعنى دون اللفظ، وإن أراد باطلا كما هو الحال عند هذا الأشعري رد المعنى واللفظ، فإثبات العلو لا يستلزم التجسيم بالمعنى الباطل الذي أراده هؤلاء، وهو أن الجسم هو المركب من الجواهر المفردة، واضح؟ نعم.

س: أحسن الله إليكم، يقول: ربما يقول قائل إن النبي ﷺ بين ونصح، ولكن لم يصلنا بيانه في الصفات، فماذا نرد عليه؟

ج: يقال إذا قلت هذا الكلام فأنت تشك أن هذا الدين نعم لم يحفظ، إذا كنا نعتقد أن ديننا محفوظ بحفظ الله ﷻ في كل دقيقة وجليلة فمن باب أولى أن يحفظ لنا في هذه المسائل الكبار، فهذه الاحتمالات لا حد لها،

---

١ – سورة الطور آية : ٣٥.

.....

ربما يقول إنسان يقول من قال لكم إن هذه الصلوات خمس؟ ربما النبي ﷺ شرع سبع صلوات! نسخ هذا الحكم، فربما واحتمال لا ترد عندنا في شرعنا فإن ثبت فما دليلك؟ وإن لم يثبت فنحن على الأصل، نعم.

والأصل أن النبي ﷺ بلغنا هذا الدين وبلغنا هذا القرآن، ونقله لنا الصحابة والسلف –رحمهم الله– مئات وآلاف النصوص وليس هناك نص واحد عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة الذين سمعوا منه أنه قال أنا لا أريد هذا المعنى إنما أريد المعنى آخر، أين نقول؟ أنى لكم هذا؟ فمن أثبته فعليه الدليل، كيف نترك هذه النصوص التي لا حصر لها لهذه الاحتمالات الباطلة؟! والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

إثبات صفة العلو والاستواء لله ﷻ

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد عليه وعلى صحبه وآله وسلم، قال المصنف –رحمه الله تعالى–:

"وصار هذا مثل قول الممثل إذا كان للعالم صانع فإما أن يكون جوهرا أو عرضا، إحداهما محال؛ إذ لا يعقل موجودا إلا هذان، أو قوله إذا كان مستويا على العرش فهو مماثل لاستواء الإنسان على السرير أو الفلك؛ إذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا، فإن كلاهما مثل وكلاهما عطل حقيقة ما وصف الله به نفسه، وامتاز الأول بتعطيل كل مسمى للاستواء الحقيقي، وامتاز الثاني بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين" .

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء المرسلين، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لا زال كلام المؤلف في بيان أن كل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل جامع بين التعطيل والتمثيل، وبيّن –رحمه الله– في الكلام السابق كيف جمع المعطل بين التعطيل والتمثيل، وأورد على ذلك استدلالا أنه قال: إذا كان الله مستويا على العرش للزم على ذلك أن يكون أكبر أو أصغر، أو مساويا للعرش، وبين الشيخ أن هذا اللازم هو بسبب أيش؟ مفهومه من أن الاستواء كاستواء أي كائن على كائن مخلوق على مخلوق، هذا الباطل منبنٍ على هذا الباطل.

ثم انتقل لبيان ما يورده الممثل الذي جمع أيضا بين التمثيل والتعطيل، فقال: وصار هذا –يعني هذه اللوازم الباطلة– مثل قول الممثل إذا كان للعالم صانع فإما أن يكون جوهرا أو عرضا، والجوهر والعرض من الألفاظ المحدثة التي جاء بها المتكلمون، معنى العرض، نبدأ بالعرض؛ لأنه إذا فُهم العرض سهل فهم الجوهر، العرض قالوا: هو الذي لا يصح بقاؤه في ثاني حاله، يعني الذي لا يقوم بنفسه بعبارة مختصرة، العرض الذي لا يقوم بنفسه، يقوم بغيره، يقوم بجوهر، مثاله: العلم، العلم يعبر عنه المتكلمون أنه عرض، هل يمكن أن يقوم العلم بنفسه؟ لا يمكن، لا يقوم إلا بعالم، فالعلم عرض، والجوهر هو الذي يقابل العرض، هو الذي يقوم بذاته.

ويقسمونه إلى جوهر فرد وجوهر مركب، لا علاقة لنا بالدخول في تفاصيل تعريف هذه المصطلحات، إنما الذي نريد أن نفهمه هنا أن الجوهر هو الذي يقوم بنفسه، طيب سنطبق هذا على صفات المخلوق، هو هذا

.....

الممثل يقول: أنا لا أشاهد مخلوقا موصوفا بصفة إلا أن تكون هذه الصفة إما أن تكون هذه الصفة إما عرضا أو جوهر، فعرفنا أن العلم عرض أم جوهر؟ عرض. الوجه؟ الوجه جوهر قائم بنفسه. اليد؟ جوهر. القدم؟ القدرة؟ القدرة عرض، الحياة عرض لا تقوم بنفسها، لا بد من حي، الكلام عرض، السمع، البصر، العين جوهر.

إذن هذا الممثل يقول أنا لا أشاهد، ولا أعرف من هذه الصفات، إلا ما كان عرضا أو جوهرا، المؤلف جاء بجملة معترضة قال: وكلاهما هذا محال على الله ﷻ لكن الممثل لا يحيل هذا الأمر.

وبناء عليه جعل صفات الله ﷻ كصفات المخلوق، نقول في مثل هذه الألفاظ –وسبق الإشارة إلى ذلك–: إنها ألفاظ محدثة، لا يجوز إثباتها بإطلاق بالنسبة لله، ولا نفيها بإطلاق، فلا يقال: علم الله هو عرض أو ليس بعرض، ولا يقال: وجه الله هو جوهر أو ليس بجوهر، هذه الألفاظ مما ابتدعه المتأخرون من أهل الكلام، ولم ترد لا في الكتاب ولا في السنة، لا بنفي ولا بإثبات.

فمنهج أهل السنة والجماعة تجاه مثل هذه الألفاظ أنها لا تثبت بإطلاق ولا تُنفَى بإطلاق، فمن أطلقها على الله سُئل: ما مرادك من هذا اللفظ؟ فإن أراد حقا نقبل ماذا؟ نقبل المعنى ونقول له عبر بالألفاظ الشرعية، بالألفاظ الواردة في الكتاب والسنة، وإن أراد باطلا رُدّ المعنى واللفظ، مثاله أيضا: لفظ الجهة، لفظ الحيز، لفظ المركب، لفظ حلول الحوادث، كل هذه من الألفاظ المحدثة التي شغَّب به المتكلمون على الناس لتمويه باطلهم.

يقول: إذ لا يعقل موجود إلا هذا، هذا الممثل المشبه، يقول: أنا لا أعقل شيئا موجودا إلا ما عرض أو جوهر، إذن فالله ﷻ مماثل لما أشاهده.

أو قوله –هذا مثال آخر يريده الشيخ–: إذا كان مستويا على العرش فهو مماثل لاستواء الإنسان على السرير والفلك، يقول إذا كان الاستواء ثابت لله ﷻ كما جاء في القرآن، إذن هو كاستواء المخلوق على السرير، أو على الفلك، على المركب، فيلزم على ذلك –كما ذكر الشيخ في موضع آخر– أنه لو سقطت الدابة لسقط من عليها، ولو انكسر المركب لخر من عليه، فيلزم على قول هذا الممثل لو عُدِمَ العرش لسقط الرب، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

يقول: إذ لا يُعلَم الاستواء إلا هكذا، هذا الممثل يقول: أنا لا أعلم الاستواء إلا هذا الاستواء، استواء المخلوق على المخلوق.

طيب كيف جمع الممثل بين التعطيل والتمثيل؟

كونه مثّل هذا ظاهر ما يحتاج إلى بيان، يعني كونه جعل استواء الخالق كاستواء المخلوق، ويد الخالق كيد

.....

المخلوق، وعلم الخالق كعلم المخلوق سواء بسواء، هذا ظاهر التمثيل، أما وجه كون هذا الرجل عطّل أنه عطّل الرب عما يستحقه –سبحانه– من الصفات اللائقة به.

هل الاستواء الثابت لله ﷻ هو الاستواء الثابت للمخلوق؟ لا، استواء يليق بجلاله وعظمته، الوجه الموصوف به الرب وجه يليق بجلاله وعظمته، ليس كوجه المخلوق، فحقيقة الصفة التي يستحقها الله –سبحانه وتعالى– عطلها هذا الممثل، لم يثبتها، فجمع بين أيش؟ التعطيل والتمثيل كحال أخيه ذاك المعطل الذي جمع أيضا بيت التعطيل والتمثيل.

يقول: فإن كلاهما الذي من؟ المعطل والممثل، عطل حقيقة ما وصف الله به نفسه، المعطل لم يثبت لله الصفة اللائقة به –سبحانه وتعالى– أولها، والممثل أثبت لكن أثبت صفة تناسب صفة المخلوق، فكلاهما عطل الصفة التي يستحقها الرب –سبحانه وتعالى–، وامتاز الأول، مَن الأول؟ المعطل بتعطيل كل مسمى للاستواء الحقيقي، الاستواء الحقيقي هو أيش؟ العلو والارتفاع، فعطل مطلق الاستواء، قال: أنا لا أثبت شيئا اسمه استواء، وحقيقة الاستواء في لغة العرب التي نزل بها القرآن ما هو؟ العلو والارتفاع، ﴿ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ ﴾[1] أي: علت وارتفعت على الجودي ﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾[2] تعلوا على ظهوره، وامتاز الثاني –الذي هو الممثل– بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين.

إذن ذاك المعطل عطل حقيقة الاستواء وهذا غلا فأثبت استواءً من جنس استواء المخلوق، نعم.

---

١ – سورة هود آية : ٤٤.

٢ – سورة الزخرف آية : ١٣.

والقول الفاصل هو ما عليه الأمة الوسط من أن الله مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به، كما أنه موصوف بأنه على كل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير ونحو ذلك، ولا يجوز أن يثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التي كعلم المخلوقين وقدرتهم، فكذلك هو –سبحانه– فوق العرش ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق وملزوماتها .

نعم هنا الشيخ كأنه يرد على من أوّل بعض الصفات وأثبت البعض بالقاعدة العامة التي هي أن القول في بعض الصفات كالقول في بعضها، فيقول: والقول الفاصل هو ما عليه الأمة الوسط في هذه المسألة ويقاس عليها أيش؟ جميع الصفات المنسوبة لله ﷻ إنما أورد الشيخ الاستواء فقط للتمثيل، فيقول: والقول الفاصل هو ما عليه الأمة الوسط، أمة محمد ﷺ وأهل السنة –كما ذكرنا في الدرس الماضي أيضا– وسط بين فرق الأمة من أن الله مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله ويختص به، استواء يليق بجلاله خلافا لمذهب الممثلة، ويختص به خلافا لمذهب المعطلة.

فالله ﷻ موصوف بالاستواء، لكن هذا الاستواء لا يماثل استواء المخلوق على المخلوق، فكما أنه موصوف أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير، وهذه الصفات يثبتها مَنْ مِن المعطلة؟ الأشاعرة وينفيها المعتزلة والجهمية، يقول: بما أنكم –معاشر الأشاعرة– الذين عطلت صفة الاستواء تصفون الله ﷻ بأيش؟ بالعلم والسمع والبصر والقدرة ونحو ذلك، وهذه الصفات –التي هي العلم والقدرة والسمع والبصر نعم– ليست كخصائص المخلوقين، يعني لا نقول إنها أعراض، كما هي الحال للمخلوق، فكذلك الاستواء، أثبِتُوا الاستواء كما أثبتم العلم والقدرة والسمع والبصر.

ولهذا من أثبت شيئا لله ﷻ ونفَى مثيله لزمه فيما نفاه نظير ما أثبته، فإن كان إثبات الاستواء يلزم منه التشبيه والتمثيل فكذلك إثبات السمع والبصر والعلم والحياة والقدرة، صنف الجميع، وإن قلتم لا إثبات العلم والسمع والقدرة لا يلزمنا التشبيه والتمثيل، يقال لكم: فإثبات الاستواء والوجه واليدين لا يلزم من التشبيه والتمثيل. فإما أن تثبتوا الجميع أو أن تنفوا الجميع.

فهذا فيه تفريق بين أيش؟ المتماثلات، وهذا ما لا يُقبَل عقلا، العقل يقتضي التفريق بين المختلفات والتسوية بين المتماثلات، لكن كونك تأتي وتفرق بين المتماثلات، هذا يتنافى مع العقل، يتنافى مع دلالة العقل، فالله ﷻ الذي أثبت لنفسه العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر والكلام، هذه الصفات التي تثبتونها –معاشر

.....

الأشاعرة– هو الذي أثبت لنفسه الاستواء والمجيء والوجه واليدين سواء بسواء.

فكذلك يقول هو –سبحانه– فوق العرش ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية مخلوق على المخلوق وملزوماتها، أنتم تزعمون أنكم إذا شبهتم الاستواء فقد شبهتم الخالق بالمخلوق، يقال: من أين لكم هذا أصلا؟ هذا اللازم متى يرد؟ يرد لو كان هذا الاستواء مطلقًا، لكن كونه خص به الله ﷻ بمعنى أن هذا الاستواء الخاص بالله اللائق به غير مماثل لاستواء المخلوق.

ثم أيضا هناك جواب آخر –ولو لم يذكره الشيخ نشير إليه– أنه لا يلزم، هم الآن فهموا أن الله إذا كان مستوٍ على العرش بمعنى أنه محتاج إلى العرش أم لا هذا الذي جعلوا كما أن المخلوق إذا كان مستوٍ على شيء فهو محتاج له، وكيف نصف الله ﷻ بالاستواء ونجعله محتاجا إلى العرش؟! هذا باطل، نقول لهم: كذلك في حق المخلوق لا يلزم من علو الشيء على الشيء أن يكون محتاجا إليه، فهذه السماوات أين مكانها بالنسبة إلى الأرض؟ فوق الأرض، هل هي محتاجة إلى الأرض؟ الجواب: لا، السحاب، أليس فوق الأرض؟ هل هو محتاج إلى الأرض؟ الجواب: لا.

فإذا كان هذا في حق المخلوق ففي حق الخالق من باب أولى، فلا يلزم من قولنا أنه مستوٍ على العرش عال مرتفع عن العرش أن يكون محتاجا إلى العرش فنأتي بهذه اللوازم الباطلة، نعم.

واعلم أن ليس في العقل الصريح ولا في النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلا، لكن هذا الموضع لا يتسع لجواب عن الشبهات الواردة على الحق، فمن كان في قلبه شبهة وأحب حلها فذلك سهل يسير.

نعم الشيخ هنا يعيد ويقول: إن طريق السلف ومذهبهم في صفات الله ﷻ هو الذي يدل عليه صحيح المنقول، وصريح المعقول، فأنتم نفيتم عن الله ﷻ ما يستحقه من الصفات بحجة أن هذا يتنافى مع العقل، يقول: من أين لكم هذا؟ واعلم أن ليس في العقل الصريح ولا في النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية، أعطونا دليلا نقليا صحيحا واحدا يدل على ما ذهبتم إليه ويخالف ما ذهب إليه السلف.

أعطونا دليلا عقليا صريحا، والدليل العقلي الصريح هو السالم من أيش؟ من الشبهات، أما كونكم تأتون بكلام نسجته عقولكم وتقولون هذا دليل عقلي، من قال لكم؟ الدليل العقلي هو السالم من المعارض، الدليل العقلي الذي اتفق عليه العقلاء، ولهذا سيذكر الشيخ بعد أسطر أنهم ليس لهم في هذا قاعدة مطردة، هذه الأدلة التي يزعمون أنها أدلة عقلية ويوردونها هم فيها أيش؟ مختلفون مضطربون، كيف الآن تحتجون علينا بأدلة لم تتفقوا عليها؟! الدليل العقلي هو الدليل السالم من الشبهات، السالم من المعارضات، الذي اتفق عليها العقلاء نعم.

يكرر الشيخ مرة بعد مرة كون هذه الرسالة جوابا أو إجابة لسؤال، ولا تحتمل البسط، لا تحتمل عرض الشبه والإجابة عليها. نعم.

مذهب المؤولين لصفات الله ﷻ

ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة من المتأولين لهذا الباب في أمر مريج، فإن من ينكر الرؤيا يزعم أن العقل يحيلها، وأنه مضطر فيها إلى التأويل، ومن يحيل أن لله علما وقدرة، وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك، يقول: إن العقل أحال ذلك فاضطر إلى التأويل، بل مَن ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي في الجنة يزعم أن العقل أحال ذلك، وأنه مضطر إلى التأويل.

ومن زعم أن الله ليس فوق العرش يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل، ويكفيك دليل على فساد قول هؤلاء أن ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أن العقل جوّز أو أوجب ما يدعيه الآخر، أن العقل أحاله".

يقول –رحمه الله–: إن المخالفين للكتاب والسنة وسلف الأمة في هذا الباب، باب ما يوصف الله ﷻ به– من المتأولين، من أهل التأويل، والشيخ سيبين أن المخالفين لأهل السنة في هذا الباب ثلاثة أقسام: أهل التأويل، وأهل التجهيل، وأهل التخيير، فهو يقول: المخالفون لأهل السنة من أهل التأويل في أمر مريج، أمر مختلط، أمر مضطرب، ليس لهم قاعدة.

ثم يضرب على ذلك أمثلة، يضرب على أنهم ليسوا متفقين على أيش؟ على قاعدة مطردة في باب ما يوصف الله ﷻ به، ليسوا متفقين على ما يجوز تأويله وما لا يجوز تأويله، مثال ذلك: يقول: فإن من ينكر الرؤيا، والذين ينكرون الرؤيا هم المعتزلة والجهمية، وتبعهم على ذلك الرافضة والخوارج، هؤلاء الذين أنكروا أن يكون الله يُرَى يوم القيامة زعموا أن العقل أيش؟ يحيل ذلك، أنه لا يجوز عقلا أن يُرَى الله ﷻ وأنهم اضطروا إلى التأويل، فكل آية أو حديث جاء فيه إثبات الرؤية قال المعتزلة والجهمية: لا بد من التأويل، لماذا يؤولون؟

قالوا: لأن العقل يتعارض مع هذا النص، ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾[1] يقولون: إلى ثواب ربها، نعم.

هل تضامون في رؤيته هل تضامون في رؤية ثوابه ورؤية نعيمه؟ يقولون: نحن مضطرون لهذا التأويل لماذا؟

---

١ – سورة القيامة آية : ٢٢-٢٣.

.....

لأن العقل يحيل أن الله يرى، الأشاعرة بالطبع يخالفون الجهمية والمعتزلة في أيش؟ في الرؤية، فهم يثبتون الرؤية.

يقول: ومن يحيل أن لله علما وقدرة وأن يكون كلامه غير مخلوق، أي يستحيل أن يكون كلامه غير مخلوق، أي يزعم أن العقل أحال ذلك، وهؤلاء أيضا الجهمية والمعتزلة خصوم مَن؟ خصوم الأشاعرة، والأشاعرة على النقيض منهم، الأشاعرة يثبتون العلم والقدرة والكلام لله ﷻ فيقول: هؤلاء خصومكم ينفون هذه الصفات عن الله ويزعمون أن العقل يحيل ذلك، وأنهم اضطروا اضطرارا للتأويل.

ثم يتدرج الشيخ، يقول: بل خصومكم أنتم أيها الأشاعرة وخصومكم أنتم أيها الجهمية والمعتزلة استخدموا التأويل فيما أثبتم أنتم، فيقول: بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي في الجنة، وهؤلاء هم الفلاسفة، ومن تبعهم من غلاة الباطنية، هؤلاء يزعمون أنه لا يمكن حشر الأجساد يوم القيامة، وليس هناك جنة ولا نار ولا نعيم، ولا أنهار ولا أشجار ولا حور، كل هذا تخييل كما سيأتي، لماذا لا تثبتون هذه الحقائق حجتهم أيش؟ العقل يحيل إثبات ذلك، هذا مستحيل عقلا، وأننا مضطرون للتأويل، لا بد تأويل هذه الحقائق، نقول الجنة وما ذكر فيها من نعيم هذه كله تخييل، إنما أراد النبي ﷺ أو أراد الله ﷻ معنى آخر بعيدا كل البعد.

أيضا أنتم معاشر الأشاعرة ومن على مذهبكم في قضية نفي الاستواء من جهمي ومعتزلي لما نفوا هذه الصفات زعموا أن العقل أحال ذلك، طيب بأي عقل يوزن الكتاب والسنة؟ الآن نحن أمام كل هذه الطوائف المؤولة، هؤلاء الطوائف الذين تلاعبوا حقيقةً بنصوص الكتاب والسنة وكلهم يتكئ على شيء واحد، ويزعم أن العقل أحاله، فبأي عقل نزن ذلك؟ عقولكم معاشر الأشاعرة؟ ما يقبل المعتزلة والجهمية، وإن أخذنا عقول المعتزلة والجهمية إذن أيضا ننفي الصفات التي تثبتونها أنتم معاشر الأشاعرة، وإن أخذنا العقول التي قاس بها الفلاسفة نفينا كل ما في القرآن من حقائق عن الجنة والنار والأوامر والنواهي.

يقول: ويكفيك دليل على فساد قول هؤلاء أن ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة.

فعلا لا نقول طائفة مع طائفة أخرى، بل الطائفة الواحدة هم مختلفون فيما بينهم، المعتزلة مضطربون فيما بينهم فيما يجوز أو يستحيل عقلا، وأضرب لكم مثالا واحدا: القاضي عبد الجبار لما جاء في مسألة إثبات عذاب القبر قال: وذهب بعض المعتزلة، بعض أهل طائفته، إلى إنكار عذاب القبر، وزعم أن العقل يحيل ذلك، هو القاضي عبد الجبار وبعض المعتزلة خالفوا، فأثبتوا عذاب القبر، وزعموا أن العقل لا يحيل ذلك، فطائفة واحدة هم فيما بينهم هم ليسوا متفقين على قواعد عقلية مطردة، فكيف تكون نصوص الكتاب والسنة –نعم– مجالا بعرضها على هذه العقول المضطربة المختلفة؟

.....

يقول: ويكفيك دليل على فساد قول هؤلاء أن ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أن العقل جوّز أو أوجب ما يدعي الآخر أن العقل أحاله، تأتي قضية واحدة، هؤلاء يقولون: هذا يستحيل عقلا، ويقول الآخرون: بل هذا يجوز إثباته عقلا، وهذا دليل على فساد أيش؟ هذا المنهج، نعم.

فيا ليت شعري بأي عقل شيء يوزن الكتاب والسنة، فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قال: أوكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاءنا به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء!

نعم الإمام مالك –رحمه الله– ينكر أن تكون نصوص الكتاب والسنة مطروحة لعقول الناس يتحكمون فيهما كيف شاءوا، فيقول: أوكلما جاءنا رجل أجدل من رجل –يعني أكثر جدلا وأكثر خصومة– تركنا قول الله وقول الرسول الذي ثبت وصوله إلينا يقينا لجدل هؤلاء! وهذا الأثر روي عنه بسند صحيح كما أخرجه الإمام اللالكائي وأبو نعيم، وحكم عليه بالصحة الشيخ ناصر –رحمه الله– في كتاب العلو للذهبي. نعم.

وكل من هؤلاء مخصوم بما خصم به الآخر، وهو من وجوه :

أحدها: بيان أن العقل لا يحيل ذلك.

الثاني: أن النصوص الواردة لا تحتمل التأويل.

الثالث: أن عامة هذه الأمور قد عُلِم أن الرسول ﷺ جاء بها بالاضطرار، كما علم أنه جاء بالصلوات الخمس، وجاء بصوم رمضان، فالتأويل الذي يحيلها أن هذا بمنزلة تأويلات القرامطة والباطنية في الحج والصوم والصلاة، وسائر ما جاءت به النبوات.

الرابع: أن يبين أن العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص، وإن كان في النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن ترك تفصيله، وإنما عقله مجمل إلى غير ذلك من الوجوه، على أن الأساطين من هؤلاء والفحول معترفون بأن العقل لا سبيل له إلى اليقين في عامة المطالب الإلهية، وإذا كان هكذا فالواجب تلقي علم ذلك من النبوات على ما هو عليه.

الشيخ يؤكد هنا على القاعدة السابقة أن كل واحد من هؤلاء المتأولين مخصوم، يعني يمكن أن يرد عليه بما هو رد على أيش؟ خصمه، فنأخذ على سبيل المثال الأشاعرة: أليسوا يردون على المعتزلة في تأويل السمع والبصر والحياة والعلم والقدرة ويقولون: هذا لا يجوز تأويله وإلا لا؟ نقول لهم: وأيضا الاستواء والعلو والوجه واليدين والقدمين لا يجوز تأويله، الحجة التي تستخدمونها في الرد على المعتزلة نرد عليكم بها، واضح؟

كذلك المعتزلة في ردهم على الجهمية في نفي الأسماء نرد عليهم في أيش؟ في ماذا؟ في نفي الصفات، أليس المعتزلة يثبتون الأسماء وينفون الصفات؟ والجهمية ينفون الأسماء والصفات، هم الآن يقولون للجهمية: لا يجوز تأويل الأسماء، فنقول لهم: وأيضا لا يجوز تأويل الصفات، فنحتج عليهم بما احتجوا هم على خصومهم.

يقول: ويتضح ذلك من وجوه :

الوجه الأول: بيان أن العقل لا يحيل ذلك، لا يحيل إثبات هذه الصفات لله ﷻ من قال لكم إن العقل يحيل ذلك؟ أعطونا الدليل، أما هذه المقدمات التي توردونها ما هي إلا شبهات، ومجال بيان أن العقل لا يحيل ذلك الشيخ فصّله في مواضع أخرى لا نحب أن ندخل لكي لا يطول بنا المقام، بل نأخذها قاعدة عامة أن العقل لا يحيل إثبات هذه الصفات.

الأمر الثاني: أن النصوص الواردة لا تحتمل التأويل، هذه النصوص التي أثبتت لله هذه الصفات صراحة، أثبتت

.....

لله هذه الصفات حقيقة، لا تقبل التأويل بحال من الأحوال، ولا يجوز أن يُسلَّط عليها سيف التأويل كما صنعتم.

الأمر الثالث: أن عامة هذه الأمور قد عُلِمَ أن الرسول ﷺ جاء بها بالاضطرار، بمعنى أنه مما يُعلَم اضطرارا، الذي لا يمكن دفعه أن النبي ﷺ جاء بنصوص أيش؟ الصفات لله ﷻ فالنبي ﷺ هو الذي تلا على رءوس الأشهاد ورءوس الناس وأثبت أن الله عالٍ على خلقه، وأن الله مستوٍ على عرشه، وأنه خلق آدم بيديه، وهذا معلوم بأيش؟ بالاضطرار، وجاء بأساليب متعددة، خذوا على سبيل المثال: إثبات اليدين لله ﷻ أثبت أنه خلق آدم بيديه، وأن صنفا من أهل الجنة على يمينه يوم القيامة، وأنه يقبض السماوات والأرض بيديه إلى غير ذلك من التصاريف التي لا تحتمل ولا تقبل التأويل.

يقول: كما عُلِمَ أنه جاء بالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان، كما أننا نعلم اضطرارا أن النبي ﷺ هو الذي جاء بنصوص الشرع، نصوص الأحكام، كصيام شهر رمضان، وكوجوب الصلوات، وكالحج وكالجهاد وكالصدقة، وكأحكام الأسرة، وأحكام النكاح، وأحكام البيع والشراء، فهو الذي جاء بنصوص أيش؟ الصفات.

فالتأويل الذي يحيلها عن هذا، يعني التأويل الذي يحيل نصوص الصفات عن ظاهرها، عن حقيقتها إلى معانٍ بعيدة باطلة، هي بمنزلة تأويل الباطنية لنصوص الأحكام، الباطنية أَوَّلُوا نصوص الأحكام، وزعمُوا أن النصوص لها أيش؟ ظاهر وباطن، ظاهرها هو المفهوم لدى العامة، وقالوا: هم المخاطبون بها عامة الناس، أما الخاصة فهم مخاطبون ببواطن هذه النصوص.

ولهذا يزعمون أن هذه الآية جاءت في هذا الأمر ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾[1] قالوا: الأغلال والإصر هي ظاهر هذه النصوص، صحيح ظاهر ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[2] معناها إقامة الصلاة والزكاة المعهودة، لكن هذه للعوام، أما الخاصة فلهم بواطن هذه النصوص، ما بواطن هذه النصوص؟ قالوا: معانٍ أخرى بعيدة، فالصوم معناه حفظ الأسرار، تحفظ سر الشيوخ، الحج زيارة المشاهد، إلى غير ذلك من الخزعبلات ومن الكفر والإلحاد في نصوص الوحيين.

إذا كان هذا مما يُعلَم بطلانه بالضرورة من دين الإسلام، نعم تأويل هذه النصوص إلى هذه المعاني البعيدة

---

١ – سورة الأعراف آية : ١٥٧.

٢ – سورة البقرة آية : ٤٣.

.....

فكذلك تأويل نصوص الصفات، لماذا نمنع في هذا الجانب ونجيز في هذا الجانب؟ ولهذا من أعظم ما فتح للفلاسفة والباطنية الباب لتأويل نصوص القرآن هم المتكلمة، لما جاءوا وأوَّلوا قال لهم الباطنية: لماذا تجيزون لأنفسكم بهذا النوع من النصوص وتمنعوننا من تأويل النصوص الأخرى؟ فنحن نأوّل نصوص الصلاة، ونصوص الحج، ونصوص الزكاة، والبيع والشراء، بل حتى نصوص الجنة والنار، ونصوص المعاد، والمجال ما دام أنكم فتحتم لأنفسكم في هذا الجانب فنحن ما الذي يمنعنا؟ إذا جاز التأويل في هذا الجانب جاز في هذا الجانب، واضح؟

يقول: بمنزلة تأويلات القرامطة والباطنية في الحج والصوم والصلاة وسائر ما جاءت به النبوّات.

الرابع: أن يُبيَّن أن العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص نعم.

نقول: هذه الصفات ثبتت بالنص، وهذا لا يقبل النقاش. وأيضا –يقول الشيخ–: وثبتت بالعقل الصريح، العقل السالم من المعارض، العقل السالم من الشبهات، وإن كانت العقول لا يمكن أن تُثبِت كل التفاصيل التي جاءت في أيش؟ في نصوص الوحيين، يمكن بالعقل أن نثبت أن الله عالٍ على خلقه، يمكن أن نثبت بالعقل أن الله موصوف بالكمال، يمكن بالعقل أن نثبت أن الله منزه عن كل نقص، لكن تفاصيل هذه الأمور لا بد من الرجوع إلى نصوص الوحيين، فمثلا صفة الاستواء: لا يمكن أن نثبتها بالعقل، وإنما يقتصر في ذلك على إثبات النص؟

يقول: وإن كان في النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن دركه تفصيلا مثل اليوم الآخر سواء بسواء، أليس يمكن أن نثبت بالأدلة العقلية جواز قيام الناس ليوم الدين أم لا؟

ولهذا الله ﷻ خاطب المنكرين للبعث بالأدلة العقلية ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ ﴾[1] هذا دليل عقلي، الذي خلق هذا الخلق من لا شيء قادر –من باب أولى– أن يعيده مرة أخرى.

ويأتي بدليل آخر ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[2] ولهذا ذكر ابن كثير أن أبا طالب –أظنه أبا طالب جد النبي ﷺ وكان مات على الشرك– سائر في إحدى شعاب مكة، فرأى

---

١ – سورة يس آية : ٧٨-٧٩.

٢ – سورة يس آية : ٨٠.

شجرة أورقت وسارت الحياة فيها بعدما يبست في فصل من فصول السنة، الآن تأخذ بعض الأشجار في

.....

إحدى فصول السنة وتكسرها خشبا، فإذا جاء الفصل الثاني سارت الحياة من جديد، قال: والله لولا أن تلومني قريش لقلت: إن الذي أحيا هذه الشجرة من لا شيء قادر على أن يحيي العظام مرة أخرى، فاستنتج بعقله جواز القيامة واليوم الآخر.

الشاهد أن العقل يمكن أن يثبت هذه الأمور، لكن تفاصيل ما يقع في هذا اليوم قد يعجز العقل عن إثباته، فالعقل لا يمكنه أن يدرك أن هذه الجوارح ستنطق، العقل لا يمكن أن يدرك أن هذا الإنسان سيمر على الصراط الذي هو أحد من السيف وأحر من الجمر وأدق من الشعرة، لأن هذه الأمور فوق طاقة العقل.

فالعقل يمكن أن يثبت اليوم الآخر على وجه العموم، لكن تفاصيل ما يرد في اليوم الآخر فهذا أمره إلى الشرع، إلى غير ذلك من الوجوه.

على أن الأساطين من هؤلاء والفحول، أي المقدمين والأئمة وأئمة هؤلاء الفلاسفة والمتكلمين معترفون بأن العقل لا سبيل له إلى اليقين في عامة المطالب الإلهية، وعندهم قاعدة عامة أن عامة ما يتعلق بالله ﷻ فلا سبيل للعقل في إدراك هذا الأمر يقينا، لماذا؟ لأنه أمر غيبي، أمر غائب عن العقل.

وإذا كان هكذا فالواجب تلقي ذلك من النبوات على ما هو عليه، إذا كان العقل لا يمكن أن يدرك تفاصيل الأمور الغيبية، ولا يمكن أن يُدرَك به ما في الغيب أو ما يتعلق بالله يقينا، فالواجب الاعتماد في هذا الباب في أمر الغيب على وجه العموم، وفيما يتعلق بالله ﷻ على ورود النصوص التي طريقها فقط عن طريق النبوات، نعم نحن يمكن أن نستعين بالعقل، لكن لا نعتمد عليه، ولهذا الأنبياء لم يأتوا بما تحيله العقول، لكن ربما تحار فيه العقول، لكن يستحيل عقلا فلا .

ولا بد أن نستصحب هذه القاعدة دائما، خاصة في باب الأسماء والصفات، أن النقل الصحيح يستحيل أن يتعارض مع العقل الصريح؛ لأن الذي أنزل النقل مَن؟ الله، ومن الذي خلق العقل؟ الله، فالمصدر واحد، ويستحيل على أحكم الحاكمين وأعلم العالمين أن ينزل ما يتعارض مع ما خلق، سبحانه وتعالى، نعم .

الإيمان بالبعث

ومن المعلوم للمؤمنين أن الله بعث محمدا ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا، وأنه بيَّن للناس ما أخبرهم به من أمور الإيمان بالله واليوم الآخر، والإيمان بالله واليوم الآخر يتضمن الإيمان بالمبدأ والمعاد، وهو الإيمان بالخلق والبعث كما جمع بينهما في قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾[3] وقد بيَّن الله -تعالى- على لسان رسوله ﷺ من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر ما هدى الله به عباده وكشف به مراده .

ومعلوم للمؤمنين أن رسول الله ﷺ أعلم بذلك من غيره، وأنصح للأمة من غيره، وأفصح من غيره عبارة وبيانا، بل هو أعلم الخلق بذلك، وأنصح الخلق للأمة وأفصحهم، وقد اجتمع في حقه ﷺ كمال العلم والقدرة والإرادة، ومعلوم أن المتكلم والفاعل إذا كمل علمه وقدرته وإرادته كمل كلامه وفعله، وإنما يدخل النقص إما من نقص علمه، وإما من عجزه عن بيان علمه، وإما لعدم إرادته البيان.

نعم، ومن المعلوم للمؤمنين أن الله بعث محمدا ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأنه ﷺ بين للناس ما أخبرهم به من أمور الإيمان بالله واليوم الآخر يعني بالمبدأ الذي هو الله ﷻ هو الأول والآخر الآخر بالنسبة للخلق الذي هو اليوم الآخر، فبين هذين الأمرين -اللذين هما غيب عن حواس الناس- غاية البيان، وهو لما بين هذين الأصلين للناس قصد بذلك هداية الخلق وبيان الحق.

ثم أوضح المؤلف أن النبي ﷺ يستحيل أن يكون بيّن للناس خلاف الحق المراد، وأوضح ذلك بهذا الدليل

---

١ - سورة البقرة آية : ٨.

٢ - سورة لقمان آية : ٢٨.

٣ - سورة الروم آية : ٢٧.

.....

العقلي، فقال: النبي ﷺ اجتمع في حقه ثلاثة أمور: أعلم الخلق، وأنصح الخلق للأمة، وأفصح الخلق عبارة، ومن اجتمعت فيه هذه الصفات الثلاث يستحيل أن يقصّر في بيان الحق الذي يجب اعتقاده.

إيضاح ذلك أنه يقال لهؤلاء المؤولة: هذا التأويل الذي جئتم به، تأويل النصوص، هل النبي ﷺ كان عالما بذلك أم غير عالم؟ الجواب: لا بد أن يقولوا أنه يعلم هذا الأمر، وإن قالوا إنه لا يعلمها ونحن علمناها فهذا كفر والعياذ بالله، فنحن عندنا قاعدة عامة: أن الرسول ﷺ أعلم الخلق بما يجب لله وبما ينزه عنه –سبحانه وتعالى– .

فإذا كان عالما بهذه المعاني التي تدعون الناس إليها، تقولون: الاستواء معناه الاستيلاء، النبي ﷺ عالم بذلك أم غير عالم؟ سيقولون: عالم، طيب فإذا كان عالما فلا يخلو الأمر أن يكون قادرا على التعبير بعباراتهم أو غير قادر؟ والجواب: لا يقول عاقل أن هؤلاء أنباط الفرس، هؤلاء الأخلاط، هؤلاء المتهوكون، هؤلاء المضطربون، أقدر في التعبير من النبي ﷺ بل هذا معلوم بالاضطرار ليس من أتباع الرسول ﷺ حتى من أعدائه، فقد شهدوا له أنه أفصح الناس عبارة.

إذن هو الآن هذا من باب الإلزام لهم، نقول لهم: هو الآن عالم بهذه المعاني التي جئتم بها، تأولتم بها نصوص الكتاب والسنة، وقادر على التعبير بهذه المعاني، إذا كان الآن عالم وقادر وتكلم بخلاف ذلك فهل نصح الأمة أم خان الأمة؟

– قد يكون هذا امتحانا لنا كما قالوا من قبل.

هذا لا يجوز أن يقولوا إنه امتحان، وسيأتي –إن شاء الله– الرد عليه أنه يمتحن الناس في هذه النصوص، لكن نقول الآن: هو عالم بعباراتكم، وقادر على التعبير بها، ثم يأتي ويردد على الأمة، خذوا على سبيل المثال: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾[1] في سبعة مواضع، ما قال في موضع واحد "ثم استولى"، ولم يقل مرة واحدة إنني أردت ليس الاستواء الذي هو العلو والارتفاع الذي تفهمونه، إنما أردت معنى آخر، فهل يعتبر هذا ناصحا للأمة؟ لا يقول هذا العاقل.

إذن ما دام هو أعلم الأمة، وأفصح الأمة عبارة، وأنصح الأمة للأمة، فلا بد لو كان يريد غير هذه المعاني التي تظهر للناس ويريد معنى آخر أن يوضحها للناس، فلما لم يقل ولم يذهب إلى ما ذهب هؤلاء تبين أن الحق الذي لا مرية فيه ولا يقبل النقاش، الحق الذي تطمئن إليه النفوس، الحق الذي يتوافق مع الأدلة العقلية هو ما جاء به

---

١ – سورة الأعراف آية : ٥٤.

–عليه الصلاة والسلام– وما فهمه عامة المسلمين من ضواحي هذه النصوص. نعم.

الإيمان بأن الرسول هو الغاية في كمال العلم والبلاغ المبين

والرسول ﷺ هو الغاية في كمال العلم، والغاية في كمال إرادة البلاغ المبين، والغاية في القدرة على البلاغ المبين، ومع وجود القدرة التامة والإرادة الجازمة يجب وجود المراد، فعُلِم قطعا أن ما بيّنه من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر حصل به مراده من البيان، وما أراده من البيان هو مطابق لعلمه، وعلمه بذلك هو أكمل العلوم، فكل مَن ظن أن غير الرسول ﷺ أعلم بهذه منه أو أكمل بيانا منه، أو أحرص على هدي الخلق منه، فهو من الملحدين لا من المؤمنين، والصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن سلك سبيل السلف هم في هذا الباب على سبيل الاستقامة .

نعم، وهذا قول المؤلف الأخير ومن زعم أن هناك أكمل من الرسول ﷺ بالبيان أو العلم، هذا من باب الإلزام لهم، وهو لازم لهم على حد قولهم، وسيأتي منهم من صرح بذلك، قال: نعم، أئمتنا أعلم بالرسول ﷺ بحقائق الأمور، لكن هذا ملحد بإجماع المسلمين.

ونحن نعلم أن البيان لا يجوز تأخيره عن وقت الحاجة، فإذا كان الرسول ﷺ علم هذه الأمور وعبّر عنها بهذا اللفظ وأراد معنى آخر، فهل بين البيان المبين ؟ الجواب: لا، إذن ما حصل البيان، ولهذا يقول: والرسول ﷺ هو الغاية في كمال العلم، والغاية في كمال إرادة البلاغ المبين، والغاية في القدرة على البلاغ المبين، يعني اجتمع في حقه هذه الثلاث صفات، ومع وجود القدرة التامة والإرادة الجازمة يجب وجود المراد، هذا لازم لذاك، يعلم هذا الأمر، ويقدر على التعبير عنه، ويريد هذا الأمر، فلا بد من وجوده، فإذا لم يوجد، فدل على أنه باطل، واضح ؟

إذن النبي ﷺ علم هذه النصوص على ما هي عليه، وعبر عنها بأفصح عبارة، إذن هي على ما هي عليه، وهذا هو المراد؛ لأنه لو أراد معنى آخر لعبر عنه بنفس اللفظ.

يجب وجود المراد، فعُلِم قطعا أن ما بيّنه من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر حصل به مراده من البيان، هذا البيان الذي وصلنا وليس فيه تأويل، وليس فيه صرف لظاهره على حد مذهب هؤلاء هو المراد من الرسول ﷺ بل هو المراد من الله؛ لأن الرسول مبلغ عن الله ﷻ وما أراده من البيان هو مطابق لعلمه، البيان الذي

وصلنا هو ماذا؟ هو المطابق لعلمه، بمعنى أنه لم يخبرنا بشيء يعمله خلافه، لم يقل لنا ثم استوى على العرش وهو يعلم أن معنى الاستواء الاستيلاء.

.....

وعلمه بذلك هو أكمل العلوم، فكل من ظن أن غير الرسول ﷺ هو أعلم بهذه منه، أو أكمل بيانا منه، أو أحرص على هدي الخلق منه، فهو من الملحدين لا من المؤمنين، والصحابة والتابعون من سلك سبيلهم من السلف هم في هذا الباب على سبيل الاستقامة، بمعنى أن مذهب السلف تلقوا هذه النصوص عن الرسول ﷺ كما هي، وعلموها كما علمها الرسول ﷺ ولم يكتموا شيئا خلاف ما نقلوه لنا.

إذن فمذهبنا مذهب أهل السنة، مذهب سلف هذه الأمة متلقى عن أصحاب الرسول ﷺ عن الرسول ﷺ عن جبريل، عن الله ﷻ وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد.

س : هذا استشكال من بعض الإخوان على ما جاءت الإجابة عليه في اللقاء السابق في مسألة لبس البنطال.

ج : أقول: يا إخوان، الكلام على قضية لبسه للرجل، هو يذكر أنه قد يوجد في هذه البلاد من يلبس البنطال ويخالف الشيء السائد، فنقول: القاعدة السابقة التي ذكرت أمس: الأصل في اللباس الإباحة إلا ما ورد الشرع باستثنائه، كالحرير للرجل، الذهب للرجل، اللباس الذي فيه تشبه بالكفار أو تشبه أحد الجنسين بالآخر، أو فيه نوع من التعري، وما عدا ذلك إذا توافرت فيه ضوابط اللبس الشرعي فلا نحجر على الناس، فإذا كان هذا اللباس هو اللباس السائد، وهو اللباس المتعارف عليه عند أهل بلده فنقول هذا اللباس جائز، وله ذلك، نعم هناك شيء يقال الأولى والأفضل أن طالب العلم يلبس من الملابس ما يتناسب مع الوقار ونحو ذلك، فهذا لا خلاف فيه، أما أن نأتي ونحرم على الناس أمورا أباحها الله ﷻ لهم فهذا لا يجوز، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ ﴾[1] ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾[2] ولا نضيق على الناس أمورا وسعها الله عليهم . هذا شرع الله ﷻ والله أعلم.

س : أحسن الله إليكم، سمعت يا شيخنا أنه يوجد على شيخ الإسلام خطأ في باب المعية حينما مثّل بالقمر معنى وهو مرتفع، فهلا فصلتم ما حدث وبينتم الخلاف مع ذكر قول الشيخ والرد عليه؟

ج : مسألة المعية، أنا ما أعرف من شغّب على شيخ الإسلام أو على غيره من أئمة أهل السنة في هذه المسألة إلا أهل البدع، نعم ربما حصل هناك إشكال في قول الشيخ والله معنا حقيقة وهو مستوٍ على عرشه حقيقة، والله

---

١ – سورة النحل آية : ١١٦.

٢ – سورة الإسراء آية : ٣٦.

.....

معنا حقيقة وهو عال على خلقه حقيقة، وليس في كلامه هذا ما يقتضي المخالطة أو الامتزاج، يعني لا يفهم من كلامه أن الله إذا قلنا معنا حقيقة أنه مختلط بالخلق، ممازج للخلق، كما يقول ذلك أهل الحلول والاتحاد، لا، مثل الشيخ لهذا بمثال، وهذا ليس من كلام الشيخ هذا أسلوب العرب الذي نزل به القرآن، كلام العرب الذي نزل به القرآن يقولون: ما زلنا نسير والقمر معنا، والقمر أين هو ؟ في السماء، ويقولون : زوجة الرجل معه، وإن كان هو في أقصى المشرق وهي في أقصى المغرب.

فالمعية هنا تقتضي مطلق المصاحبة، ولا تستلزم الاختلاط والامتزاج، أليس الأمير يقول لجنده اذهبوا وأنا معكم، بل القرآن مليء بذكر المعية التي لا تستلزم المخالطة ﴿ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾[1] مَن الذي هاجر مع النبي ﷺ ؟ أبو بكر فقط، وإنما هنا مطلق المصاحبة، ففرْق بين الاثنين .

أحسن الله إليك، يقول: بعض المشايخ لا يوافقون على كلمة عطل الرب عن صفاته، فلا أحد يستطيع تعطيل الرب عن صفاته، ولكن نقول نفوا صفات الرب.

هو الله ﷻ لا يشك مسلم أن كلام وإلحاد من ألحد في أسمائه وصفاته لا يغير من حقيقته كما أنه –ولله المثل الأعلى– لو وجد عندنا إنسان كريم، ونفى عنه إنسان الكرم، هل يغير هذا من حقيقة هذا الرجل أن الكرم صفة له؟ أو طويل وقال هو قصير هل يغير من حقيقته؟ فإذا قيل: فلان عطل الرب عن صفته بمعنى أنه نفاها عنه، وهذا لا يغير من الحقيقة الثابتة لله ﷻ . نعم .

س : سؤال يقول : السلام عليكم، هل يكفر أهل السنة المعتزلة الجهمية والأشاعرة، وهل الأشاعرة والماتريدية من أهل السنة ؟

ج : أما المعتزلة والأشاعرة ومن حذا حذوهم فلم يقل أحد بتكفيرهم، وإنما العلماء لما تكلموا في قصة تكفير الفرق تكلموا في تكفير الجهمية الغلاة، وهم الذين حكى الإمام اللالكائي عن أكثر من خمسمائة عالم أنه كفرهم، أما المعتزلة والخوارج والمرجئة فلم يكفرهم أهل السنة، نعم هم أهل بدعة وضلال وانحرفوا، بل إن الاثنين وسبعين فرقة من هذه الأمة كما قال شيخ الإسلام القول الراجح أنهم مسلمون، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، هم من أهل القبلة، وقول النبي ﷺ في النار لا يلزم الخلود ولا يلزم التكفير، ومن أكثر الناس وردت فيهم النصوص الخوارج، نصوص صريحة 🕮 يمرقون من الدين، شر قتلى تحت أديم السماء، وخير قتيل من

---

١ – سورة الأحزاب آية : ٥٠.

.....

قتلوه، اقتلوهم فإن في قتلهم أجر عظيم ﷺ ومع ذلك أجمع الصحابة على عدم تكفيرهم.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: إخواننا بغوا علينا، فقاتلونا فقاتلناهم، فلما قيل له أمنافقون ؟ فقال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا، هؤلاء يذكرون الله كثيرا، قالوا: أكفار ؟ قال : من الكفر فروا، فإذا كان هذا في حق الخوارج فما الظن بالطوائف الأخرى؟

وهذا من منهج أهل السنة، أن الطوائف الأخرى تكفرهم وهم لا يكفروهم، لا يكفرون إلا من استحق الكفر صراحة، مثل غلاة الجهمية؛ لأن قولهم يستلزم أن الله عدم.

أما هل يسمى الأشاعرة والماتريدية أهل السنة، فالشيخ –رحمه الله– ذكر في نقض التأسيس في الجزء الثاني، وأظنه في الفتاوى في الجزء الخامس والثلاثين، أن الأشاعرة هم أقرب الطوائف لأهل السنة، بل قال: إنهم يسمون أهل السنة في مقابل الرافضة، وإذا كان في بلد ليس فيه إلا أهل البدع كالمعتزلة والرافضة فالأشاعرة هم أهل السنة إذا لم يوجد ناس من أهل السنة، لكن في مقابل أهل السنة هم أهل بدعة، وليسوا أهل سنة، واضح؟ نعم.

س : أحسن الله إليك يقول : ما موقف الخوارج والشيعة وغيرهم من باب الأسماء والصفات .

ج : أما الرافضة في باب الأسماء والصفات فهم تبع للمعتزلة، ذهبوا إلى ما ذهب إليه المعتزلة، ولهذا تبعوا المعتزلة في الأسماء والصفات والقدر، وتبعهم المعتزلة في الإمامة، فبينهم تداخل، ولهذا يذكر المقدسي أن غالب رافضة العراق معتزلة، فهم رافضة في جانب الإمامة والصحابة، ومعتزلة في جانب الأسماء والصفات والقدر.

أما الخوارج فهم يثبتون بعض الصفات وينفون البعض الآخر، مثل الرؤية ينفونها، ومتأخروهم –متأخروا الخوارج– سلكوا مسلك المعتزلة في الجملة في الأسماء والصفات بخلاف المتقدمين.

س : أحسن الله إليكم، هذا يقول : ما الجمع بين آيتي ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ ﴾[1] والآية الأخرى ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ﴾[2] ؟

---

١ – سورة المعارج آية : ٤.

٢ – سورة السجدة آية : ٥.

ج : الله أعلم. نذكر –إن شاء الله– في الدرس القادم الجمع بين الآيتين.

.....

س : أحسن الله إليكم، يقول: لماذا نصّ شيخ الإسلام على التحريف في قوله: من غير تحريف ولا تعطيل، مع أن التحريف مسلك من مسالك التعطيل ؟

ج : ذكرنا أن الشيخ اختار لفظ التحريف، وترك لفظ التأويل؛ لأن لفظ التأويل منه ما هو صحيح ومنه ما هو فاسد، والتحريف بكل صوره مذموم، وورد في القرآن مذموما، ما العلاقة بينه وبين التعطيل؟ ولماذا لم يكتف الشيخ بأحدهما التحريف في الدليل والتعطيل في المدلول، مفهوم أم غير مفهوم ؟

التحريف يكون في الدليل في النص، والتعطيل متعلق بالمدلول الذي هو الله ﷻ . نعم.

س : أحسن الله إليكم، يقول : ما الصحيح في التسمية الشيعة بالرافضة وإن كانت التسمية الصحيحة الرافضة فلماذا سموا بذلك ؟

ج : الرافضة أصلهم شيعة، والتشيع أصله المناصرة، لكن كما هي الحال في سائر الفرق، هؤلاء الذين زعموا مناصرة علي ومناصرة آل البيت، وأنهم من شيعة علي من أنصار علي، لما تقدم العهد افترقوا على أنفسهم، فحصل بينهم وبين زيد بن علي مناظرة في مسألة التبري من أبي بكر وعمر –رضي الله عنهما– فطلبوا منه أن يتبرأ منهما فقال: معاذ الله وزيرا جدي، فرفضوا، فسموا الرافضة، فانقسمت الشيعة إلى رافضة وزيدية.

العلماء الذين كتبوا في الفرق، كالأشعري والشهرستاني والبغدادي وغيرهم، ذكروا طوائف الشيعة، وذكروا أن الشيعة تنقسم إلى كذا وكذا وكذا، فهم يحبون أن يسموا بالشيعة، لكن واقع أمرهم إما زيدية، وإما رافضة، وإما كيسانية، وإما قرامطة، وإما إسماعيلية، وإما نصيرية إلى آخره .

س : هنا سؤال الأخ يقول : أنا شاب متزوج ولدي مشكلة وهي الاستمناء، ولقد حاولت الإقلاع عن هذا الذنب ولكن كلما ابتعدت رجعت إليه .

ج : أسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يمن عليك بالهداية، وأن يعينك على نفسك للإقلاع من هذا الذنب، على كل حال الواجب عليك أن تبادر إلى التوبة بشروطها، وأن تسعى إلى الابتعاد عن الأمور التي توقعك في هذا العمل، ولا شك أن الاستمناء باليد معصية، فالله ﷻ يقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ ﴾[1] فاستثنى هذين الشيئين، والنبي ﷺ يقول : ﴿ يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ﴾ ولو كان الاستمناء

١ – سورة المؤمنون آية : ٥-٦.

.....

جائزا لأرشد إليه النبي ﷺ لأنه يطفئ حدة الشهوة.

فنقول: ما دام أن هذه معصية عليك أن تبادر، من أيسر الأمور الابتعاد عن كل سبب يوقعك في هذا الأمر، وذكر العلماء وأهل الاختصاص من أصحاب علم النفس والتربية قالوا: من أسباب ذلك الفراغ؛ لأن الاستمناء يتولد من التفكير، فالواجب عليك أن تشغل نفسك بطاعة الله ﷻ فإن لم تستطع فأشغلها حتى بالمباحات، بالقراءة، وأيضا إذا ورد عندك هذا الهاجس فمباشرة قم وانتقل إلى مكان آخر، إلى مكان عام؛ لأنك لا يمكن أن تزاول هذا الذنب أمام الناس، وما دمت متزوجا فالحمد لله، فالله ﷻ أعطاك البديل، وإن كانت هذه الزوجة لا تفي بالغرض، فالله جعل لك فسحة من أمرك ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾[1] نعم ربما تكون الزوجة هذه عندها مرض، ربما تكون غير مؤهلة، مقصرة في جوانب الاستعداد لزوجها، عندها عندها، المهم عندها قصور في حق الزوج، فالله سبحانه جعل لك مخرجا، لكن لا تقع في هذا الذنب، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

١ – سورة النساء آية : ٣.

أقوال بعض الفرق فيما ذكره الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله نبينا عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

قال المصنف -رحمه الله تعالى- : وأما المنحرفون عن طريقهم فهم ثلاث طوائف: أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التجهيل.

فأهل التخييل: هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم، كمتكلم ومتصوف، فإنهم يقولون: إن ما ذكره الرسول ﷺ من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور، لا أنه بين به الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح الحقائق، ثم هم على قسمين:

منهم من يقول: إن الرسول ﷺ لم يعلم الحقائق على ما هي عليه، ويقولون: إن من الفلاسفة الإلهية من علمها، وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم أولياء من علمها، ويزعمون أن من الفلاسفة أو الأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين، وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية، باطنية الشيعة وباطنة الصوفية.

ومنهم من يقول: بل الرسول ﷺ علمها لكن لم يبينها، وإنما تكلم بما يناقضها، وأراد من الخلق فهم ما يناقضها؛ لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق .

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

يقول المؤلف : وأما المنحرفون عن طريق السلف في باب الأسماء والصفات فهم ثلاث طوائف: أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التجهيل.

وبدأ بالطائفة الأولى الذين هم أهل التخييل، وهم غلاة الفلاسفة والباطنية ومن سلك سبيلهم من غلاة الصوفية، وهؤلاء زعموا أن ما ذكره الرسول ﷺ فيما يتعلق بالأمر بالإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر إنما هو تخييل، هذه المعاني التي ذكرها ليست الحق التي اشتملت عليه هذه النصوص، فالحق لم يبينه الرسول ﷺ وإنما أظهر للناس خلاف الحق، أظهر لعامة المسلمين خلاف الحق، جاء بخيالات وليس بحقائق.

.....

ذكر الجنة وما فيها من أنهار من لبن وعسل وخمر، لكن كل هذا من باب التخييل، وإلا ليس ثمة هناك جنة ولا نار، ولا يوم آخر ولا بعث، وليس هناك رب موصوف بالعلو أو بالسمع أو بالبصر أو بالكلام، وإنما ما أورده الرسول، بل أورده الأنبياء إنما هو تخييل خيلوا به على عموم الناس، قيل لهم: إذن الرسل كذبوا على الناس ؟ قالوا : لا، كذبوا ولكن ما كذبوا على الناس، ولكن كذبوا لمصلحة الناس؛ لأجل أن يستميلوا قلوب الناس، ولأجل أن ينتظم أمر هذا العالم جاءوا بهذه الأمور والخيالات.

يقول : فإنهم يقولون إن ما ذكره الرسول ﷺ من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور، يعني لينتظم أمر هذا العالم، فإن عامة الناس لما تأمرهم بأوامر وتنهاهم عن نواهٍ لا بد أن تقول لهم : إن من أطاع هذه الأوامر سيجازَى يوم القيامة بجنة فيها كذا وكذا، ومن خالف فله النار، فيها كذا وكذا من أصناف العذاب، وإلا في واقع الأمر قالوا ليس هناك جنة ولا نار، بل ليس هناك بعث.

لا أنه يبين به الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح الحقائق.

ثم هم على قسمين، هذه الطائفة –أهل التخييل– على قسمين:

قسم يزعم أن الرسل –عليهم الصلاة والسلام– لم يعلموا الحقائق على ما هي عليه، حتى الرسل يجهلون هذا الأمر.

ثم منهم من زعم ظلما وزورا أن الفلاسفة وبعض ما يسمونهم أولياء علموا الحق على ما هو عليه، ومن هؤلاء ابن عربي المكي الطائي صاحب الفصوص والفتوح المكية، ولهذا فضل الولي على الرسول، فقال :

مقام النبوة في برزخ فُوَيق الرسول ودون الولي

فجعل أولى المراتب الولاية، ثم يليها النبوة، ثم آخر درجة الرسالة، ولهذا زعموا أن الأولياء يعلمون الحقائق على ما هي عليه، أما الرسل فيجهلون هذا.

ومن هؤلاء أيضا ابن سبعين والسهروردي المقتول والحلاج يقول: ويقولون: إن من الفلاسفة الإلهية من علمها، وعرفنا من الفلاسفة الإلهية، وهم أتباع أرسطو؛ لأنه أول من أقحم الفلسفة في مسائل الألوهية، وفي مسائل ما وراء الغيب، فأتبعه الفلاسفة المنتسبون للإسلام كابن سينا والفارابي وأضرابهم هم تبع له في هذا، يقول: إن من الفلاسفة الإلهية من علمها وإن من الأشخاص الذين يسمونهم أولياء من علمها.

ويزعمون أن من الفلاسفة أولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين؛ لأنهم زعموا أن هؤلاء هم الذين عندهم علم الحقيقة، وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية، باطنية الشيعة، كالقرامطة وباطنية

.....

الصوفية كغلاة الحلولية أتباع ابن عربي.

الطائفة الثانية زعمت أن الرسل علموا هذه الحقائق، لكنهم أظهروا للناس خلاف الحق لأجل استمالة قلوب العامة، لهذا يقول المؤلف : ومنهم من يقول: بل الرسول علمها لكنه لم يبينها وإنما تكلم بما يناقضها. بمعنى أن ما أظهره للناس في الكتاب والسنة نقيض أيش؟ الحق الذي يعلمه، الحق الذي تضمنته هذه النصوص على حد زعمهم، ولكن هذه النصوص لها ظاهر وباطن كما قالوا، وإنما تكلم بما يناقضها وأراد من الخلق فهم ما يناقضها، لما أظهر للناس هذه النصوص المشتملة على أمور الإيمان باليوم الآخر وأمور الإيمان بالله ﷻ أراد من الناس أن يؤمنوا ويصدقوا بنقيض الحق، فكأن الرسول –علي الصلاة والسلام– غش الناس ولبّس على الناس، وهذا لازم قولهم، ولهذا سماهم الشيخ أهل التخييل، زعموا أن الرسل خيلوا على الناس، ولم يبينوا لهم الحق .

وأراد من الخلق فهم ما يناقضها؛ لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق، قالوا : لأن الناس لو قال لهم إن ربكم هذا الذي تعبدونه ليس فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل ولا منفصل، ولا محايد ولا ممتزج، قالوا : ما قبلها الناس، ولما صدقوه، ولهذا قال لهم: الله ﷻ فوق السماوات وهو يريد الأمر الآخر، هو أظهر لهم الاعتقاد الباطل لأجل فقط أن يصدقوا، أما الحق فلم يظهره للناس، نعم .

ويقول هؤلاء: يجب على الرسول ﷺ أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل، وإلى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل، ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون مع أن ذلك باطل؛ لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريقة التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد، فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر .

قالوا: إنه يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم؛ لأنهم يزعمون أن إثبات هذه الصفات أيش؟ يستلزم التجسيم، والتجسيم عندهم كفر، لكن لا بد أن يدعو الناس إلى هذا الكفر والباطل لمصلحتهم، وإلى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل، الأبدان هذه لن تعود يوم القيامة، طيب الرسول أخبرنا يقينا في نصوص ظاهرة واضحة أن هناك يوم ستعاد فيه هذه الأبدان، قالوا : نعم، كذب لمصلحة العباد وإلا في واقع الأمر هذا باطل، ليس هناك معاد .

ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون مع أن هذا باطل، بمعنى أخبر أن في الجنة ملاذا، وأن المؤمنين سيتمتعون في الجنة بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وكلها باطل لا حقيقة له؛ لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريقة التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد، فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر، في نصوص الغيب.

طيب موقفهم من النصوص التي جاءت في مسائل الأحكام، في المسائل العملية وليست العلمية، يذكرها الآن المؤلف، نعم .

وأما الأعمال فمنهم من يقرها، ومنهم من يجريها هذا المجرى، ويقول: إنما يؤمر بعض الناس دون بعض ويؤمر بها العامة دون الخاصة، وهذه طريقة الباطنية والملاحدة والإسماعيلية ونحوهم .

نعم، الأعمال الظاهرة، الصلاة، الزكاة، الحج، من هؤلاء من يقرها على ظاهرها، ويجريها على هذا المجرى، لكن يزعمون أيش؟ أن الرسول لم يرد هذه الأعمال التي يفهمها الناس، لما قال للناس: أقيموا الصلاة لم يرد إقامة هذه الصلاة بوضوئها وشروطها وأركانها والهيئة المعروفة عند جمهور المسلمين، وإنما أراد أمرا آخر، وإذا قال ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾[1] لم يرد قصد مكة لأداء عمل مخصوص في وقت مخصوص كما هو مستقر عند عامة المسلمين، لا، إنما أراد أمرا آخر، وهكذا في الصيام، وهكذا في سائر الأحكام.

ومنهم من يقول لا، هذه الأوامر وهذه الأحكام هي لفئة من الناس، وليست لعموم الناس، هي للعامة، أما الخاصة الذين يسمونهم أولياء فليسوا معنيين بهذه الأوامر وهذه النواهي، ولهذا يكثر عند من يسمونهم بالأولياء والأقطاب والأغواث، نعم، يكثر عندهم الإلحاد والفساد، تجد أحدهم لا يشهد الجمعة ولا الجماعة، لا يصلي، لا يصوم، يرتكب الزنا، يشرب الخمر، ويقول: ارتفعت عني التكاليف.

ويتأولون قول الله ﷻ ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[2] فإذا وصل إلى درجة اليقين ارتفعت عنه التكاليف.

---

١ – سورة آل عمران آية : ٩٧.

٢ – سورة الحجر آية : ٩٩.

أما أهل التأويل فيقولون: إن النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول ﷺ أن يعتقد الناس الباطل، ولكن قصد بها معانٍ وبين لهم تلك المعاني ولا دلهم عليها، ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها، ومقصوده امتحانهم وتكليفهم إتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه، ويعرفوا الحق من غير جهته، وهذا قول المتكلمة الجهمية والمعتزلة ومن دخل معهم في شيء من ذلك .

نعم، هذه الطائفة الثانية، وهم أهل التأويل المؤولة، وهم جمهور المعطلة، كالجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم كالأشاعرة ومن حذا حذوهم في مسألة التأويل، تأويل نصوص الصفات، وهذا الصنف هم الذين ألّف الشيخ هذه الرسالة للرد عليهم، يقولون: إن النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول ﷺ أن يعتقد الناس الباطل، هذه النصوص التي جاءت في صفات الله ﷻ يزعمون أن ظاهرها التجسيم والتشبيه، والرسول ﷺ وسلم لا يريد من الناس أن يعتقدوا هذا الاعتقاد، طيب أين الحق إذ كان الذي يظهر من هذه النصوص هو الباطل؟ والتجسيم والتشبيه أين هو؟ في التأويل، في صرف هذه النصوص عن حقائقها، في المعاني البعيدة وليس في المعاني القريبة التي ظهرت من هذه النصوص.

طيب لماذا لم يبينها النبي ﷺ ؟

آلاف النصوص، ليس مئات، آلاف النصوص كلها الذي يظهر فيها –على حد زعم هؤلاء– التجسيم والتشبيه، لماذا لم يوضح الرسول ﷺ في نص واحد ذاك المعنى البعيد؟ قالوا : لأجل أن يترك الأمر للناس فيبحثوا هم عن الحق، فيجتهدوا، فيحصل لهم أجر هذا الاجتهاد وأجر هذا الكد، يعني يُظهر للناس الباطل ويجعل عموم المسلمين على مر العصور يتخبطون في أعظم مسألة من مسائل الإيمان بالله لأجل أن يحصل لهم اجتهاد البحث، وربما يصلون إلى هذا الحق الذي يزعمون، وربما لا يصلون إليه، ولم يصل إليه إلا آحاد من الناس؛ لأن مَن الذي يستطيع أن يفهم من هذا النص خلاف ظاهره؟ من الذي يستطيع أن يؤول النص التأويل الذي أراده هؤلاء ؟ أناس محدودون .

وهذه النصوص المخاطب بها الجميع أم خاصة من الناس ؟ المخاطب بها الجميع، الكبير والصغير، الذكر والأنثى، المتعلم وغير المتعلم، ولما خاطبنا الله ﷻ على لسان رسوله بهذه النصوص أراد من العباد أن يتعبدوه بما ظهر من معاني هذه النصوص، هؤلاء يقولون لا، الذي يظهر من نصوص الصفات هو التشبيه والتجسيم، والحق هناك معانٍ بعيدة، فاجتهِدُوا بعقولكم للوصول إلى الحق.

.....

يقول : ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم، ثم يجتهدوا في صرف هذه النصوص عن مدلولها.

الآن قول الله ﷻ ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[1] **وقول الله** ﷻ ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾[2] **مدلول هذا النص ما هو؟ إثبات ماذا؟ صفة الغضب لله** ﷻ **غضب الله عليه، نسب الغضب لنفسه** ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[3] **الذي يظهر من هذا النص، دلالة هذا النص على أيش؟ إثبات اليدين لله** ﷻ .

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[4] **دلالة هذا النص؟ الاستواء على العرش** ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[5] **دلالة هذا النص؟ إثبات الرحمة .**

﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾[6] **دلالة هذا النص؟ إثبات العلو .**

يقولون: إنه أراد من الخلق صرف هذه النصوص عن مدلولها الذي دلت عليه، ومقصوده امتحانهم وتكليفهم إتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه، ويعرفوا الحق من غير جهته.

الحق يُعرَف من أيش؟ جهته، وما هي جهته ؟ الكتاب والسنة جميل، هؤلاء زعموا أن الحق يكمن في العقول؛ لأن التأويل الذي جاءوا به هل جاء في الكتاب أو السنة؟ لا، بل نحته عقولهم ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[7] .

تأويلهم ثم استولى على العرش، هل هناك نص في الكتاب والسنة يدل على هذا المعنى؟ من أين أتى؟ من عقول

---

١ – سورة ص آية : ٧٥.

٢ – سورة النساء آية : ٩٣.

٣ – سورة ص آية : ٧٥.

٤ – سورة الأعراف آية : ٥٤.

٥ – سورة الأعراف آية : ١٥٦.

٦ – سورة آل عمران آية : ٥٥.

٧ – سورة الأعراف آية : ٥٤.

.....

هؤلاء المؤولة، من عقول هؤلاء المعطلة، ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[1] لما خلقت بقدرتي أو نعمتي .

من أين أتى هذا المعنى؟ من عقول هؤلاء.

فالشيخ يقول : إن لازم قولهم بل ظاهر قولهم أن الحق يعرف ويؤخذ من غير جهته، من غير مصدره، من غير الكتاب والسنة؛ لأن الذي يظهر من الكتاب والسنة هو أيش؟ هو التشبيه والتجسيم .

وهذا قول المتكلمة الجهمية والمعتزلة ومن دخل معهم في شيء، من ذلك –كما قلت لكم– كالأشاعرة والكُلابية والسالمية والشيعة ومن نحا نحوهم من كل معطل، نعم .

---

١ – سورة ص آية : ٧٥.

والذي قصدنا الرد عليهم في هذه الفتيا هم هؤلاء إذ كان نفور الناس -يعني الأولين- مشهورا، بخلاف هؤلاء فإنهم تظاهروا بنصر السنة في مواضع كثيرة، وهم في الحقيقة لا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا، ولكن أولئك الفلاسفة ألزموهم في نصوص المعاد نظير ما ادعوه في نصوص الصفات، فقالوا: نحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بمعاد الأبدان، وقد علمنا الشبه المانعة منه .

نعم، الشيخ يبين هنا أن الذين قصد الرد عليهم في هذه الرسالة هم هذه الطائفة الثانية أهل التأويل، والسبب في ذلك قال: لأن نفور الناس من الطائفة الأولى أهل التخييل الفلاسفة وغلاة الباطنية ظاهر، ولهذا -ولله الحمد- شرهم وكفرهم وإلحادهم معروف لدى عامة المسلمين فضلا عن علمائهم.

يقول : بخلاف هؤلاء فإنهم تظاهروا بنصر السنة في مواضع كثيرة، نعم، هم زعموا أنهم ينصرون سنة النبي ﷺ وأنهم يقفون في وجوه هؤلاء الفلاسفة، لكن الشيخ يقول: هم بهذا المنهج الباطل لا هم للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا، لا نصروا الإسلام في مقابل أعدائه من اليهود والنصارى، ولا أيضا ردوا عساكر الفلاسفة واستطاعوا الوقوف في وجه الفلاسفة، لماذا ؟

لأن الشبه التي أوّلوا بها النصوص احتج عليهم بها من؟ هؤلاء الذين ردوا عليهم الفلاسفة، قالوا : أنتم الآن أوّلتم نصوص الصفات، وقلتم إن ظاهرها ليس هو المراد، ودلالة هذه النصوص ليس هو الحق الذي أراده الرسول ﷺ فنحن نقول لكم: وأيضا ظواهر النصوص التي جاءت فيما يتعلق باليوم الآخر ليست مرادة، فأجزتم لأنفسكم التأويل فأجيزوه لنا، لماذا تمنعوننا من تأويل نصوص اليوم الآخر وتجيزونه لأنفسكم؟

ولهذا أصبح موقفهم ضعيفا تجاه هؤلاء؛ لأن هذا فيه تناقض، النصوص واحدة، ومصدرها واحد .

وكما سيذكر الشيخ فالنصوص المتعلقة بالله ﷻ أضعاف أضعاف المتعلقة باليوم الآخر، ما دمتم أجزتم لأنفسكم تأويل هذه النصوص فما المانع أن نؤول نصوص اليوم الآخر؟ ما المانع أن نؤول نصوص الأحكام والمسائل العملية؟ وهذا هو عين التناقض، أن تجيز لنفسك التأويل في بعض النصوص وتمنع التأويل في البعض الآخر نعم .

وأهل السنة يقولون لهؤلاء : ونحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بإثبات الصفات،ونصوص الصفات في الكتب الإلهية أكثر وأعظم من نصوص المعاد، ويقولون لهم : معلوم أن مشركي العرب وغيرهم كانوا ينكرون المعاد، وقد أنكروه على الرسول ﷺ وناظروه عليه، بخلاف الصفات؛ فإنه لم ينكر شيئا منها أحد من العرب.

فعُلم أن إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد، وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات، وكيف يجوز مع هذا أن يكون ما أخبر به من الصفات ليس كما أخبر به، وما أخبر به من المعاد هو على ما أخبر به؟ .

وهذا فيه إلزام لهؤلاء المؤولة الذين أنكروا على الفلاسفة تأويل نصوص المعاد، الشيخ يقول: معلوم بالاضطرار أن الكتب الإلهية جاءت فيما يتعلق بصفات الله ﷻ أضعاف أضعاف ما تضمنته من نصوص اليوم الآخر، بل إن مشركي العرب منهم من أنكر كما حكى الله ﷻ عنهم في القرآن، أنكر المعاد، لكن لم ينقل عنهم أنهم أنكروا شيئا من الصفات.

يقول الشيخ : وعلى ذلك يُعلَم أن إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد؛ لأننا وجدنا طوائف كثيرة تنكر المعاد ولم تنكر الصفات، وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات، فإذا جاز تأويل نصوص الصفات فمن باب أولى يجوز تأويل نصوص المعاد، هذا من باب الإلزام لهؤلاء المؤولة، نعم.

وأيضا فقد عُلم أنه ﷺ قد ذَمَّ أهل الكتاب على ما حرفوه وبدلوه، ومعلوم أن التوراة مملوءة من ذكر الصفات، فلو كان هذا مما حُرّف وبُدل لكان إنكار ذلك عليهم أولى، فكيف وكانوا إذا ذَكروا بين يديه الصفات يضحكون تعجبا منه وتصديقا، ولم يعبهم قط بما تعيب النفاة لأهل الإثبات مثل ألفاظ التجسيم والتشبيه ونحو ذلك، بل عابهم بقوله: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ ﴾[1] وقولهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ ﴾[2] وقولهم : استراح لخلق لما السماوات والأرض فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[3] والتوراة مملوءة من الصفات المطابقة للصفات المذكورة في القرآن والحديث، وليس فيها تصريح بالمعاد كما في القرآن، فإذا جاز أن نتأول الصفات التي اتفق عليها الكتابان فتأويل المعاد الذي انفرد به أحدهما أولى، والثاني مما يعلم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ أنه باطل، فالأول أولى بالبطلان .

هذا إلزام ثانٍ لهؤلاء المؤولة، يقول : فقد عُلم أن الرسول ﷺ قد ذم أهل الكتاب على ما بدلوه وغيروه وحرفوه من الكتاب، ومعلوم أن التوراة مملوءة بصفات الله ﷻ بذكر الصفات، فلو كان هذه الصفات مما حرفه وبدله أهل الكتاب لكان أولى بأيش؟ بالإنكار.

بل يقول إنهم كانوا يذكرون بين يديه صفات الله ﷻ كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود لما دخل الحبر من أحبار اليهود فقال يا محمد، إنا نجد أن الله يوم القيامة يضع السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع ... إلى آخر الحديث فضحك النبي ﷺ تصديقا لقوله وتلا قوله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ ﴾[4] .

---

١ – سورة المائدة آية : ٦٤.

٢ – سورة آل عمران آية : ١٨١.

٣ – سورة ق آية : ٣٨.

٤ – سورة الزمر آية : ٦٧.

.....

فكانوا يذكرون صفات الله ﷻ بين يديه ويقرهم على هذا الأمر، ويصدقهم على هذا الأمر، ولم يعترض عليهم كما اعترض النفاة على أهل السنة، إذا ذكروا هذه الصفات ماذا يقول النفاة ؟ يقولون : أنتم مجسمة، أنتم مشبهة، لم يقل النبي ﷺ لهذا الحبر ولغيره من اليهود إذا ذكروه بين يديه الصفات أو يلزم على قولكم هذا أن يكون الله جسما، أو أنتم شبهتم الله ﷻ بخلقه.

فلهذا يقول المؤلف : ولم يعبهم قط بما تعيب النفاة لأهل الإثبات، مثل لفظ التجسيم والتشبيه؛ لأن هذه من الشبه التي دائما ما يعترض بها النفاة على أهل السنة في إثبات الصفات، بل عابهم بقولهم ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ ﴾[1] الرد عليهم، لما جاء القرآن يرد عليهم في باطلهم هذا، هل رد عليهم في إثباتهم اليد أم في وصف اليد ؟ في وصف اليد.

﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾[2] المعطلة قالوا : لاحظوا أن الله ﷻ أنكر على اليهود لما أثبتوا لله اليد، سبحان الله! أين العقول ؟ أنكر عليهم في وصف اليد مغلولة وصف الله ﷻ بأنه بخيل، تعالى الله عن ذلك، لكنه له اليدين، وأثبت أنهما مبسوطتان وقولهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ ﴾[3] وقولهم: استراح لما خلق السماوات والأرض .

الشاهد أنه أنكر عليهم ليس إثبات الصفات، وإنما أنكر عليهم وصف الله ﷻ بالنقائص، فلما وصفوه في هذه الآية بالتعب، أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استراح في السابع رد عليهم ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا وَٱلۡأَرۡضَ بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴿٣٨﴾ ﴾[4] يقول : التوراة مملوءة من الصفات المطابقة للصفات المذكورة في القرآن، التوراة التي بأيدي اليهود مملوءة بذكر صفات الله ﷻ المطابقة للصفات المذكورة في القرآن الكريم، وليس فيها تصريح بالمعاد كما في القرآن، وليس في التوراة تصريح بذكر نصوص المعاد كما هي الحال في القرآن.

---

١ – سورة المائدة آية : ٦٤.

٢ – سورة المائدة آية : ٦٤.

٣ – سورة آل عمران آية : ١٨١.

٤ – سورة ق آية : ٣٨.

.....

يقول : فإذا جاز أن نتأول الصفات التي اتفق عليها الكتابان، يعني الآن التوراة مليئة بنصوص الصفات، والقرآن مليء بنصوص الصفات، والقرآن مليء بنصوص المعاد، والتوراة ليس فيها إلا نصوص محدودة، فإذا جاز أن نتأول النصوص الواردة في الصفات التي اتفق عليها الكتابان فمن باب أولى أن نتأول نصوص المعاد التي انفرد بها القرآن .

وهذا مما يعلم بطلانه بالضرورة من دين الرسل، وهذا تأويل نصوص المعاد، فيكون تأويل نصوص الصفات من باب أولى مما يعلم بطلانه من الدين بالضرورة.

إذن يقول: فإذا جاز أن نتأول الصفات التي اتفق عليها الكتابان فتأويل المعاد الذي انفرد به أحدها أولى، والثاني مما يعلم بالاضطرار من دين الرسل، الثاني ما هو؟ تأويل نصوص المعاد مما يعلم بالاضطرار من دين الرسل أنه باطل، فالأول أولى بالبطلان، الأول ما هو؟ نصوص الصفات .

هذا من باب الإلزام لهم، نعم .

وأما الصنف الثالث، وهم أهل التجهيل فهم كثير من المنتسبين إلى السنة وأتباع السلف يقولون إن الرسول ﷺ لم يكن يعرف معاني ما أنزل الله عليه من معاني الصفات، ولا جبريل يعرف معاني الآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك .

وكذلك قولهم في أحاديث الصفات إن معناها لا يعلمه إلا الله، مع أن الرسول تكلم بهذا ابتداء، فعلى قولهم تكلم بكلام لا يعرف معناه .

نعم هؤلاء الطائفة الثالثة والصنف الثالث ممن خالفوا أهل السنة والجماعة في باب صفات الله ﷻ وهم أهل التجهيل، وهم من يسمون بالمفوضة.

وعرفهم ابن القيم –رحمه الله– بقوله : الذين قالوا نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها، ولا ندري ما أراد الله ورسوله منها، ولكن نقرؤها ألفاظا لا معاني لها، ونعلم أن لها تأويلا لا يعلمه إلا الله.

هؤلاء زعموا أن هذه النصوص، نصوص الصفات ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[1] ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[2] ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ﴾[3] ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾[4] **ينزل ربنا يلقى في النار حتى تقول هل من مزيد حتى يضع فيها الرب قدمه إلى آخر هذه النصوص .**

يقولون: هذه النصوص ليس لها معنى، بل نقرؤها ونتبعد بها ألفاظا جوفاء، ما معانيها؟ قالوا: الله أعلم، حتى الرسول ﷺ لا يعرف معاني هذه النصوص، وحتى جبريل الذي نزل بالوحي لا يعرف معاني هذه النصوص، فهذه النصوص مثل ما يردد الإنسان الكلام الأعجمي الذي لا يفقه منه حرفا.

يورد الشيخ أحيانا مثالا يقول: ضع ثلاث حروف مثل: الدال والياء والزاي، ديز، ماذا تفهم؟ لا شيء، فكما أنك الآن تنطق ديز ولا تفهم فيها، فكذلك تقرأ قول الله ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[5] **ولا تفهم منه شيئا،**

---

١ – سورة الأعراف آية : ٥٤.

٢ – سورة المائدة آية : ٦٤.

٣ – سورة الأعراف آية : ١٥٦.

٤ – سورة الفجر آية : ٢٢.

٥ – سورة الأعراف آية : ٥٤.

.....

يقول : يقولون إن الرسول لم يكن يعرف ما أنزل عليه من آيات الصفات، ولا جبريل يعرف معاني تلك الآيات، ولا السابقون الأولون، هذا من باب أولى.

وكذلك قولهم في أحاديث الصفات أن معناها لا يعلمه إلا الله مع أن الرسول تكلم بهذا ابتداء، يعني الرسول ﷺ يقول: ضحك ربنا ولا يفهم معنى هذا الكلام، يقول: يد الله سحاء ولا يفهم معنى هذا الكلام، يقول : المقسطون على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين ولا يفهم معاني هذا الكلام، سبحان الله! ولهذا سماهم المؤلف أهل التجهيل، يعني نسبوا الجهل إلى الرسول ﷺ وللسابقين ولعموم المؤمنين؛ لأن الذي يردد كلاما لا يفقه معناه هل هو عالم أم جاهل ؟ جاهل، يجهل معنى هذا الكلام، نعم، وسيورد الشيخ الآن الرد عليهم واستدلاله . نعم .

معنى التأويل الذي لا يعلمه إلا الله والتأويل المذكور في كلام المتأخرين

وهؤلاء يظنون أنهم اتبعوا قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[1] فإنه وقف كثير من السلف على قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[2] وهو وقف صحيح، لكن لم يفرقوا بين معنى الكلام وتفسيره وبين التأويل الذي انفرد الله تعالى بعلمه، وظنوا أن التأويل المذكور في كلام الله هو التأويل المذكور في كلام المتأخرين، وغلطوا في ذلك، فإن التأويل يراد به ثلاث معانٍ، فالتأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين.

قبل أن ندخل في قضية تفصيل التأويل، المؤلف يقول: هؤلاء أهل التجهيل استدلوا بآية آل عمران، قول الله ﷻ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[3] **استدلوا بهذه القراءة على الوقف على لفظ الجلالة** ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[4] **ثم يستأنف الكلام** ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾[5].

وهذه قراءة صحيحة، وهي قراءة الجمهور، قرأ بها ابن عباس في رواية، وابن عمر، وعائشة، وعروة بن الزبير، وعمر بن عبد العزيز، وأبو الشاث، وإليه ذهب الكسائي والفراء والأخفش، وأبو عبيد، والأصمعي وكثير من العلماء على الوقف على لفظ الجلالة، هم يستدلون، يقولون : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[6] **هذه هي نصوص الصفات.**

١- سورة آل عمران آية : ٧.

٢- سورة آل عمران آية : ٧.

٣- سورة آل عمران آية : ٧.

٤- سورة آل عمران آية : ٧.

٥- سورة آل عمران آية : ٧.

١- سورة آل عمران آية : ٧.

.....

يقول الشيخ: نعم هو وقف صحيح، وهو وقف كثير من السلف، لكن هؤلاء أتوا من حيث أنهم لم يفرقوا بين التأويل الذي هو اصطلاح كثير من المتأخرين وبين التأويل في الكتاب والسنة، سبب ضلال هؤلاء وسبب خطأ هؤلاء أنهم أخذوا لفظ التأويل هذا ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[1] واعتقدوا أن هذا التأويل هو التأويل المتعارف عليه عند المتكلمين.

والتأويل، نستبق كلام الشيخ، نقول: التأويل له ثلاثة معانٍ: معنيان شرعيان وردا في الكتاب والسنة، والمعنى الثالث اصطلاح اصطلح عليه المتأخرون ليس له مستند لا في الكتاب ولا في السنة.

فالتأويل يطلق في القرآن والسنة ويراد به التفسير، وهذا كثيرا ما يستخدمه الإمام ابن جرير –رحمه الله– في تفسيره : القول في تأويل هذه الآية، وممن ذهب إلى تأويل هذه الآية، بمعنى تفسيرها، ومنه قول الله ﷻ ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ﴾[2] أي نبئنا بتفسيره، وفيه أيضا قول النبي ﷺ لابن عباس: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل أي التفسير، هذا هو النوع الأول، يأتي بمعنى التفسير .

وهذا وارد في الكتاب والسنة أم لم يرد ؟ وارد، وأوردنا لكم الأمثلة.

النوع الثاني: يُطْلَق التأويل في الكتاب والسنة ويراد به الحقيقة التي يؤول إليها الأمر أو الخبر، بمعنى: الأمر أو الخبر يكون خبرا ثم أيش؟ يظهر في الخارج عيانا.

كالأمر، إذا أمرك الله ﷻ بالصلاة، ثم أديت الصلاة فعلا، فهذا تأويل أمر الله ﷻ والخبر أن يخبرنا الله ﷻ عن أمر، عن شيء، ثم يوجد في الخارج، فيكون وجوده في الخارج هو التأويل، مثال: قول الله ﷻ ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾[3] .

٢- سورة آل عمران آية : ٧.

٣- سورة يوسف آية : ٣٦.

١- -سورة الأعراف آية : ٥٣.

.....

﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ ﴾[1] **يوم يأتي تأويل هذا القرآن، إذا جاء يوم القيامة فالآن ما في القرآن من الخبر عن المعاد وعن يوم القيامة هو خبر، ما تأويله؟ وقوعه فعلا يوم القيامة.**

وهناك مثال أقرب من هذا: قول الله ﷻ عن يوسف: ﴿ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ ﴾[2] **رأى الرؤيا وهو في الصغر، رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رآهم له ساجدين، لما تولى ملك مصر،**

ودخلوا عليه ﴿ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ ﴾[3] **فماذا قال؟** ﴿ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ ﴾[4] **من الآن وقعت فعلا ظهرت للعين، واضح؟ الآية لما أقول: غدا أو بعد غد سيحضر فلان من الناس، هذا الآن خبر، ما تأويل هذا الخبر؟ إذا حضر هذا الشخص، قلنا: خلاص هذا تأويل هذا الخبر.**

ومن هذا النوع: قول السيدة عائشة –رضي الله عنها– لما أنزل الله ﷻ على رسوله: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ ﴾[5] **قالت: كان يُكثر –أنأي يقول– في ركوعه: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، يتأول القرآن ما معنى يتأول القرآن؟ أي يطبقه، ينفذه، هذا تأويل هذا الأمر.**

ف"سبِّحْ" هو سبحَ، الآن هذا تأويل هذا الأمر، إذًا هذا النوع الثاني من أنواع التأويل، وهذان النوعان هما اللذان جاءا في الكتاب والسنة.

بقي النوع الثالث وهو الذي اضطرب واختلف على هؤلاء، هم نزلوا معنى هذا ﴿ بِتَأۡوِيلِهِۦ ﴾ ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾[6] **على أنه هو المعنى الثالث.**

المعنى الثالث: وهو حرف صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، وهو

٢- سورة الأعراف آية : ٥٣.

٣- سورة يوسف آية : ١٠٠.

٤- سورة يوسف آية : ١٠٠.

٥- سورة يوسف آية : ١٠٠.

٦- سورة النصر آية : ١.

١- سورة آل عمران آية : ٧.

.....

التأويل في اصطلاح المتأخرين، هذا ليس له مستند في بالكتاب والسنة، لكن هو المصطلح السائد عند المتأخرين من أهل الكلام، إذا أطلقوا التأويل فهم يريدون هذا المعنى، وهو المعنى الثالث: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، من الاحتمال الظاهر البين إلى الاحتمال البعيد مثاله.. من يمثل لي؟ "استوى" استولى، هذا يقولون: تأويل .

فهؤلاء المفوضة استدلوا بهذه الآية على أن التأويل الوارد بهذه الآية هو التأويل المعروف عند المتأخرين: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح.

والصحيح أن التأويل الوارد في هذه الآية: إما أن يراد به التفسير وهذا على قراءة الوصل، من لم يقطع ويقف، من عطف أولو العلم على لفظ الجلالة ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾[1] يكون معنى التأويل هنا التفسير، يعني: وما يعلم تفسيره إلا الله والراسخون من أولي العلم.

وعلى قراءة القطع –قراءة الوصل هي قراءة مجاهد ورواية عن ابن عباس، وقراءة القطع هي قراءة الجمهور– وعلى قراءة القطع يكون معنى التأويل في هذه الآية: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام وهذه الحقيقة لا يعلمها إلا الله، فحقيقة ما في المعاد لا يعلمه إلا الله، وحقيقة هذه الأسماء والصفات، وكيفية هذه الأسماء والصفات لا يعلمها إلا الله، واضح؟ نعم.

٢– سورة آل عمران آية : ٧.

فإن التأويل يراد به ثلاث معان: فالتأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك.

نعم، إذا كان هناك دليل صحيح يقترن بهذا التأويل فالتأويل صحيح، وإذا كان الدليل فاسدا فالتأويل فاسد، التأويل الفاسد مثل: كجل تأويلات المعطلة لنصوص الصفات هو من باب التأويل الفاسد، لا أقول: "جُلّ"، كل تأويل المعطلة لنصوص الصفات هو من باب التأويل الفاسد.

أما التأويل الصحيح أن يكون فعلا هناك دليل يدل على صرف اللفظ من هذا الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، والأمثلة على هذا قليل، منها قول الله ﷻ أن بعض العلماء يستدل بعض العلماء بقول الله –عز وجل: ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ ﴾[1] ظاهر اللفظ ما هو؟ "أتى" يدل على أنه أتى وانتهى، لكن المعنى الصحيح أو التأويل الصحيح أنه سيأتي، أين الدليل؟ ﴿ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ ﴾[2] واضح؟

وأيضًا قول الله –عز وجل تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ ﴾[3] ظاهر اللفظ يدل على أن الإنسان لا يستعيذ إلا إذا فرغ من القراءة ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ ﴾[4] لكن نحن صرفناه عن ظاهره إلى أن الإنسان إذا أراد أن يقرأ فليستعذ لدليل؛ لأنه ثبت عن النبي –صلى الله عليه وسلم أنه 🕮 كان إذا قرأ استعاذ 🕮 واضح؟ فهذا الذي يمكن أن يمثَّل له بالتأويل الصحيح على اصطلاح المتأخرين، نعم.

---

١ – سورة النحل آية : ١.

٢ – سورة النحل آية : ١.

٣ – سورة النحل آية : ٩٨.

٤ – سورة النحل آية : ٩٨.

فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلات عن اصطلاح هؤلاء، وظنوا أن مراد الله بلفظ التأويل ذلك، وأن للنصوص تأويلا مخالفا لمدلولها لا يعلمه إلا الله أو يعلمه المتأولون.

نعم، يقول: "فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلا على اصطلاح هؤلاء" المعنى الذي يظهر من نصوص الصفات ليس بتأويل على اصطلاح هؤلاء، بل لا بد أن يبحثوا له عن معنى بعيد، هم يزعمون أن الدليل المقترن الذي حملهم على صرف ذلك هو العقل: الأدلة العقلية التي جاءوا بها، وظنوا أن مراد الله بلفظ التأويل ذلك، يعني: ظنوا أن التأويل الذي جاء في الآية المقصود به هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح.

ونحن قلنا: إن الصحيح أن التأويل الذي جاء في الآية إما أن يراد به التفسير، أو يراد به الحقيقة التي يؤول إليها الأمر، نعم.

ثم إن كثيرا من هؤلاء يقولون: تُجرى على ظاهرها فظاهرها مراد، مع قولهم: إن لها تأويلا بهذا المعنى لا يعلمه إلا الله، وهذا تناقض وقع فيه كثير من هؤلاء المنتسبين إلى لالسنة من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم.

نعم، هؤلاء المفوضة قالوا: تُجرى هذه النصوص على ظاهرها، ظاهرها مراد أو غير مراد؟ قالوا: مراد، يعني: مراد من الشارع، مراد من الله –عز وجل، أراد ظاهر هذا النص، طيب هل هو معلوم؟ قالوا: لا.

سبحان الله!! وتعالى هذا تناقض ظاهر واضح، كيف تقول لي: إن ظاهرها مراد، وتقول: لا يعلمه إلا الله، أنت لما قلت: إن ظاهرها مراد فيدل هذا على أنك فهمت المعنى، أنت الآن حكمتَ على هذا اللفظ، قلت: أجري اللفظ على ظاهره، وظاهره مراد! الآن حكمت عليه، حكمت عليه بناء على ماذا؟ على أنك فهمت معنى هذا اللفظ.

ثم تأتي –في نفس الكلام– وتقول: المعنى لا يعلمه إلا الله! لو كان المعنى لا يعلمه إلا الله فلا يجوز لك أن تقول: أجره على ظاهره أو غير ظاهره، ولا تقول: مراد ولا ليس مرادا؛ لأنك ما تفقه أصلا من شيء، لا تحكم عليه لا من قريب ولا من بعيد، فإذا حكمت عليه بأي حكم فأنت فهمت منه معنى، فتكون متناقضا إذا قلت: إن معناه لا يعلمه إلا الله .

وهذا ظاهر التناقض في مذهب هؤلاء، الذين هم من؟ المفوضة الذين يقولون: أجرِ النصوص على ظاهرها، لكن لا بد تعتقد أن ظاهرها لا يعلمه إلا الله، أن معناها لا يعلمه إلا الله.

من قال لك: إن معناها لا يعلمه إلا الله، لماذا لا يكون معناها هو ما يظهر منها، لماذا؟ فإن قلت: لا، فأنت الآن حكمت، وإذا حكمت بمعنى أنك فهمت من النص، وإذا فهمت من النص فأنت ناقضت قولك، أن تقول: إن هذا النص لا يعلمه إلا الله، مثل ما قلت لكم، مثل لفظ "ديس" هل تفهم منه شيءئا، لا يجوز أن تقول لهذا الإنسان: أجْرِه على ظاهره، أو لا تجره على ظاهره، ولا له معنى ولا ليس له معنى؛ لأنك أصلا ما تفقه من شيءئا .

فهؤلاء المفوضة متناقضون فيما ذهبوا إليه، وهذا قول الشيخ: وهذا تناقض وقع فيه كثير من هؤلاء المنتسبين إلى السنة من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم.

ونقف على هذا، والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه وسلم أجمعين.

قبل أن نبدأ بالأسئلة السؤال الذي طُرح بالأمس: الجمع بين آية المعارج وآية السجدة؟

روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: إن الألف ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[1] الألف التي جاءت ذكرها في سورة الحج هي أحد الأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض، والألف التي جاء ذكرها في سورة السجدة هي لعروج الأمر ونزوله من الله –عز وجل، والخمسين ألف التي جاء ذكرها في المعارج هي يوم القيامة.

وهناك وجه آخر ذكره محمد الأمين الشنقيطي –رحمة الله عليه– صاحب "أضواء البيان" وهي أن الألف، والخمسين ألف سنة، هي: يوم القيامة بحسب حال المؤمن والكافر؛ فالمؤمن تكون عليه يسيرة وقصيرة، والكافر تكون عليه طويلة وعسيرة، والله أعلم، نعم.

س: أحسن الله إليك، يقول: ما هو الفرق بين القسم الأول من أهل التخييل، والصنف الثاني وهم أهل التجهيل، علما أنهم يقولون بأن الرسول –صلى الله عليه وسلم: لا يعلم معاني هذه النصوص.

ج: الفرق بينهما: أن أهل التخييل جعلوا لهذه النصوص معاني، قالوا فعلا أن الرسول لا يعلمها، لكن من الفلاسفة وممن يسمونهم أولياء علم معناها، واضح، أما أهل التجهيل فلا، عندهم لا أحد يعلم معاني هذه النصوص، لا يعلمها إلا الله؛ لا جبريل، ولا النبي –صلى الله عليه وسلم، ولا المؤمنين، ولا العرب، ولا العجم. لا أحد يعلم معناها.

منهم من قال: إن الرسول لا يعلمها لكن نحن نعلمها، ومنهم من قال: إن الرسول يعلمها ونحن نعلمها، ولها باطن يخالف الظاهر، فهذا هو الفرق بين الطائفتين، نعم.

س: أحسن الله إليكم، يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وفقكم الله! ما تقولون في رسالة الإمام الذهبي في الرد على شيخ الإسلام في مسائل عقدية، هذا وقد عثرت على إسنادها، وما وجدته أن رجاله ثقات من بالذهبي إلى الحافظ، ووقفت على كلام أنه للسخاوي –رحمه الله– يثني على هذه الرسالة والمخطوط موجود في ثلاث ورقات، إضافة إلى أني وقفت على كلام للذهبي في "الدرر الكامنة" بشأن شيخ الإسلام –رحمه الله وفيه: "ونخالفه في باقي بعض الأصول والفروع" أفلا يكون ذلك شاهدا لما في الرسالة من مضمون، وقد صنف بعض الأشاعرة في إثبات هذه الرسالة وإحاطتها ببعض القرائن.

ج: الإمام الذهبي –رحمه الله– معروف موقفه من شيخ الإسلام أو من قرينه، ويعتبر من أقران الشيخ، أثنى عليه كثيرا، وذكره بعبارات حقيقة قلما من وصف الشيخ بها، قال: رأيت رجلا كأن العلوم نُصبت بين عينيه يأخذ

---

١ – سورة السجدة آية : ٥.

.....

منها ما شاء ويذر.

ولعلي أورد شيئا من عباراته التي أثنى بها على شيخ الإسلام ثناء عاطرا في الدرس القادم، لكن يبقى أن الإمام الذهبي نعم له موقف في دخول شيخ الإسلام وتعمقه في علم الكلام؛ فالإمام الذهبي يرى أن الأولى تجنب التوسع في هذا الباب على مذهب أو على رأي السيوطي ومن على شاكلته.

أما أنه اعترض على شيخ الإسلام، أو خالفه في مسألة من مسائل الصفات فأنا لا أعلم شيئا من ذلك، بل المشهور والمعروف عن الإمام الذهبي أنه في باب الأسماء والصفات على منهج أهل السنة والجماعة، نعم هناك عنده –لا نستطيع أن نقول– مآخذ فيما يتعلق بجانب توحيد العبارة العبادة، لكن ليست بذاك بحيث يشنع عليه بها لكن عنده، أما في توحيد الأسماء والصفات فلا، والله أعلم.

وأنا لا أعرف هذه الرسالة، نعم أعرف أنه هناك من أهل البدع من شنع على شيخ الإسلام، وزعم أن الإمام الذهبي قال فيه وقال، لكن الذي بين أيدينا من كلام الإمام الذهبي أبدا هو الثناء العاطر على شيخ الإسلام والتزكية التي قلما زكي بها الشيخ بمثل عبارات الإمام الذهبي، لكنه ما وافقه على قضية.. قال: يا ليته ما دخل في هذا العلم؛ علم الفلسفة وعلم المنطق ومناظرة هؤلاء.

نحن نقول ابتداء: نعم ينبغي للإنسان ألا يدخل في هذا العلم؛ لأنه قلما إنسان دخل فيه فسلم، ولكن هذه تعتبر منقبة لهذا الإمام؛ لأنه دخل فيه وخرج كما دخل لم يعلق منه شيء، بل إن الله ﷻ هيأه للرد على هؤلاء وهلهلة هؤلاء وفضح هؤلاء بالأدلة النقلية والأدلة العقلية، نعم .

س: أحسن الله إليكم، يقول: كيف نجمع بين قوله –صلى الله عليه وسلم: ﴿ وكلتا يديه يمين ﴾ وفي الحديث الآخر إثبات الشمال لله –تعالى.

ج: نعم، جمع العلماء بينهما أن قول النبي –صلى الله عليه وسلم: الله ﷻ له يد يمين وله يد شمال، كما جاء في الحديث، لكن في قوله في الحديث: ﴿ وكلتا يديه يمين ﴾ كما ذكره الإمام ابن قتيبة في "تأويل مختلف الحديث"، قال: ذكر ذلك دفعًا لتوهم النقص، اليد الشمال بالنسبة لحق المخلوق ليست كاليد اليمين، فهي أضعف من اليد اليمين، واليد اليمين دائما تستخدم في الأشياء المحترمة بخلاف اليد الشمال، فلما كان هناك احتمال أن يرد لذهن بعض الناس أنه إذا أُثبت الله اليد الشمال أن تكون اليد الشمال أقل من اليد اليمين

كما هي الحال في المخلوق أراد النبي ﷺ دفع هذا التوهم فقال: ﴿ وكلتا يديه يمين ﴾ بمعنى: كلتا يديه يُمن وبركة، ليس فيها نقص في وجه من الوجوه، نعم.

.....

س: أحسن الله إليكم، يقول: معلوم أن الله في السماء مستو على عرشه، وهل عرشه على الماء، والله يحفظكم.

ج: نعم، هذا هو الذي جاء في حديث العباس، وإن كان ضعفه بعض العلماء: أن ما بين السماء كذا إلى كذا، ثم قال: وفوق السماء السابعة ماء وفوقه العرش نعم، وجاء ذلك في قول الله –عز وجل: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾[1] **وفسرت هذه الآية بحديث العباس.**

س: أحسن الله إليكم، يقول: أُشهد الله أني أحبك فيه، وسؤالي هو: يستدل المبتدعة على تأويل الصفات الفعلية كالنزول والمجيء والإتيان بقوله –تعالى: ﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾[2] **نرجو بيان الجواب عن ذلك.**

ج: جعلنا الله وإياكم وإياه من المتحابين فيه! أقول: كما ذُكر سابقا أنه دائما لفهم الكلام لا بد من فهم السياق الذي ورد فيه، وهذا هو أسلوب العرب، وهذا هو كلام العرب الذي جاء به القرآن، القرآن نزل بلغة العرب، والعرب يطلقون هذه اللفظة ويكون لها عدة معان، متى يتعدد يتحدد هذا المعنى، ويراد هذا المعنى ولا يراد هذا المعنى؟ بالسياق، فسياق هذه الآية ليس في مجيء الله ﷻ إنما مجيء العذاب، والكلام حول العذاب.

بخلاف الآيات الأخرى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾[3] **صريح في مجيء الله ﷻ فلماذا نؤولها ونقول: مجيء الملائكة، أو مجيء الرحمة؛ السياق لا يحتمله، أما هذا فالسياق يحتمله مثل قول الله –عز وجل:** ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾[4] **والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.**

---

١ – سورة هود آية : ٧.

٢ – سورة النحل آية : ٢٦.

٣ – سورة الفجر آية : ٢٢.

٤ – سورة البقرة آية : ١١٥.

أن وافق ظاهره أو لم يوافق، وهذا هو التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم، وهذا التأويل يعلمه الراسخون في العلم، وهو موافق لوقف من وقف من السلف على قوله -تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾[1] كما نُقل لك عن ابن عباس ومجاهد ومحمد بن جعفر بن الزبير ومحمد بن إسحاق وابن قتيبة وغيرهم. وكلا القولين حق باعتبار كما قد بسطناه في مواضع آخر؛ ولهذا نقل عن ابن عباس هذا، أو وهذا وكلاهما حق.

نعم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لا زال كلام المؤلف -رحمه الله- في الرد على المفوضة واستدلالهم بآية آل عمران وهي قوله سبحانه: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ ﴾[2] وذكر أنهم أوتوا من حيث أنهم لم يفهموا من التأويل إلا ما جاء عن المتأخرين، وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح.

وذكر أن هذا الاصطلاح ليس له أصل في الكتاب والسنة، وإنما التأويل الوارد في الكتاب والسنة هو أحد معنيين، هو المعنى الثاني الذي ذكره بقوله: والمعنى الثاني أن التأويل هو تفسير الكلام سواء وافق ظاهره أو لم يوافقه؛ بمعنى: إذا فُسر هذا الكلام سواء كان هذا التفسير بما يتوافق مع الظاهر أو يختلف مع الظاهر فهو المراد بالتأويل .

وذكرت لكم بالأمس أمثلة على ذلك من الكتاب والسنة: من القرآن: قول الله -عز وجل ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ﴾[3] بمعنى: نبئنا بتفسيره، ومن السنة حديث: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" أي: التفسير .

وهو وهذا هو الاصطلاح الذي يستخدمه ابن جرير الطبري -رحمه الله- في تفسيره، فيقول: "القول في تأويل هذه الآية..." بمعنى: في تفسير هذه الآية، يقول: وهذا هو التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم، وهذا التأويل يعلمه الراسخون في العلم، التفسير مما يعلمه الراسخون في العلم.

---

١ - سورة آل عمران آية : ٧.

٢ - سورة آل عمران آية : ٧.

٣ - سورة يوسف آية : ٣٦.

.....

وبناء على ذلك هو موافق لوقف من وقف على قوله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾[1] كقراءة ابن عباس ومجاهد وغيرهم، فمن وقف على "أولي العلم" يعني عطف "أولي العلم" على الله على لفظ الجلالة أراد بالتأويل في هذه الآية أي المعاني؟: التفسير، كأن معنى الكلام: وما يعلم تفسيره إلا الله والراسخون في العلم، واضح؟

يقول: كما نقل ذلك عن ابن عباس ومجاهد، يعني قراءة الوقف، وهي قراءة صحيحة –كما نقل ذلك عن ابن عباس ومجاهد ومحمد بن جعفر بن الزبير ومحمد بن إسحاق بن يسار وابن قتيبة الذي هو عبد الله بن مسلم المتوفى سنة مائتين وست وسبعين وغيرهم.

"وكلا القولين حق باعتبار" أي القولين؟ التفسير والحقيقة التي..، – ليس معنى القول الأول اللي هو المعنى الأول والمعنى الثاني، لا، وكلا القولين حق، أي: قراءة من قرأ بالوقف على لفظ الجلالة ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ ﴾[2] انتهى الكلام، ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾[3] فالواو هنا قالوا: وهنا على قراءة من قرأ بالوقف تكون عاطفة أو استئنافية؟ تكون استئنافية. ويكون "راسخون" مبتدأ، ابتدأ الكلام.. استأنف الكلام من جديد، وقراءة الوقف هي قراءة الجمهور، لكن لا تعارض بين القولين .

لو قلنا: إن التأويل ليس له إلا معنى واحد لكان هناك تعارض، كيف؟ جماعة يقولون: إن تأويله يعلمه الله والراسخون في العلم، وجماعة أخرى يقولون: لا يعلمه أولوي العلم.

لكن لما تبين أن التأويل له أكثر من معنى اتضح أن كلا القراءتين حق، فمن وقف أراد معنى، ومن وصل أراد المعنى الآخر، وبهذا تجتمع الأقوال ولا يكون هناك تعارض أو تناقض، نعم؛ ولهذا نقل عن ابن عباس هذا وهذا.

"وكلاهما حق" يعني: ابن عباس نفسه رضي الله عنه قرأ بالوقف، وقرأ بالوصل؛ فإذا قرأ بالوقف أراد المعنى الأول الذي سيأتينا، وإذا قرأ بالوصل أراد المعنى الثاني الذي هو التفسير.

---

١ – سورة آل عمران آية : ٧.

٢ – سورة آل عمران آية : ٧.

٣ – سورة آل عمران آية : ٧.

والمعنى الثالث: هو أن التأويل هو الحقيقة التي يؤول الكلام إليها، وإن وافقت ظاهره فتأويل ما أُخبر به في الجنة من الأكل والشرب واللباس والنكاح وقيام الساعة وغير ذلك هو الحقائق الموجودة أنفسها، لا ما يتصور من معانيها في الأذهان ويعبر عنه باللسان.

وهذا هو التأويل في لغة القرآن كما قال -تعالى- عن يوسف -عليه السلام- أنه قال: ﴿ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَـٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ ﴾[1] وقال -تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ ﴾[2] وقال -تعالى: ﴿ فَإِن تَنَـٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩ ﴾[3] وهذا التأويل هو الذي لا يعلمه إلا الله.

نعم، هذا هو المعنى الثالث، ولعل الشيخ يقول: هذا هو الأكثر ورودا في القرآن وهو أن التأويل يأتي ويراد به: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام.

وكما ذكرت بالأمس أن الكلام إما طلب أو إنشاء، والإنشاء هو الخبر، والطلب: إما فعل أمر أمر أو طلب ترك، فالأخبار مثل لو أقول لكم كما ذكرت بالأمس: غدا سيحضر زيد، هذا خبر، تأويله: حضور زيد، فعلا إذا حضر نقول: هذا تأويل الخبر الذي بالأمس، حقيقة وجود هذا الكلام في الخارج هو التأويل.

أما الطلب: فهو إما طلب فعل أو طلب ترك، لما أقول لأحدكم: قم، تأويل هذا الطلب القيام نفسه، لا تخرج تأويله عدم القيام الخروج واضح؟ .

فإذا قال الله ﷻ لرسوله: ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ ﴾[4] فما تأويل هذا؟ فعلُ النبي ﷺ تطبيق النبي ﷺ ولهذا عائشة تقول: رضي الله عنها كان يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، يتأول القرآن رضي الله عنها يطبق القرآن، واضح ؟

---

١ - سورة يوسف آية : ١٠٠.

٢ - سورة الأعراف آية : ٥٣.

٣ - سورة النساء آية : ٥٩.

٤ - سورة النصر آية : ٣.

.....

وإذا نهانا الله ﷻ عن الغيبة وعن النميمة فامتنعنا عن هذا الأمر فهذا تأويل هذا الطلب، واضح ولا ما هو واضح ؟

ضرب المؤلف على ذلك أمثلة يقول: والمعنى الثالث: أن التأويل هو الحقيقة التي يؤول الكلام إليها وإن وافق ظاهره، فتأويل ما أخبر به في الجنة من الأكل والشرب واللباس والنكاح وقيام الساعة وغير ذلك هو الحقائق الموجودة أنفسها.

بمعنى: الله ﷻ أخبرنا أن القيامة سيكون فيها كذا وكذا وكذا، وأن هناك جنة فيها أنهار من لبن وأنهار من عسل وأنهار من ماء، وفيها أشجار، نعم وفيها قصور وفيها حور، وأخبرنا عن النار وما فيها. تأويل هذه الأخبار هي الحقائق نفسها، هي حقيقة هذه الأمور، حقيقة ما في الجنة، حقيقة ما في النار، حقيقة ما في القيامة، لا ما يُتصور من معانيها في الأذهان .

أليس لأن الآن الله أخبرنا عن الجنة وما فيها، فعندنا تصور ذهني عن هذه الأمور وإلا لا؟ عندنا تصور عن أنهار الجنة، وعن قصور الجنة، وعن عذاب النار –أعاذنا الله وإياكم منها.

هناك تصور ذهني عنها، هذا التصور الذهني ليس هو التأويل، إنما التأويل هو عينها، حقيقتها، لا ما يتصور من معانيها في الأذهان ويُعبر عنه باللسان.

الله ﷻ عبر مثلا عن الأنهار أن فيه ا أنهار من لبن في الجنة، ونحن نقول: في الجنة أنهار من لبن، تأويل هذا الخبر هو ذات النهر الذي من لبن في الجنة.

وهذا هو التأويل في لغة القرآن كما قال –تعالى– عن يوسف : ﴿ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ ﴾[1] فيوسف أخبر في صغره أن الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا رآهم يسجدون له، هذا الآن خبر ولا واقع؟ خبر ما وقع منه شيء، لما تولى مُلك مصر ودخل أخوته وأبواه عليه وخروا له سجدا قال: ﴿ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ ﴾[2] الآن وقعت في الخارج ظهرت في العيان، هذا حقيقة تلك الرؤيا، فهذا تأويلها.

وقال –تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ

---

١ – سورة يوسف آية : ١٠٠.

٢ – سورة يوسف آية : ١٠٠.

.....

قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾[1] **الرسل جاءت للأمم أن هناك يوما آخر يجازى فيه الناس، يجازى فيه المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته، وهناك جنة ونار، هذه الأمور كذب بها بعض الأمم وقابلوا رسلهم بالتكذيب، فالله ﷻ يقول: انتظروا** ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴾[2] **إذا وقع فعلا يوم القيامة ماذا يقول هؤلاء المكذبون ؟** ﴿ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾[3] **هذا ما جاءت به الرسل وهذا ما أخبرنا به الرسل فعلا وقع كما أخبروه فهذا هو تأويل تلك الأخبار التي أخبرت بها الرسل.**

ثم مثّل أيضا المؤلف في قوله –سبحانه: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٥٩﴾ ﴾[4] **التأويل هنا يحتمل المعنى الثاني ويحتمل المعنى الثالث، يحتمل أن يكون المعنى: "ذلك خير وأحسن تفسيرا" كونكم رددتم هذا الأمر الذي تنازعتم فيه إلى الله والرسول تنازعتم في معناه، فهذا أفضل وأحسن من تفسيركم ومن اجتهاداتكم.**

ويحتمل أن يكون المعنى: الحقيقة، هذا حقيقة الإيمان أنك ترجع عند التنازع إلى الله ورسوله، وهذا التأويل هو الذي لا يعلمه إلا الله، حقيقة ما أخبر الله به عن الجنة وعن النار وعن نفسه من الأسماء والصفات، هذه الحقيقة هل يعلمها أحد من البشر؟ الجواب لا، فهذا هو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله المتوافق مع وقف من وقف على لفظ الجلالة، نعم.

---

١ – سورة الأعراف آية : ٥٣.

٢ – سورة الأعراف آية : ٥٣.

٣ – سورة الأعراف آية : ٥٣.

٤ – سورة النساء آية : ٥٩.

فتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد فرض الله بعلمها وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كمالك وغيره: الاستواء معلوم والكيف مجهول، فالاستواء معلوم يُعلم معناه وتفسيره ويترجم بلغة أخرى، وأما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله –تعالى.

إذن تأويل صفات الله ﷻ هي الحقيقة وهذه الحقيقة هي الكيفية التي استأثر الله بعلمها، وأمسك السلف عن تحديدها، فهم يثبتون الصفة ويعلمون معناها لكن الكيفية هي التأويل التي استأثر الله بعلمها يقول: فتأويل الصفات هي الحقيقة التي انفرد الله بعلمها، ما هي هذه الحقيقة؟ وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كمالك وغيره كالإمام ربيعة بن عبد الرحمن شيخ مالك كما سيأتي: الاستواء معلوم والكيف مجهول.

فالاستواء معلوم، يُعلم معناه ويفسر ويترجَم، فلو لم يكن معلوما –كما زعم المفوضة– لما جاز إيضاح معناه ولا ترجمة معناه، إنما العرب تعرف أن معنى الاستواء هو العلو والارتفاع، طيب، كيفية هذا الاستواء المضاف إلى الله ﷻ هو من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، نعم.

وقد روي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– كما ذكره عبد الرزاق وغيره في تفسيرهم عنه أنه قال: تفسير القرآن على أربعة أوجه: تفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يكفر يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله –عز وجل، من ادعى علمه فهو كاذب، وهذا كما قال –تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[1] وقال النبي –صلى الله عليه وسلم: يقول الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

نعم، يقول المؤلف: وقد روي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– ما ذكره عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة مائتين وإحدى عشر صاحب "المصنف" الإمام الحافظ وغيره في تفسيرهم، تفسيره مطبوع الآن ولا بأس أن نذكر هناك لطيفة يذكرها العلماء في ترجمة عبد الرزاق وإن لم تكن متصلة بالموضوع لكن نروح بها عن النفوس:

معلوم أن عبد الرزاق شيخ للإمام أحمد –رحمه الله، وقد رحل إليه الإمام أحمد ويحيى بن معين ليسمعا منه وبقي عنده معه الإمام أحمد مدة وأدرك معه عيد الفطر، فقال الإمام أحمد ليحيى بن معين: انظر إذا خرج الإمام عبد الرزاق فإن كبّر كبرنا وإن سكت سكتنا، يعني: في مسألة مشروعية التكبير في صبيحةاح يوم العيد قبل الصلاة.

فخرج وخرجا معه فما كبر وما كبرا، لما انقضى من الصلاة دعاهما للغذاء فسألهما قال: رأيت منكما عجبا! قالوا: ما رأيت؟ قال: أنكما لم تكبرا لما خرجتما إلى المصلى، فقالا له: إنا قد أحرزنا في أنفسنا أنك إن كبرت كبرنا وإن لم تكبر لم نكبر، وفقال: وأنا كذلك أحرزت في نفسي إن رأيتكما كبرتما كبرت وإن سكتما سكت.

لاحظوا يا إخوان هذا التكامل بين هؤلاء، بين أستاذ وتلاميذ بين أئمة في الواقع، في منتهى الأدب، في منتهى التقدير، علما بأن كل واحد منهم إمام بحد ذاته.

أيضا من لطيف ما يذكر في ذلك الإمام أحمد –رحمه الله– جاء وكان –يعني– يريد البقاء أياما محدودة يسمع من عبد الرزاق ويرجع إلى بغداد لكنه بقي عنده مدة فطالت المدة، ونفذت النقود التي معه، فأراد عبد الرزاق أن يعطيه شيئا من المال يتقوى به فأبى وخرج إلى السوق –رحمه الله– وبدأ يشتغل بنفسه، ماذا يشتغل؟

يحمّل للناس بأجرة، من هذا ؟! الإمام أحمد، في سبيل ماذا ؟ يبحث عن تجارة ؟ عن منصب ؟ ذهب يتسوح!! في سبيل هذا العلم.

---

١ – سورة السجدة آية : ١٧.

.....

ولهذا لا نتصور أن هذا العلم الذي وصل إلينا وصل إلينا بتلك السهولة التي يتصورها كثير من الناس، هذا العلم وصل إلينا عن طريق هؤلاء الصيارفة، هؤلاء الأئمة الذين بذلوا في سبيله أغلى ما يملكون. بذلوا أوقاتهم حياتهم جهدهم في سبيل أن يقدموا لنا هذا العلم غضا طريا. تعرضوا للأخطار، هجروا وتركوا بلادهم وأموالهم وأولادهم.

بقي بن مخلد صاحب المسند المشهور الذي يقول عنه الإمام الذهبي: أكبر مسند في الدنيا، رحل من بلده في الأندلس وهو شاب يفع في مقتبل العمر، رحل إلى المشرق ليطلب العلم، وما رجع إلى بلده إلا بعد مضي أكثر من أربعين سنة، يسمى رحالة الإسلام، رجع وقد شاخ وشاب، لكن رجع ومعه سبع وعشرون جملا محملة بالكتب التي كتبها بيده.

الإمام البخاري –رحمه الله– كتب تاريخ "التاريخ الكبير" الذي يعتبر نادرا في فنه، رحمه الله– كتبه على ضوء المصابيح؟ كتبه على ضوء القمر في الليالي القمرية.

هذه الأمور حقيقة تجعل عند ا المسلم الإحساس بقيمة هذا العلم وألا يستكثر الإنسان مهما بذل في سبيله، فهو من أجلّ العبادات بل عده الإمام أحمد أفضل من الجهاد في سبيل الله.

نعود إلى ما نحن فيه بيقول ما ذكره عبد الرزاق وغيره في تفسيرهم عنه عن ابن عباس أنه قال: تفسير القرآن على أربعة أوجه: تفسير تعرفه العرب من كلامها، وذلك مثل: غريب القرآن الذي لا يمكن أن يفهم إلا من خلال معرفة لغة العرب، ماذا أرادوا بهذا اللفظ؟ مثل: الزرابي، النمارق، الأحقاب، الشاهد أن هناك مؤلفات ألفت في غريب القرآن.

النوع الثاني: وتفسير لا يعذر أحد بجهالته؛ كالمعاني الشرعية المتعلقة بما يجب على العبد؛ كإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم، والحج، والتوحيد، فهذا لا يعذر أحد أنه يجهله،.

لا يمكن أن يقول إنسان: والله لا أفهم قول الله –عز وجل: ﴿ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[1] ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾[2] ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾[3] ﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ ﴾[4] فهذه مفهومة لعامة المسلمين.

---

١ – سورة الأنعام آية : ٧٢.

٢ – سورة طه آية : ١٤.

٣ – سورة الإخلاص آية : ١.

٤ – سورة الإخلاص آية : ٣.

.....

وتفسير يعلمه العلماء؛ كتفسير العام والخاص والمقيد والمطلق والناسخ والمنسوخ ونحو ذلك، فهذا لا يعلمه إلا العلماء، معلوم أن القرآن اشتمل على عام وخاص ومقيد ومطلق وناسخ ومنسوخ فمن يميز بين هذه الأمور ؟ أهل العلم. يقول لك: هذه الآية منسوخة بتلك الآية، هذه الآية مقيدة بتلك الآية، هذه الآية مخصصة بتلك الآية.

وتفسير لا يعلمه إلا الله ﷻ مَن ادعى علمه فهو كاذب، وما هو هذا التفسير؟ حقائق ما أخبر الله به، حقيقة ما أخبر الله به عن الجنة، حقيقة ما أخبر الله به عن النار، عن يوم القيامة، حقيقة ما أخبر الله به عن نفسه من الأسماء والصفات.

هذه الحقائق لا يعلمها إلا الله، استأثر الله بعلمها وضرب على ذلك مثالا في قوله: وهذا كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[1] لا يمكن لنفس أن تعلم حقيقة ما أخفاه الله ﷻ من نعيم الجنة .

واستدل على ذلك بما ثبت في الصحيحين في الحديث القدسي: 🕮 أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر 🕮 ولهذا ابن عباس يقول: ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء.

أخبر الله ﷻ أن في الجنة أنهار من لبن، ونحن نعلم ما هو اللبن، ليس كالعسل وليس كالماء، لكن حقيقة هذا اللبن الله أعلم به. إذا كان نوع من أنواع ماء الجنة من شرب منه لم يظمأ أبدا، فما الظن بالعسل ؟ ما الظن بالخمر ؟ ما الظن باللبن؟ الشاهد أن حقيقة حقائق هذه الأمور الأشياء مما استأثر الله بعلمه. نعم.

---

١ – سورة السجدة آية : ١٧.

الرد على المفوضة في الأسماء والصفات

وإن كنا نفهم معاني ما خوطبنا به ونفهم من الكلام ما قُصد إفهامنا فها هنا إياه كما قال – تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] وقال –تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ ﴾[2] فأمر بتدبر القرآن كله لا بتدبر بعضه.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما: أنهما كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا،.

وقال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس –رضي الله عنهما– من فاتحته إلى خاتمته، أقف عند كل آية أسأله عنها، وقال الشعبي: ما ابتدع أحد بدعة إلا وفي كتاب الله بيانها، وقال مسروق: ما قال أصحاب محمد ﷺ عن شيء إلا وعلمه في القرآن ولكن علمنا قصر عنه، وهذا باب واسع قد بسط في موضعه.

نعم، عاد المؤلف ليؤكد في الرد على هؤلاء المفوضة الذين يقولون: إن نصوص الأسماء والصفات لا يعلم أحد معناها، وأن معناها لا يعلمه إلا الله، قال: فهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، أي: حقائق الأمور، وإن كنا نفهم معاني ما خوطبنا به، بمعنى: إذا خاطبنا الله ﷻ بأن في الجنة قصورا وحورا وأنهارا فيها لبن وعسل وماء، يُفهم هذا أو لا يفهم ؟ يفهم، لكن حقيقته هي الغائبة.

كذلك إذا أخبرنا عن نفسه أنه سميع بصير وأنه مستو على العرش، وأن له رحمة وأنه يغضب وأنه يجيء يوم القيامة وأنه ينزل كل ليلة، نحن نفهم هذه المعاني، فنفرق بين السمع والبصر، ونعلم أن السمع يختلف عن البصر، كما أنا أن القدرة تختلف عن الإرادة، والنزول يختلف عن الصعود والعلو يختلف عن السفول .

ثم أورد المؤلف الدليل على أن كل ما في القرآن مفهوم المعنى، وأن ما خوطبنا به نفهم معناه، ورد على هؤلاء المفوضة الذين زعموا أن في القرآن ما لا يفهم معناه، استدل عليهم بقوله أو بالآيات التي فيها الأمر

---

١ – سورة محمد آية : ٢٤.

٢ – سورة المؤمنون آية : ٦٨.

.....

بتدبر القرآن، فقال –تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ ﴾[2] ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ ﴾[3] ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[4] ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[5] .

فالله أمر بتدبر القرآن أم بتدبر بعض القرآن ؟ نعم يا جماعة. هذه الآيات عامة أمرنا بتدبر القرآن كله، ولم يستثن من ذلك شيئا، ولو كان في القرآن ما لا يفهم معناه لكان الأمر بتدبره من باب اللغو الذي لا فائدة منه، بل من باب التعجيز ومن باب التكليف بما لا يطاق.

وهذا ينزه الله ﷻ عنه، كيف تأمرني بتدبر كلام لا أفهم معناه؟ هذا فيه تعجيز للعباد فيه تكليف لهم بما لا يستطيعون؛ لأن التدبر مستلزِم للفهم فإذا جئتني بكلام أعجمي وأنا لا أعرف حرفا من حروف كلام الأعاجم، ثم قلت لي: تدبر هذا الكلام، كان أمرك لي لغوا، أيش أتدبر كلاما ما أفهمه! لا بد أولا أن أفهم الكلام ثم أتدبر معناه .

فإذا أمرنا الله ﷻ بتدبر القرآن ولم يستثن من ذلك شيءئا، وفي مقدمة ذلك ما تضمن أسماءه وصفاته دل هذا على أن نصوص الصفات مفهومة المعاني أو غير مفهومة المعاني؟ مفهومة المعاني.

ثم استدل أيضا بأثر أبي عبد الرحمن السلمي الذي رواه الإمام أحمد وابن جرير والحاكم وصحح إسناده، قال: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن من الصحابة؛ عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما: أنهم كانوا – أي كان الصحابة– إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا.

الشاهد من الأثر: أن الصحابة تلقوا هذا القرآن وتعلموه من النبي ﷺ دون استثناء، فهموا معانيه وطبقوا

---

١ – سورة محمد آية : ٢٤.

٢ – سورة المؤمنون آية : ٦٨.

٣ – سورة النساء آية : ٨٢.

٤ – سورة النساء آية : ٨٢.

٥ – سورة ص آية : ٢٩.

.....

أوامره، امتثلوا أوامره وانتهوا عن نواهيه، فجمعوا بين العلم والعمل ولم يذكروا أن هناك آيات في القرآن أمرهم النبي ﷺ أن يضربوا عنها صفحا، قال: يتجاوزونها؛ هذه لا يفهم معناها، هذا كما يقوله هؤلاء المفوضة.

يقول: وقال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس –رضي الله عنهما– من فاتحته إلى خاتمته، أقف عند كل آية وأسأله عنها، وفي رواية أنه قال: ثلاث مرات أعرضه على ابن عباس آية آية، أما العرض العام فثبت عنه أنه قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاثين مرة، لكن الذي وقفه عند كل آية ثلاث مرات، ولم يستثن من ذلك شيئا، بمعنى: أن ابن عباس فسر له القرآن كاملا، ومجاهد يعتبر من أجل تلامذة ابن عباس .

يقول: وقال الشعبي عامر بن شراحيل المتوفى سنة مائة وأربع: ما ابتدع أحد بدعة إلا وفي كتاب الله بيانها، يريد أن يوضح أن القرآن اشتمل على كل شيء، فهؤلاء المعطلة وهؤلاء المفوضة القرآن جاء في الرد عليهم.

وقال مسروق: ما قال أصحاب محمد ﷺ عن شيء إلا وعلمه في القرآن، ولكن علمنا قصر عنه، بمعنى أن كل ما في القرآن مفهوم، وأن ما قاله الصحابة، إنما استندوا في ذلك إلى كتاب الله –عز وجل، نعم.

والمقصود هنا التنبيه على أصول المقالات الفاسدة التي أوجبت الضلالة في باب العلم والإيمان بما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم، وأن من جعل الرسول ﷺ غير عالم بمعاني القرآن الذي أنزل إليه ولا جبريل جعله غير عالم بالسمعيات لم يجعل القرآن هدى ولا بيانا للناس.

ثم هؤلاء ينكرون العقليات في هذا الباب بالكلية، فلا يجعلون عند الرسول ﷺ وأمته في باب معرفة الله ﷻ لا علوما عقلية ولا سمعية، وهم قد شاركوا في هذا الملاحدة من وجوه متعددة.

وهم مخطئون فيما نسبوه إلى الرسول ﷺ وإلى السلف من الجهل، كما أخطأ في ذلك أهل التحريف والتأويلات الفاسدة وسائر أصناف الملاحدة.

هذه هي اللوازم الباطلة المترتبة على قول المفوضة الذين سماهم الشيخ "أهل التجهيل"، فمن هذه اللوازم: أنهم لم يجعلوا القرآن هدى ولا بيانا للناس؛ لأن الكلام الذي لا يفهم هل يمكن أن يكون هدى وبيانا؟

ولهذا جردوا كتاب الله ﷻ عن أخص أوصافه، فالله أنزل هذا القرآن ليكون هدى للناس وبينات، فلازم مذهبهم أن القرآن ليس بهدى ولا بيان؛ لأنهم يزعمون أن الرسول ﷺ لا يعلم معاني هذه الآيات التي في الصفات ولا حتى جبريل، فالكلام الذي لا يفهم معناه لا يمكن أن يكون هدى؛ هذا اللازم الأول.

اللازم الثاني: أنكروا الجانب العقلي، دلالة العقل، في هذا الباب، باب الأسماء والصفات كلية، على النقيض تمامًا من أهل التأويل، أهل التأويل اعتمدوا على العقل كلية في هذا الباب، أولئك فألغو العقل تماما، ولهذا لا تستخدم عقلك، لا تستخدم فهمك ولا شيءئا، اقرأ هذه الآيات وأمِرّها كما جاءت دون فهم للمعنى، هذا اللازم الثاني. من اللوازم.

ولهذا قال: ولا يجعلون عند الرسول ﷺ وأمته في باب معرفة الله ﷻ لا علوما عقلية ولا سمعية، هذا اللازم الثالث: أنهم نفوا عن النبي ﷺ وأمته أن يكون عندهم شيء من العلم العقلي والسمعي في باب الأسماء والصفات.

.....

اللازم الرابع: على مذهبهم: أنهم شاركوا الملاحدة من وجوه متعددة، وأبرز ما شاركوهم في ذلك أيش الملاحدة؟ أهل التخييل شاركهم هؤلاء في ماذا ؟

مر علينا أهل التجهيل ومذهبهم، الشيخ يقول: من اللوازم الباطلة أن هؤلاء شاركوهم، شاركوهم في ماذا ؟ يعني حولها تدندن، أليس أهل التجهيل زعموا أن الرسول لا يفهم، منهم من قال أنه الرسول لا يفهم معناها، ومنهم من قال: فهم معناها لكن لم يعبر بذلك، وهذا غاية في الإلحاد، فهؤلاء شاركوا أهل التجهيل في هذا الجانب، ذلك كونهم جعلوا الرسول غير عالم بمعاني هذه النصوص التي جاء بها.

اللازم الخامس: أنهم نسبوا الرسول ﷺ والسلف الصالح إلى الجهل، إنسان يقرأ كلاما لا يفهم معناه فهو في حقيقة الأمر جاهل وليس بعالم، يقول: كما أخطأ بذلك أهل التحريف والتأويلات الفاسدة وسائر أصناف الملاحدة، أخطئوا في هذا الجانب، هؤلاء أخطئوا في جانب وأولئك أخطئوا في الجانب الآخر، نعم.

الإيمان بالسمعيات وبأن الله فوق العرش

ونحن نذكر من ألفاظ السلف بأعيانها، وألفاظ من نقل مذهبهم بحسب ما يحتمله هذا الموضع ما يُعلم به مذهبهم، روى أبو بكر البيهقي في الأسماء والصفات، بإسناد صحيح عن الأوزاعي قال: كنا -والتابعون متوافرون- نقول: إن الله -تعالى ذكره- فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته، فقد حكى الأوزاعي وهو أحد الأئمة الأربعة في عصر تابعي التابعين الذين هم: مالك إمام أهل الحجاز، والأوزاعي إمام أهل الشام، والليث إمام أهل مصر، والثوري إمام أهل العراق، حكى شهرة القول في زمن التابعين بالإيمان بأن الله فوق العرش وبصفاته السمعية.

وروى أبو بكر الخلال في كتاب السنة، عن الأوزاعي قال: سئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث، فقال: أَمرّوها كما جاءت، وروى أيضا عن الوليد بن مسلم قالت: سألت مالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد والأوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات، فقالوا: أمرّوها كما جاءت، وفي رواية قالوا: أمرّها كما جاءت بلا كيف.

فقولهم -رضي الله عنهم- أمروها كما جاءت رد على المعطلة، وقولهم: بلا كيف، رد على الممثلة.

والزهري ومكحول هما أعلم التابعين في زمانهم، والأربعة الباقون هم أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين، وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور أمر جهم المنكر لكون الله فوق عرشه والنافي لصفاته؛ ليعرف الناس أن مذهب السلف كان خلاف ذلك، ومن طبقتهم حماد بن زيد وحماد بن سلمة وأمثالهما.

نعم، الشيخ الآن -رحمه الله- بدأ في ذكر الآثار عن السلف في إثبات هذه الصفات الخبرية التي أنكرها هؤلاء المعطلة، وبدأ بقول الأوزاعي عبد الرحمن بن عمر المتوفى سنة مائة وسبع وخمسين: كنا والتابعون متوافرون

.....

نقول: إن الله –تعالى ذكره– فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته من الصفات الخبرية .

يقول: فقد حكى الأوزاعي وهو أحد الأئمة الأربعة في عصر تابعي التابعين، أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين أربعة هؤلاء الذين ذكرهم الشيخ: الأوزاعي، ومالك إمام أهل الحجاز، والليث إمام أهل مصر، والثوري إمام أهل العراق، والأوزاعي إمام أهل الشام، هذه هي أقطار العالم الإسلامي آنذاك.

فهؤلاء الأئمة كأنهم متفقون على ما ذكره الأوزاعي من أن الله على عرشه.. فوق عرشه، ومن إثبات الصفات التي ينكرها هؤلاء؛ ولهذا قال المؤلف: وبصفاته السمعية.. الصفات السمعية التي وردت من طريق السمع التي تسمى الصفات الخبيرية التي لا مجال للعقل في إثباتها كالوجه واليدين والاستواء والمجيء والنزول والرحمة والغضب ونحو ذلك.

هذه هي مدار النقاش بين أهل السنة وهؤلاء وجمهور المعطلة فهؤلاء أئمة الدنيا في وقتهم كانوا يثبتون ذلك دون أدنى تحرج ودون نكير من غيرهم.

ثم ذكر أن الخلال في كتابه "السنة" وكتابه هذا مطبوع، روى عن الأوزاعي أنه قال: سئل مكحول والزهري، وهما من التابعين عن تفسير الأحاديث التي جاءت في الصفات، فقالا: أمِرُّوها كما جاءت، بمعنى: لا تؤولوها كما أولها المعطلة، لا تقولوا: "استوى": استولى.

وليس معنى قولهما وقول غيرهما من الأئمة إذا قالوا: أمروها كما جاءت معناه: أنه لا يفهم معناها، لا؛ لأنه لو كان لا يفهم لها معنى لما قالوا: أمروها كما جاءت، لقالوا لنا: أمروها كما جاءت لكن إياكم أن تفهموا ما دل عليه ظاهرها. واضح ؟

ولهذا مما يبين ذلك أنهم في الآثار الأخرى قالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف، فلو كان كما يقول المفوضة: أنه لا معنى لها لما قيدوها بلا كيف، فالشيء الذي ليس له معنى لا يحتاج أن يقال بلا كيف. واضح ؟

يقول: وروي أيضا أي الخلال عن الوليد بن مسلم أنه قال: سألت مالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد والأوزاعي وهم أئمة تابعي التابعين عن الأخبار التي جاءت في الصفات فقالوا: أمروها كما جاءت، وفي

.....

رواية قالوا: أمرها كما جاءت بلا كيف، وعباراتهم هذه فيها رد على المفوضة، ورد على المعطلة ورد على أيضا على المشبهة أيضا.

إذن فكلامهم هذا رد على كل من ألحد في صفات الله ﷻ يقول: فقولهم –رضي الله عنهم– أمِرُّوها كما جاءت رد على المعطلة، وقولهم: بلا كيف رد على الممثلة، والكلام بمجموعه أيضا يتضمن الرد على المفوضة؛ لأن الكلام الذي لا معنى له ولا يفهم منه معنى لا يقال فيه: بلا كيف أو بكيف .

يقول: وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور أمر جهم المنكر لكون الله فوق عرشه والنافي لصفاته؛ ليعرف الناس أن مذهب السلف كان خلاف ذلك، .

يعني: الأوزاعي متى تكلم بهذا ؟ تكلم في وقت وقد ظهر قول جهم لئلا يقول لنا إنسان: لا، هم يريدون المعنى الذي قاله المعطلة، نقول: هذا الكلام قالوه للرد على الجهم بن صفوان زعيم المعطلة ومن تبعه في نفي الصفات ونفي العلو عن الله –عز وجل، فأوضحوا أن مذهب السلف خلاف ما جاء به الجهم بن صفوان، نعم.

روى أبو القاسم الأزجي بإسناده عن مطرف بن عبد الله، قال: سمعت مالك بن أنس إذا ذُكر عنده من يدفع أحاديث الصفات يقول: قال عمر بن عبد العزيز: سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله، ليس لأحد من خلق الله تغييرها ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا.

نعم، مالك –رحمه الله: إذا سمع أحدا يؤول هذه الصفات التي جاءت في القرآن وفي السنة يرد عليه بهذا الأثر المشهور عن عمر بن عبد العزيز –رحمه الله،: سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سننا.. ولاة الأمر مَن؟ الخلفاء الأربعة الذين قال فيهم النبي –صلى الله عليه وسلم: 📖 عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي 📖 فقولهم سُنة فيما وافقوا فيه قول الله وقول الرسول، وفيما لم يصلنا فيه شيء من كلام الله وكلام الرسول؛ لأن قولهم يعتبر سنة بنص هذا الحديث، ولا يقولون بقول إلا لفهمٍ من نص إما لم تدركه أفهامنا أو لم يصل إلينا.

الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله، ليس لأحد من خلق الله تغييرها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا.

فكأن الإمام مالك يقول لهؤلاء الذين دفعوا الصفات، نفوا عن الله الصفات، عطلوا عن الله الصفات: أنتم سلكتم سبيلا غير سبيل المؤمنين؛ فسبيل المؤمنين إثبات هذه الصفات، وهذا هو الوارد عن أصحاب النبي ﷺ الذي التمسك بهديهم استكمال لطاعة الله وقوة على دين الله، نعم.

وروى الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينة، قال: سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله –تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾[1] قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ المبين، وعلينا التصديق. وهذا الكلام مروي عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة من غير وجه.

نعم، هذا الأثر روي عن ربيعة، وروي عن أم سلمة، وروي عن مالك، أما الرواية عن أم سلمة ففيها مقال، أما ما أورده الشيخ هنا عن ربيعة شيخ مالك فهو ثابت رواه اللالكائي والبيهقي وغيرهما، وصحح إسناده شيخ الإسلام كما هو معنا الآن وفي مواضع أخر، وممن صححه من المعاصرين أيضا الشيخ ناصر –رحمه الله، وثبت أيضا عن الإمام مالك واشتهر عن الإمام مالك؛ ولهذا نسب له –رحمه الله.

وكلامهما في صفة الاستواء جعلها أهل السنة قاعدة عامة في كل الصفات، وسبحان الله! العبارة هذه كأنها من مشكاة النبوة، فعلا فيها من جوامع كلم: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة".

كلام متناسق، ثم يصلح قاعدة في كل صفة من صفات الله –عز وجل، قل مثل ذلك في الوجه: الوجه غير مجهول أو معلوم والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، العلو معلوم والكيف مجهورل، اليدين معلومة والكيف مجهول، الرحمة معلومة والكيف مجهول.

فقولهما –رحمهما الله : الاستواء غير مجهول بمعنى: أنه معلوم يفهم من حيث يفهم مراد المخاطب بكلامه، فإذا خاطبنا الله ورسوله بلفظ الاستواء علمنا أن الاستواء هو العلو والارتفاع، والكيف مجهول، نعم؛ لأنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا يمكن إدراكه بالعقل كيفية هذا الاستواء، كيف استوى ؟ الله أعلم، كيف يديه ؟ الله أعلم، كيف رحمته ؟ الله أعلم، كيف يغضب ؟ الله أعلم.

هو يغضب، والغضب ضد الرضا، فهو يغضب ويرضى، ونعلم معنى الغضب ونعلم معنى الرضا، لكن كيفية هذا الغضب ؟ الله أعلم.

لا يأتينا المعطل ويقول: الغضب هو غليان دم القلب ؟ نقول: هذا هو غضب المخلوق واللائق المخلوق، أما الخالق فالله أعلم بكيفية غضبه.

والإيمان به واجب، الإيمان بهذه الصفة.. بالاستواء: بالوجه واليدين بكل صفة ثبتت في الكتاب أو في السنة يجب

إثباتها، ويجب الإيمان بها على حقيقتها، والسؤال عنه عن إيش ؟ عن الكيفية بدعة، نعم.

---

١ – سورة طه آية : ٥.

وهذا الكلام مروي عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة من غير وجه، منها ما رواه أبو الشيخ الأصبهاني وأبو بكر البيهقي عن يحيى بن يحيى قال: كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل، فقال: يا أبا عبد الله، ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾[1] كيف استوى؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء، ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعا، فأمر به أن يُخرج.

فقول ربيعة ومالك: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، موافق لقول الباقين: أمروها كما جاءت بلا كيف، فإنما نفوا علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة .

نعم كما قلت: الأثر هذا مروي عن ربيعة، ولعل الإمام مالك أيضا قد استخدمه في مقابل هذا الرجل الذي لمس عنده مبدأ بدعة؛ وذلك أنه سأل عن أصل الاستواء أم كيفية الاستواء ؟ عن الكيفية، قال له : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾[2] كيف استوى ؟ فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرُحَضَاء، والرُّحضاء هو العرق وذلك لشدة السؤال، لماذا ؟ لعظم المسؤول عنه، والإمام مالك كما هو معلوم مهيب –رحمه الله– في دروسه، ثم رفع رأسه وأجاب بهذا الجواب الشافي الكافي.

وقوله: السؤال عن الكيفية بدعة؛ لأنه ليس له أصل في الكتاب ولا في السنة، ليس عندنا دليل في الكتاب والسنة عن كيفية هذه الصفات، ولا هو أيضا مما يمكن معرفته بالعقل، فأصبح السؤال عنه بدعة ؟ تسأل عن شيء لا يمكن معرفته.

ولما لمس فيه هذا الجانب أمر به فأخرج، يقول: فقول ربيعة ومالك: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، موافق لقول الباقين: أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف، يعني: كأن السلف متفقون، لكن اختلفت عباراتهم.

الجميع متفق على إثبات أصل الصفة مع نفي العلم بكيفية الصفة، لكن لا يفهم من كلامهم هذا لا من قريب ولا من بعيد أنهم ينفون حقيقة الصفة، وإلا لقال الإمام مالك وقال ربيعة: الاستواء غير معلوم، لو كانوا يريدون عدم العلم بحقيقة الصفة لأجابوا فقالوا: الاستواء غير معلوم، لكنهم يقولون الاستواء غير مجهول.

وفي رواية: الاستواء معلوم، إنما المجهول هو الكيفية، وهذا هو مذهب أهل السنة يثبتون الصفة لكن يكِلُون

---

١ – سورة طه آية : ٥.

٢ – سورة طه آية : ٥.

علم الكيفية إلى الله –عز وجل، نعم.

ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله، لما قالوا الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ولما قالوا أمروها كما جاءت بلا كيف، فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلوما، بل مجهول بمنزلة حروف المعجم، وأيضا فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية، إذ لم يفهم من اللفظ معناه، وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبتت الصفات .

نعم، يعني الإنسان الذي لا يثبت الصفة ليس بحاجة أن تقول له بلا كيف؛ ولهذا المعطلة لا يعرفون هذه الكلمة، لماذا؟ لأنهم لا يثبتون أصل الصفة، أما مذهب السلف لما كانوا يثبتون الصفة احتاجوا إلى نفي العلم بالكيفية بلا كيف، أثبت لكن لا تكيف، نعم.

النفاة لصفات الله ﷻ

وأيضا فإن من ينفي الصفات الخبرية، أو الصفات مطلقا لا يحتاج أن يقول: بلا كيف، فمن قال: إن الله سبحانه ليس على العرش لا يحتاج أن يقول بلا كيف، فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا: بلا كيف .

نعم، الذي ينفي الصفات الخبرية، أو ينفي الصفات سابقا، وهي التي وردت عن طريق السمع، كما ذكرت سابقا، أو ينفي الصفات مطلقا، كما هي الحال عند الجهمية والمعتزلة لا يحتاج أن يقول: بلا كيف، فلو كان السلف ينفون الصفات، كما يزعم هؤلاء، لما احتاجوا أن يقيدوا ذلك، بنفي الكيفية، فالذي يقول: الله ليس بمستو على العرش، لا يحتاج أن تقول: بلا كيف، الله ليس له وجه، لا يحتاج أن تقول: بلا كيف، نعم.

إثبات صفات الله ﷻ على ما جاءت عليه

وأيضا فقولهم: أمروها كما جاءت، يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه، فإنها جاءت ألفاظا دالة على معانٍ، فلو كانت دلالتها منفية، لكان الواجب أن يقال: أمروا ألفاظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد، أو أمروا ألفاظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة، وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت، ولا يقال حينئذ: بلا كيف، إذ نفي الكيفية عن ما ليس بثابت لغو من القول .

نعم، وهذا الكلام رد على المؤولة وعلى المفوضة، الآن المفوضة والمؤولة كلهم قد يحتجون بما تشابه، أو بكلام السلف هذا، ويفسرونه حسب مذهبهم، فالشيخ يبين أن أقوال السلف هذه، تدل على إثبات الصفات حقيقة، مع نفي العلم بالكيفية؛ ولهذا يقول: فقولهم أمرها كما جاءت يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه، دلالتها تدل على إثبات حقيقة الصفات، قال الله ﷻ ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[1] .

هذه الآية تدل على أن الله مستو على العرش، إبقاء الدلالة، ليس كما يزعم المفوضة، ليس لها دلالة، ولا كما يزعم المؤولة، أن دلالتها ليست هذا المعني الذي يظهر منها، إنما لها معنى آخر، لا. فإنها جاءت ألفاظا دالة على معاني، هذه الألفاظ ألفاظ النصوص دالة على معاني هذه الصفات، يعني ليست ألفاظا مجردة كما يزعم المفوضة، فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال، يعني لو كان هذه الألفاظ ليس لها دلالة كما يزعم هؤلاء، لقال السلف: أمروا ألفاظها مع اعتقاد أن مفهومها، أن المفهوم منها غير مراد، ولما لم يرد عن أحد منهم، مثل هذا الكلام دل على أنهم يثبتون ألفاظ هذه النصوص، ويثبتون المعاني التي دلت عليها هذه الألفاظ، خلافا لمذهب هؤلاء وأولئك، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

ترجمة الإمام الذهبي

قبل أن نبدأ في الأسئلة، ذكرت لكم بالأمس أني سأذكر لكم شيئا من ترجمة الإمام الذهبي، وكلامه في شيخ الإسلام، يقول –رحمه الله– في كلام طويل: وصار من أكابر العلماء في حياة شيوخه، وله المصنفات الكبار التي صار بها الركبان، ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس وأكثر، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين، من صدره في أيام الجمع، وكان يتوقد ذكاء، وسماعاته من الحديث كثيرة، وشيوخه أكثر من مائتي شيخ،

---

١ – سورة الأعراف آية : ٥٤.

.....

ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى، وحفظه للحديث ورجاله وصحته وسقمه، فما يلحق فيه، وأما نقله للفقه، ومذاهب الصحابة والتابعين، فضلا عن المذاهب الأربعة، فليس له فيه نظير، وأما معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام، فلا أعلم له فيه نظيرا .

وقال أيضا: كان آية في الذكاء وسرعة الإدراك، رأسا في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف، بحرا في النقليات، هو في زمانه فريد عصره علما وزهدا .

إلى أن قال: وقرأ وحصل وبرع في الحديث والفقه، وتأهل للتدريس والفتوى، وهو ابن سبع عشرة سنة، وتقدم في علم التفسير والأصول، وجمع علوم الإسلام أصولها وفروعها، ودقها وجلها، سوى علم القراءات، فإن ذكر التفسير فهو حامل لوائه، وإن عد الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق، وإن حضر الحفاظ نطق وخرسوا، وسرد وأبلسوا، واستغنى وأفلسوا، وإن سمي المتكلمون، فهو فردهم وإليه مرجعهم، وإن لاح ابن سينا يقدم الفلاسفة، فلهم وتيسهم، وهتك أستارهم، وكشف عوارهم، وله يد طولى في معرفة العربية والصرف واللغة، وهو أعظم من أن يصفه كلمي، أو ينبه على شأوه قلمي.

ثم قال: وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتاب والسنة والمسن،د بحيث يصدق عليه أن يقال كل حديث لا يعرفه ابن تيمية، فليس بحديث، ولكن الإحاطة لله، غير أنه يغترف من بحر، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي .

وقال: فلو حلفت بين الركن والمقام، لحلفت أني ما رأيت –يعني مثله– لا والله ما رأى هو مثل نفسه في العلم، انتهى كلامه .

هذا كلام الإمام الذهبي، أنا أقول هذا الكلام معاشر الأخوة؛ لأننا الآن في وقت بدأنا نسمع من يشغب على هذا الإمام، ويبرز مثل هذه الأمور، التي جزء منها مكذوب، وليس القصد ذات الرجل، إنما القصد ما جاء به هذا الرجل؛ ولهذا في زمن الفتن، نعم. يمتحن الناس بمحبة الأئمة، ففي زمن الإمام أحمد كان السلف يقولون: إذا رأيت الرجل يبغض أحمد، فاعلم أنه مبتدع، نعم. نحن لا ندعي العصمة في ابن تيمية، ولا في الذهبي، نقول: كل منهم يؤخذ من قوله ويرد، وكل منهما جائز عليه الخطأ، بل واقع منه فعلا؛ لأن الكمال لله، والعصمة لرسله، ولكن ينبغي أن نتنبه إذا جاءنا مبتدع يريد الطعن في أئمتنا، أن نأخذ الحذر والحيطة، نعم.

س: هذا أحسن الله إليكم، يسأل عن بعض الكتيبات التي يكون عنوانها الجنة أو النار في وصفها، ويرسم عليها أشجار أو نار، ما حكم هذا ؟

ج: هذا حقيقة فيه توسع، وفيه نوع من التألي، ونوع من تأويل هذه الأخبار، التي لا يعلم تأويلها إلا الله ﷻ

.....

أن يصور الإنسان بعض ما سيحدث يوم القيامة في صور محسوسة، في رسومات أو نحو ذلك، هذا لا يجوز، وإن قال: أنا لا أقصد حقيقة هذه الأمور، ولكن نقول: هذه تقدح في نفوس القراء شيئا من الصورة الحقيقة، وحقائق هذه الأمور لا يعلمها إلا الله، فلا يجوز تصوير الغيب بصورة محسوسة، نعم.

س: أحسن الله إليكم، يقول: أنا قدمت من بلاد غير هذه البلاد والمدينة التي نحن فيها كان فيها مدرسة لأهل السنة والجماعة، ومدرسة لأهل البدعة، أي ما يعرف بطائفة الأحباش، ولكن أغلقت مدرستنا، مدرسة أهل السنة والجماعة، من قبل الحكومة حسدا من أنفسهم، وبقيت مدرسة الأحباش، والسؤال هل يجوز أن نرسل أطفالنا إلى مدرسة الأحباش، بدلا من المدارس العامة، علما أنهم يعلمون الأطفال بأن الله موجود في كل مكان، وما شابه ذلك، والمدارس العامة يعلمون الأطفال بعقيدة الإلحاد والتنصير، يزعمون أنهم يعطون الأطفال بهذا للعلم وليس للتنصير .

ج: نعم، طائفة الأحباش هذه الفرقة التي ظهرت في هذا العصر المتأخر، أتباع عبد الله الحبشي الهروي، عليه من الله ما يستحق، هذه طائفة من الطوائف الضالة الفاسدة، وجل ما ذهبوا إليه هو مستقى من عقيدة أهل الحلول والاتحاد، وأخذوا من كل شر طرف، ووجدوا من يساندهم بالمال والجاه، ووجدوا دولا تفتح أبوابها لهم، واغتر بهم كثير من الجهال، وذلك أن المذهب الذي جاءوا به يوافق شهوات الناس، يغلب عليه الجانب الإباحي.

وعلى كل حال، فلا يجوز أن يرسل الإنسان ابنه للدراسة في هذه المدارس، التي يقوم عليها هؤلاء، ويدرسون فيها مناهجهم، ومن ألحق ابنه في هذه المدارس، فقد خان هذه الأمانة التي حمل إياها، فليتق الله ﷻ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا، ويحاول المسلمون أو الجالية المسلمة في هذه البلاد أن يسعوا جاهدين لإيجاد مدرسة على وفق المنهج الصحيح، فإن تيسر ذلك، وإلا فليسعوا إلى إرسال أبنائهم إلى أقرب مدينة أو دولة، يمكن أن يدرسوا فيها، إن لم يتيسر ذلك فليمسكوا أبناءهم في بيوتهم، وليدرسوهم بأنفسهم، وليقيموا لهم حلقات في المساجد، وسيفرج الله عنا وعنهم إن شاء الله، نعم.

س: أحسن الله إليكم، يقول حفظك الله ورعاك، قلت: إن التدبر زائد عن الفهم، فكيف نتدبر آيات ومعاني الصفات، جزاكم الله خيرا ؟

ج: لا أقول التدبر مستلزم للفهم، يعني لا يمكن أن تتدبر كلاما لا تفهم معناه، فتدبر آيات الصفات وأحاديث الصفات، هو أن تفهم معناها الشرعي الذي أراده الله ورسوله، وأن تتعبد الله ﷻ بهذه الصفات، تدعوه بها، بهذه الأسماء، أن يكون لهذه الصفات أثر في عبادتك، أثر في تعاملك مع الله ﷻ أثر في تعاملك

مع

.....

عباد الله ﷻ فالذي يؤمن أن الله ﷻ يسمعه ويطلع عليه يراه، لا بد أن يراقبه في كل ما يفعل أو يذر؛ ولهذا لما حبس عمر الناس بسبب امرأة، مسكته في الطريق، وهو في أثناء الخلافة، وطال وقوف الناس وهو يسمع ويتفاهم مع المرأة العجوز، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست الناس بسبب هذه المرأة، فغضب والتفت عليه، وقال: اسكت، هذه المرأة التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، ألا يسمع لها عمر، والله لو بقيت إلى الصباح، لوقفت معها، نعم.

س: أحسن الله إليكم، يقول هل الحروف المقطعة مما فسره الصحابة، وابن عباس ومجاهد ؟

ج: الخلاف في هذا بين العلماء ظاهر في قضية الحروف المقطعة، التي في أوائل السور ﴿ أَلَمۡ ﴾[1] ﴿ حمٓ ۝١ ﴾[2] ﴿ صٓ ﴾[3] ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ﴾[4].

هل هي من الحروف التي فسرها السلف، أو من الحروف التي وكل السلف علمها إلى الله، والآراء فيها كثيرة جدا، لكن من العلماء من قال: إنها مما وكل علمه إلى الله، لكن لا تعد آيات، ليست كلمات هي حروف، والتحدي والكلام على الكلام، وليس الحروف، لكن رأي شيخ الإسلام –رحمه الله– يرى أن هذه الحروف لها معنى، وأنها حروف من جنس كلام العرب، تحدى الله بها العرب، هذه حروف جاءت من جنس كلامكم، الذي تتكلمون به؛ ولهذا يقول غالبا بل كل الآيات أو السور التي جاءت في مطلعها، هذه الحروف المقطعة يعقبها ذكر القرآن، إلا في سورتين، وذكر أن هاتين السورتين أيضا تضمنتا ذكر القرآن، فهي حروف تحدى الله بها العرب، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

---

١ – سورة البقرة آية : ٣٣.

٢ – سورة غافر آية : ١.

٣ – سورة ص آية : ١.

٤ – سورة مريم آية : ١.

مذهب الجهمية في صفات الله ﷻ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والسلام على رسول الله، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه وسلم ومن والاه، وروى الأثرم في السنة، وأبو عبد الله ابن بطة في الإبانة، وأبو عمر الطلمنكي وغيرهم بإسناد صحيح عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون، وهو أحد أئمة المدينة الثلاثة الذين هم: مالك بن أنس، وابن الماجشون بن أبي ذئب، وقد سئل فيما جحدت به الجهمية، أما بعد:

فقد فهمت ما سألت عنه فيما تتايعت الجهمية، ومن خالفها في صفة الرب العظيم، الذي فاقت عظمته الوصف والتقدير، وكلت الأنفس عن تفسير صفته، وانحسرت العقول دون معرفة قدره، ردت عظمته العقول، فلم تجد مساغا فرجعت خاسئة، وهي حسيرة، وإنما أمروا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدير، وإنما يقال: كيف لمن لم يكن ثم كان، فأما الذي لا يحول ولا يزول، ولم يزل وليس له مثل، فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو، وكيف يعرف قدر من لم يبدأ، ومن لم يمت، ولا يبلى، وكيف يكون للصفة شيء منه حد أو منتهى، يعرفه عارف أو يحد قدره واصف، على أنه الحق المبين، لا حق أحق منه، ولا شيء أبين منه، الدليل على عجز العقول عن تحقيق صفته، عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه، لا تكاد تراه صغرا يحول ويزول، ولا يرى له سمع ولا بصر، لما يتقلب به، ويحتال من عقله أعضل بك، وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين، وخالقهم وسيد السادات وربهم، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[1] .

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة، وأتم التسليم .

---

١ – سورة الشورى آية : ١١.

.....

ذكر الشيخ –رحمه الله– هذا الأثر الثابت عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون، المتوفى سنة مائة وأربعة وستين، وهو أحد فقهاء المدينة، بل إنه نودي بأمر الخليفة المنصور ألا يفتي بالمدينة إلا مالك وابن الماجشون –رحمه الله–، يقول: وقد سئل فيما جحدت به الجهمية، أما بعد:

فقد فهمت ما سألت عنه فيما تتايعت، التتايع هو ركوب الأمر على خلاف الناس، والوقوع في الشر من غير فكر ولا روية، الإنسان الذي يسلك سبيلا يخالف فيه جمهور الناس، ويقع في الشر من حيث لا يدري، يقال له تتايع، فيما تتايعت الجهمية ومن خالفها، في صفة الرب العظيم، الذي فاقت عظمته الوصف والتقدير، وكلت الألسن عن تفسير صفته، وسيأتي أن معنى تفسير الصفة التفسير الباطل، أو بيان حقيقة الصفة، أو بيان كيفية الصفة، وانحسرت العقول دون بيان معرفة قدره، ردت عظمته العقول، فلم تجد مساغا، فرجعت خاسئة وهي حسيرة، بمعنى أن الإنسان لو حاول أن يقحم عقله فيما غاب من صفات الله ﷻ فلن يعود عليه العقل إلا بالضرر؛ لأن ذلك فوق طاقة العقل، وسيضرب مثالا على ذلك، يعني يقرب المسألة بميزان حسي، أن العقول تعجز عن تحديد حقيقة بعض الأشياء الصغيرة المخلوقة، فإذا عجزت عن تحديد هذا الأمر فعجزها عنت، تحديد حقيقة صفة الرب من باب أولى، والشيخ –رحمه الله –كثيرا ما يضرب على ذلك بالروح، فهذه الروح التي هي أقرب شيء للإنسان، وبها قوام حياته، وثبت أنها تصعد وتنزل، وتخاطب فتسمع، وبها يكون الإنسان كائنا حيا، وتسل من جسمه، أو تنتزع عند الموت، ومع ذلك لا يستطيع العقل عن تحديد كنهها.

فإذا كان العقل عاجزا عن تحديد حقيقة هذا الشيء القريب من الإنسان، المخلوق مثله، فعجز العقل عن تحديد حقيقة صفة الرب، الذي فاقت عظمته العقول، من باب أولى، يقول: وإنما أمروا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدي،ر الشيء المخلوق أمامك والمقدر، المعروف له حد وله نهاية، أمرت بالتفكر فيه، كخلق السماوات والأرض والجبال والبحار، وخلق الإنسان، لكن هذا الشيء الذي غاب عن أنظارنا، ولم تدركه عقولنا، ينبغي أن تقف العقول عند حدها؛ لأن الإنسان إذا استرسل مع عقله كما أخبر النبي ﷺ سيورده المهالك، من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ إلى أن يقول: من خلق الله؟ .

وإنما يقال: كيف لمن لم يكن ثم كان، يسأل بكيف للشيء المخلوق، الذي كان عدما ثم وجد، ومآله إلى الفناء، يقول: فأما الذي لا يحول ولا يزول، ولم يزل وليس له مثل، فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو؛ ولهذا قلت لكم مرارا: إن المعطل إذا سأل عن كيفية الصفة، ينبغي أن نعكس السؤال عليه، إذا قال: كيف استوى؟ نقول له: كيف الله؟ كيف هو؟ إذا قال: الله أعلم، نقول له أيضا: الله أعلم، بكيفية الاستواء، فالعلم بكيفية الصفات

.....

فرع عن العلم بكيفية الذات، فإذا جهلت كيفية الذات، فالجهل بكيفية الصفة من باب أولى .

فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو، وكيف يعرف قدر من لم يبدأ، ومن لم يمت ولا يبلى، الله ﷻ ليس له بداية، فهو الأول السابق المتقدم على جميع المخلوقات، مهما افترض العقل من أزمنة مضت، فالله سابق لها، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، كما فسر ذلك النبي ﷺ في دعائه ﴿ اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ﴾ .

ومن لم يمت ولا يبلى، وكيف يكون لصفة شيء منه حد أو منتهى، يعرفه عارف أو يحد قدره واصف، على أنه الحق المبين لا حق أحق منه، ولا شيء أبين منه، الدليل على عجز العقول عن تحقيق صفته، عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه، لا تكاد تراه صغرا يحول ويزول، نعم. هناك من المخلوقات التي بين أيدينا، تعجز العقول عن تحديد كنهها، فإذا كان هذا المخلوق الذي بين يديك، فالخالق من باب أولى .

لما يتقلب به، ويحتال من عقله أعضل بك، أي أعضل استغلظ، ووقف الإنسان أمامه حائرا، أعضل بك، وأخفى عليك، مما ظهر من سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين، نعم.

الإيمان بما وصف الله ﷻ به نفسه

تبارك الله أحسن الخالقين وخالقهم، وسيد السادات وربهم، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[1] .

اعرف -رحمك الله- غناك تكلف صفة ما لم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف بها، إذا لم تعرف قدر ما وصف، فما تكلفك علم ما لم يصف، هل تستدل بذلك على شيء من طاعته، أو تنزجر به عن شيء من معصيته .

بمعنى أن الإنسان إذا أراد أن يقحم عقله بهذا الأمر، لن يعود عليه بالنفع لا في دينه، ولا في دنياه من باب أولى؛ ولهذا قال المؤلف: محاولتك إقحام العقل في هذا الأمر الذي خفي وأخفاه الله سبحانه وتعالى عن عباده، انظر هل هذا سيكون سببا لزيادة طاعة الله، أو سببا للحد من الوقوع في معصيته، الجواب لا، إنما الذي يكون سببا في زيادة طاعة الله ﷻ وسببا في عدم الوقوع في معصيته هي التفكر والتأمل فيما ظهر لك، فيما أخبر الله به عن نفسه، نعم. المؤمن يتفكر ويتأمل في صفات الله ﷻ هذا الذي ظهرت لك تتأمل في عظمة الله، تتأمل في قدرة الله، في سمع الله، في بصر الله، في حياته، أما أن يتأمل، أو يحاول أن يتفكر في أمر غائب عنه، وليس فيه أثارة من علم، لا عن الله، ولا عن رسوله، فهذا لن يزيد الإنسان إلا بعدا عن الله سبحانه وتعالى، نعم.

---

١ - سورة الشورى آية : ١١.

الرد على الجهمية النفاة لصفات الله ﷻ

فأما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقا وتكلفا، فقد استهوته الشياطين في الأرض حيران، فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف الرب، وسمى من نفسه، بأن قال: لا بد إن كان له كذا من أن يكون له كذا، فعمي عن البين بالخفي، وجحد ما سمى الرب من نفسه، بصمت الرب عما لم يسم منها، فلم يزل يملي له الشيطان حتى جحد قول الرب ﷻ ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[1] .

فقال: لا يراه أحد يوم القيامة، فجحد والله أفضل كرامة لله، التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة، من النظر إلى وجهه ونظرته إياهم، ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[2] .

وقد قضى أنهم لا يموتون فهم بالنظر إليه ينظرون .

نعم، فهو يرد على الجهمية النفاة، ويبين أن السبب في جحدهم وتعطيلهم، هذه الشبه التي أوردوها ويوردونها، أنه يلزم من إثبات كذا أن يكون كذا، يقولون: يلزم من إثبات الاستواء أن يكون الله جسما والأجسام متماثلة، يلزم من إثبات السمع والبصر التشبيه، يلزم من إثبات العلو التحيز، ثم يأتون بهذه اللوازم الباطلة، ويبنون عليها نفي الصفات، هذا هو الذي أوقعهم في هذا التعطيل، لكنهم لو وقفوا عند النص، ووقفوا عند ما حد لهم ما وقعوا في هذا الباطل .

يقول: فعمي عن البين بالخفي، عمي عن البين، ما هو الشيء البين ؟ هذه النصوص هي التي أثبتت هذه الصفات نصوص واضحة بينة، لا لبس فيها ولا غموض؛ ولهذا لم يستشكلها الصحابة لما سمعوها من النبي ﷺ ولم يستشكلها التابعون لما سمعوها من الصحابة، ولم يستشكلها تابعو التابعين، لما سمعوها من التابعين، وإنما استشكلها هؤلاء بهذه الشبه الخفية، وجحد ما سمى الرب من نفسه، جحد هذه الأسماء وهذه الصفات، التي سمى الله بها نفسه .

بصمت الرب عما لم يسم، منها إطلاق الصمت على الله تعالى هو من باب الإخبار، وإنما الذي يوصف

---

١ – سورة القيامة آية : ٢٢-٢٣.

٢ – سورة القمر آية : ٥٥.

.....

الله ﷻ به السكوت، والسكوت كما قال شيخ الإسلام وصف الله ﷻ بالسكوت، ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، وقد جاء في ذلك أحاديث كثيرة منها ﷺ وسكت عن أشياء رخصة لكم ليس بنسيان، فلا تبحثوا عنها ﷺ والحديث الآخر ﷺ وما سكت عنه فهو عافية، وما سكت عنه فهو مما عوفي له، أو مما عفي عنه ﷺ .

الشاهد أن إطلاق عبد العزيز بن الماجشون لفظ الصمت على الله ﷻ هذا هو من باب الإخبار، وباب الإخبار باب واسع، لكن الذي ورد به النص السكوت .

يقول: فلم يزل يملي له الشيطان حتى جحد قول الله ﷻ ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[1] .

وهذا كما عرفنا مما جحدته الجهمية والمعتزلة، جحدت رؤية الله ﷻ يوم القيامة .

فقال: لا يراه أحد يوم القيامة، فجحد والله أفضل كرامة التي أكرم بها أوليائه يوم القيامة، من النظر إلى وجهه، ونظرته إياهم ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[2] .

لا شك أن أعظم ما يؤتاه المؤمنون يوم القيامة، النظر إلى وجه الله الكريم، بنص قول الله ﷻ ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[3] .

فسرت الزيادة، بأنها النظر إلى وجه الله، ليس هناك شيء فوق نعيم الجنة إلا النظر إلى وجه الله، وهذا لما جاء الزمخشري، والزمخشري معروف أنه معتزلي في تفسيره الكشاف، عند قوله: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[4] .

في سورة يونس، قال وأي زيادة أعظم من نعيم الجنة؛ لأنه ينكر رؤية الله ﷻ أيضا في الحديث إذا كشف

---

١ – سورة القيامة آية : ٢٢-٢٣.

٢ – سورة القمر آية : ٥٥.

٣ – سورة يونس آية : ٢٦.

٤ – سورة يونس آية : ٢٦.

الحجاب في الموعد الذي بين أهل الجنة وبين الله ﷻ إذا كشف الحجاب بينهم وبينه، في الحديث ☜ فما أعطوا

.....

شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ .

ثم تلا النبي ﷺ **هذه الآية** ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ ﴾[1] **نعم.**

١ – سورة يونس آية : ٢٦.

رؤية الله تعالى للمؤمنين في الآخرة

إلى أن قال: وإنما جحد رؤية الله يوم القيامة، إقامة للحجة الضالة المضلة بأنه قد عرف إذا تجلى لهم يوم القيامة، رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين، وكان له جاحد .

بمعنى أن المؤمنين إذا رأوا الله ﷻ يوم القيامة، لا شك أنهم سيرونه بالصفات التي وصف نفسه بها؛ ولهذا في الحديث الطويل الذي في عرصات القيامة، فيأتيهم في صورة غير التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، يقول: هؤلاء جحدوا رؤية الله –عز وجل–؛ لأنهم لو أثبتوا الرؤية، لعلموا أن المؤمن سيرى هذه الصفات، التي جحدها هؤلاء؛ ولهذا يقول: إذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين، وكان هذا المعطل له جاحدا، أي رأوا هذه الصفات التي ذكر لهم في كتابه، نعم.

حديث رؤية الله في الآخرة

وقال المسلمون: ﷺ يا رسول الله هل نرى ربنا؟ فقال رسول الله ﷺ هل تضارون في رؤية الشمس، ليس دونها سحاب، قالوا: لا، قال: فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر، ليس دونه سحاب، قالوا: لا، قال: فإنكم ترون ربكم كذلك ﷺ .

نعم، هذا الحديث المتفق عليه، صريح في إثبات رؤية الله ﷻ يوم القيامة، فالصحابة –رضي الله عنهم– سألوا النبي ﷺ هل نرى ربنا؟ فماذا أجابهم؟ هل عاتبهم كما عاتب الله أصحاب موسى؟ الجواب: لا، بشرهم وأخبرهم أنهم سيرونه يوم القيامة، وضرب لهم مثالا في آلاء الله في خلق الله –عز وجل–؛ لأنه جاء بحديث آخر، أن بعض الصحابة قالوا: كيف وهو واحد؟ ونحن جمع، يعني هذا أحيانا بالمقاييس البشرية يستحيل، إذا كان الشيء الذي سينظر إليه واحدا، والذي سيراه لا نقول آلافا، ملايين من البشر، فبعض الصحابة استشكل هذا الأمر، فأراد النبي ﷺ أن يقرب هذا بمثال في آلاء الله، في خلق الله، قال: هذه الشمس هل تضارون، هل يصيبكم الضرر في رؤيتها، بسبب الازدحام، وهذا القمر، هل يصيبكم الضرر في رؤيته ؟ الجواب: لا، ﷺ قال: فإنكم سترون ربكم كذلك ﷺ .

طيب. لو قال قائل: هذا تشبيه لله ﷻ بالشمس والقمر، والجواب. وهذا ما قاله المعطلة، قالوا: أنتم تستدلون بالأحاديث أخبار الآحاد، التي فيها تشبيه الله ﷻ بالشمس والقمر، فالجواب هذا الحديث ليس فيه تشبيه؛ لأمرين اثنين :

الأمر الأول: أن السؤال الذي جاء من الصحابة، سؤال عن ماذا ؟ عن الرؤية، فهنا إذن الجواب عن الرؤية، فتشبيه رؤيتنا لله ﷻ كرؤيتنا للشمس والقمر، فالسؤال عن الرؤية، وليس عن المرئي هذا أمر .

الأمر الثاني: إنكم سترون الله كما ترون، فكاف التشبيه دخلت على ماذا ؟ على الرؤية، وليس على المرئي، فقال: إن هذا الحديث فيه دليل على تشبيه الرؤية بالرؤية، لا المرئي بالمرئي . أقول أصحاب موسى، سألوا موسى أن يريهم الله ﷻ فماذا كان الجواب عاقبهم الله ﷻ بالصاعقة لماذا ؟ وهؤلاء أصحاب محمد ﷺ سألوا رسولهم

.....

عن رؤية الله، فبشرهم أنهم سيرونه، الفرق بين الطائفتين، أولئك سألوا موسى تعنتا، كلما جاءهم بأمر تعنتوا بسؤال جديد، وأصحاب محمد ﷺ سألوه سؤال مستزيد مستفيد، الأمر الآخر أصحاب موسى سألوا موسى رؤية الله، متى؟ في الدنيا، وأصحاب محمد علموا أن الله لا يمكن رؤيته في الدنيا، فسألوه عن رؤيته في الآخرة، نعم.

حديث لا تمتلئ النار حتى يضع الجبار فيها قدمه

وقال رسول الله ﷺ لا تمتلئ النار حتى يضع الجبار فيها قدمه، فتقول: قطٍ قط، وينزوي بعضها إلى بعض .

وهذا الحديث متفق عليه، وتقدم الكلام عليه، وفيه إثبات القدم لله ﷻ وهي صفة ذاتية ثابتة له بصحيح السنة، نعم.

حديث لقد ضحك الله مما فعلت الليلة البارحة

وقال لثابت بن قيس ﷺ لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة .

وهذه أيضا صفة ذاتية خبرية، ثبتت بصحيح السنة، والحديث متفق عليه، إثبات صفة الضحك لله .

حديث لا نعدم من رب يضحك

وقال فيما بلغنا: ﴿ إن الله ليضحك من أزلكم، وقنوطكم وسرعة إجابتكم، فقال له رجل من العرب: إن ربنا ليضحك، قال: نعم، قال: لا نعدم من رب يضحك خيرا ﴾ .

نعم، الحديث فيه مقال، رواه ابن ماجه، والإمام أحمد، وأبو عاصم والطبراني في المعجم الكبير، لكن معناه ثبت بأحاديث صحيحة أخرى ﴿ وإن الله ليضحك من أزلكم ﴾ .

الأزل هو الضيق والشدة، وقنوطكم اليأس، بمعنى أن الأرض أحيانا تجدب، ويشتد بالناس هذا الجدب، فيدخلهم شيء من اليأس والقنوط، فيخرجون يستسقون يدعون الله ﷻ فيطلع الله ﷻ عليهم وهم في هذه الحالة فيضحك؛ لأنه يعلم بسرعة تغير الحال من الجدب إلى الخصب، فقال له رجل من العرب في الحديث، هو أبو رزين ﷺ ﴿ إن ربنا ليضحك، قال: نعم، قال: لن نعدم من رب يضحك خيرا ﴾ .

هذا أيضا حديث فيه إثبات صفة الضحك، وأنه يحمل على ظاهره، دون تأويل أو تعطيل، كما يليق بجلاله وعظيم سلطانه، سبحانه وتعالى، وليس كما يزعم هؤلاء، أولوا الضحك، وقالوا: لأن الضحك خفة في النفس، أو خفة في الروح، فيقال لهم هذا ضحك من؟ ضحك المخلوق، والكلام عن ضحك الخالق وهو ضحكه لا يشبه ضحك المخلوق، نعم.

إثبات صفتي السمع والبصر لله تعالى

في أشباه لهذا مما لم يحصه، فقال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[1] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾[2] .

وقال تعالى: ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾[3] .

وقال: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾[4] .

وقال: ﴿ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[5] .

نعم. هذه النصوص التي ذكرها عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، هي للاستدلال على بعض الصفات؛ للتمثيل، فذكر قول الله ﷻ ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[6] لإثبات السمع والبصر، وقوله سبحانه: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾[7] .

وقوله: ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾[8] إثبات العينين لله ﷻ وإثبات أن لله عينين، أو فسر هذا الإجمال بهاتين الآيتين، الحديث الذي في الصحيحين في صفة الدجال ﷺ وأن ربكم ليس بأعور ﷺ .

---

١ – سورة الشورى آية : ١١.

٢ – سورة الطور آية : ٤٨.

٣ – سورة طه آية : ٣٩.

٤ – سورة ص آية : ٧٥.

٥ – سورة الزمر آية : ٦٧.

٦ – سورة الشورى آية : ١١.

٧ – سورة الطور آية : ٤٨.

٨ – سورة طه آية : ٣٩.

.....

فهذا دليل على أن لله ﷻ عينين اثنتين، ولا منافاة بين الحديث وبين هذه الآية التي فيها إثبات الأعين وإثبات العين.

وذكر قوله: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[1] **وقوله:** ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[2] **إثباتا لصفة اليدين لله ﷻ وأحد الإخوان استشكل في الدرس الماضي، حديث إثبات الشمال لله ﷻ لا شك الحديث فيه مقال، فمن صححه قال: إن قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح الثابت: وكلتا يديه يمين معناه يمن وبركة؛ لدفع ما توهم من صفة النقص؛ لأنه عادة في حق المخلوق أن الشمال أنقص من اليمين، ومن لم يثبت الرواية التي عند البيهقي فيها إثبات الشمال، نعم. قال: يحمل على ظاهر الحديث ويقال الله ﷻ له يدين وكلتا يديه يمين، والكيفية الله أعلم بمرادها، نعم.**

---

١ – سورة ص آية : ٧٥.

٢ – سورة الزمر آية : ٦٧.

الإيمان بما وصف الله به نفسه

فوالله ما دلهم عليه عظم ما وصف من نفسه، وما تحيط به قبضته إلا صغر نظيرها منهم عندهم، إن ذلك الذي ألقي في روعهم، وخرق على معرفة قلوبهم، فما وصف الله به من نفسه فسماه على لسان رسوله ﷺ سميناه كما سماه، ولم نتكلف منه صفة ما سواه، لا هذا ولا هذا، لا نجحد ما وصف، ولا نتكلف معرفة ما لم يصف .

نعم. عظمة الله ﷻ يظهر منها، أو يمكن أن تظهر عظمة الله ﷻ عندما يقرأ الإنسان هذه النصوص ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾[1] **بمعنى أنه سيقبض السماوات والأرض بيديه، فمتى تظهر عظمة الله -عز وجل-؟ إذا أجرى الإنسان هذا النص على ظاهره، وحمله على حقيقته، وأثبت لله اليدين الحقيقة، هنا تظهر هذه العظمة، أن هذه السماوات على عظمها، وهذه الأرض وما فيها سيقبضها الله ﷻ وسيطويها بيديه، ثم أكد قال: ينبغي للمؤمن أن يقف مع النص، فما ثبت بالكتاب والسنة ما سمى الله به نفسه، وسماه به رسوله، فليسمه المؤمن، وما لا فلا، إذا ما ثبت يثبته المؤمن، وما لم يثبت لا يتكلف إثباته، لا يجحد ما ثبت، ولا يتكلف صفة ما لم يثبت، نعم.**

---

١ - سورة الزمر آية : ٦٧.

اعلم –رحمك الله– أن العصمة في الدين أن تنتهي في الدين حيث انتهى بك ولا تجاوز ما حد لك، فإنه من قوام الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر، فما بسطت عليه المعرفة، وسكنت إليه الأفئدة، وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارث علمه الأمة، فلا تخافن في ذكره، وصفته من ربك ما وصفه من نفسه أيضا، ولا تكلفن لما وصف لك من ذلك قدرا.

نعم، يعني لا تتحرج في وصف الله ﷻ بصفة وصف بها نفسه، هو أعلم وهو أخبر بما يليق به، وبما لا يليق به، لا تأتي وتتحكم، وتقول: هذا لا يليق بالله وهذا يليق بالله، فإذا أثبت الله فأثبت، قف مع النص ودر مع النص، حيث دار ولا تتكلف لتحديد كيفية هذه الصفة؛ لا لأن هذا لم يرد به النص، نعم.

وما أنكرته نفسك، ولم تجد ذكره في كتاب ربك، ولا في الحديث عن نبيك من ذكر ربك، فلا تتكلفن علمه بعقلك، ولا تصفه بلسانك، واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه .

نعم. الشيء الذي لم يرد في الكتاب والسنة لا تأت وتقحم عقلك، يلزم من إثبات الكلام إثبات الشفتين، لا يا أخي، هذا في حق المخلوق، أما في حق الله ﷻ لا تأت بهذه اللوازم، يلزم من إثبات السمع الأذن والصماغ، يلزم من إثبات العين إثبات الجفن، كما يقوله المشبهة، وكما يقوله المعطلة، فابن الماجشون –رحمه الله –يقول: لا، قف مع النص، لا تقحم عقلك في هذه الأمور، لا تتكلف ما لم يرد به النص، نعم.

فإن تكلفك معرفة ما لم يصف نفسه، كإنكارك ما وصف منها.

يعني إثبات شيء لم يثبت، تماما سواء بسواء، مثل جحد وإنكار ما وصف الله من نفسه، نعم.

فكما أعظمت ما جحد الجاحدون مما وصف من نفسه، فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون، مما لم يصف منها .

نعم. هناك من قابل هؤلاء المعطلة لكنه غلى، أثبت لله صفات لم تثبت لا في الكتاب ولا في السنة، فهذا غلو في الإثبات، في مقابل هذا الغلو في التعطيل، نعم.

فقد والله عز المسلون الذين يعرفون المعروف، وبمعروفهم يعرف، وينكرون المنكر وبإنكارهم ينكر، ويسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه، وما يبلغهم مثله عن نبيه، فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلب مسلم، ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن .

نعم. هذا ابن الماجشون –رحمه الله –في القرن الثاني، يصف حال أهل زمانه، فيقول: فقد والله عز المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعروفهم يعرف، وينكرون المنكر وبإنكارهم ينكر، فماذا يقوله المسلمون في هذه العصور المتأخرة، هؤلاء الذين عز وجودهم في زمن الماجشون، هم الذين يصفهم، يقول: يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه، وما يبلغهم مثله عن نبيهم، بمعنى أنهم يقفون مع النص، يستسلمون للنص، لا يعتمدون على أقيستهم، ولا على اجتهاداتهم في هذا الباب، فما مرض من ذكر هذا، وتسميته قلب مسلم، لا شك.

قلب المؤمن الحي المستسلم لله ﷻ الذي تربى على مائدة القرآن، لا يستشكل ما أثبته الله لنفسه بخلاف هؤلاء الذين مرضت قلوبهم من ذلك، فحملهم على تعطيل الله ﷻ نعم. ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن، المؤمن لا يتكلف بأن يصف الله ﷻ بصفة لم يصفها هو سبحانه، نعم.

وما ذكر عن الرسول ﷺ أنه سماه من صفة ربه، فهو بمنزلة ما سمى وما وصف الرب من نفسه .

نعم. بمعنى يرد على بعض من اقتصر بإثبات الصفات على ما ورد في القرآن، هناك بعض متقدمي الأشاعرة كما سبق بيانه، وإن كان ابن الماجشون سابقا عليهم، لكن ربما كان موجودا عنده من يذهب إلى هذا المذهب، الذين اقتصروا في إثبات الصفات الخبرية التي وردت في القرآن الوجه، اليدين، الاستواء، لكن لا يثبتون الأصابع قالوا: إنها ليست ثابتة في القرآن، لا يثبتون الضحك؛ لأنه غير ثابت في القرآن، نعم. فابن الماجشون يقول: ما ثبت عن الرسول ﷺ في وصف الله ﷻ مثل ما ثبت في القرآن سواء بسواء، نعم.

فالراسخون في العلم الواقفون حيث انتهى علمهم، الواصفون لربهم بما وصف به نفسه، التاركون لما ترك من ذكرها، لا ينكرون صفة ما سمى منها جحدا، ولا يتكلفون وصفه بما لم يسم تعمقا؛ لأن الحق ترك ما ترك وتسمية ما سمى ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ ﴾[1] .

وهب الله لنا ولكم حكمة، وألحقنا بالصالحين -الكلام الأخير هذا تأكيد لما تقدم، أن الراسخين في العلم، هم الذين يقفون مع النص إثباتا ونفيا، نعم- وهذا كله كلام ابن الماجشون، فتدبر وانظر كيف أثبت الصفات، ونفى علم الكيفية، موافقة لغيره من الأئمة، وكيف أنكر على من نفى الصفات، بأنه يلزم من إثباتها كذا وكذا، كما تقوله الجهمية، أنه يلزم أن يكون جسما أو عرضا فيكون .

نعم. وهذه قلنا: شبهة من شبهات القوم، أنهم ينفون الصفات بحجة أنك إذا أثبت لله الصفات، فيلزم أن يكون الله جسما أو عرضا؛ لأنهم يقولون: إن هذه الصفات هي في الأصل إما جسم أو عرض، وسبق أن قلنا: إن هذه الألفاظ من الألفاظ المبتدعة، التي لم ترد في الكتاب ولا في السنة، لا بنفي ولا إثبات، فلا يجوز إطلاقها على الله ﷻ أو إضافتها إلى الله ﷻ بإطلاق، ولا نفيها بإطلاق؛ لأنها تحتمل حقا وباطلا، نعم.

---

١ - سورة النساء آية : ١١٥.

النهي عن التكفير بالذنب

وفي كتاب الفقه الأكبر المشهور عند أصحاب أبي حنيفة، الذي رووه بالمسند عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي، قال: سألت أبا حنيفة عن الفقه الأكبر، فقال: لا تكفرن أحدا بذنب، ولا تنف أحدا من الإيمان، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولا تتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ولا توال أحدا دون أحد، وأن ترد أمر عثمان وعلي إلى الله ﷻ .

نعم. هذا نقل ثان، نقله الشيخ عن الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت، الإمام المشهور صاحب المذهب، في كتاب الفقه الأكبر، وكتاب الفقه الأكبر مشهور، وله عدة شروح، شرحه ملا علي القاري، وشرحه أيضا أبو منصور الماتريدي وغيرهما، لكن في ثبوته عن الإمام أبي حنيفة نظر، فالإمام الذهبي ينسب الكتاب إلى أبي مطيع، والكتاب وصل إلينا برواية رجلين، برواية أبي مطيع هذا، وبرواية حماد بن أبي حنيفة، وكلاهما متكلم فيه من جهة الرواية، ولعل القول الوسط أنه من إملاء أبي حنيفة، لكن ما جمع إلا بعد وفاته، جمعها أبو مطيع، وابنه حماد .

يقول: رووه بالإسناد عن أبي مطيع، الحكم بن عبد الله البلخي، والمتوفى سنة مائة وسبع وتسعين، قال: سألت أبا حنيفة عن الفقه الأكبر، وهذا تمييز عن فقه الأحكام، المشهور الآن عندنا بالفقه، قديما كان يسمى علم العقائد، بالفقه الأكبر؛ لأنه هو الفقه الأكبر، بهذا الفقه يعرف الإنسان ربه سبحانه وتعالى، ويعرف أصول دينه بهذا العلم، يعرف أركان الإيمان الستة، التي لا يستقيم إيمان العبد إلا بها .

فقال: لا تكفرن أحدا بذنب، في الفقه الأكبر لا تكفرن أحدا من أهل القبلة، ولعل هذا هو الظاهر، والشيخ اختصر ربما بعض هذه العبارات، أو ربما غالبا؛ لأنه أملاها من حفظه، فربما سقطت لا تكفرن أحدا بذنب، وهذا هو المعنى الصحيح، أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب، أما ما عداهم فلا، من فعل مكفرا، وزالت الموانع، كفر. فاليهودي كافر، والنصراني كافر، والمشرك كافر، لا تكفرن أحدا بذنب؛ لأن من ثبت من أهل القبلة إيمانه بيقين، فلا يزول عنه إلا بيقين، أما الذين كفروا أهل القبلة بالذنوب، فهم من ؟ الخوارج، والمعتزلة أخرجوه من الإسلام، لكن لم يدخلوه في الكفر، وجعلوا حكمه في الآخرة حكم الكافر، خالدا مخلدا في النار، الشاهد أن

الوعيدية من الخوارج ومن تبعهم كفروا أهل القبلة بكل ذنب .

.....

ولا تنف أحدا به من الإيمان بمعنى لا تخرج أحدا بهذا الذنب من الإيمان، ما دام ثبت أنه مؤمن فلا يخرج عن الإيمان إلا بيقين، إلا بمكفر مع زوال المانع، وقيام الحجة، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، هذا هو حقيقة الإيمان بالقضاء والقدر، أو من لوازم الإيمان بالقضاء والقدر، أن يعلم الإنسان أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وهذا جاء به النص صريحا .

ولا تتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، تولي جمهور أصحاب النبي ﷺ لا نتبرأ من أحد منهم، لا من معاوية، ولا من عمرو بن العاص، ولا من غيرهما، ولا من علي، ولا من الحسن والحسين، نتولى الجميع، فمن ثبتت صحبته تولياه، بأمر الله، وبأمر رسوله ﷺ ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[1] .

والنبي ﷺ قال: ☜ إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ☞ .

وقال في الحديث الآخر: ☜ لا تتخذوا أصحابي غرضا من بعدي ☞ ☜ والله الله أوصيكم في أصحابي ☞ .

ولا توالِ أحدا دون أحد، لا شك. لا نفوض إلا من فضله النبي ﷺ وفضله الله ﷻ لكن لا نتدخل في هذا بأهوائنا، وعقولنا وأقيستنا، كما عمل أهل البدع، فلان أفضل من فلان، وفلان أفضل من فلان، بناء على شبهات لا، نحن نعم، نعتقد أن من أنفق من قبل الفتح وقاتل، أفضل ممن أسلم من بعد الفتح، والعشرة أفضل الصحابة، وأفضلهم الأربعة، وأفضل الأربعة أبو بكر رضي الله عنه فأفضل من طلعت عليه الشمس وغربت بعد النبيين هذا الرجل، وأهل بدر يفضلون على غيرهم، والمهاجرون يفضلون على غيرهم، وأهل بيعة الرضوان يفضلون على غيرهم، فنفاضل بينهم وفق ما ورد به النص.

وأن ترد أمر عثمان وعلي إلى الله ﷻ لعل أبا حنيفة يشير هنا إلى مسألة المفاضلة بين علي وعثمان، وهذه المسألة من المسائل التي جرى فيها الخلاف قديما، وذلك أن الأقوال فيها أربعة، أقوال أهل السنة حاشا أقوال أهل البدع، في المفاضلة بينهما، فمن أهل السنة من يفضل أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم يسكت، ومنهم من

---

١ – سورة التوبة آية : ١٠٠.

يربع بعلي،

.....

يقول: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ومنهم من يقول: نفضل أبا بكر ثم عمر ثم علي ثم عثمان، يقدم عليا على عثمان، ومنهم من يسكت، ويقول: لا نفضل هذا على هذا لا نفضل عثمان على علي، بالنسبة للخليفتين أبي بكر وعمر هذا بإجماع أهل السنة، ولم يقع فيه خلاف في تقديمهما، إنما الخلاف في عثمان وعلي، فذهب الجمهور إلى تقديم عثمان على علي، وذهب مالك في رواية وشعبة ويحيى القطان وبه قال ابن حزم من المتأخرين إلى الإمساك، وعدم المفاضلة بينهما، وهو المفهوم الآن من كلام أبي حنيفة، لكن الذي استقر عليه مذهب الإمام مالك، ورجع عنه صراحة كما نقل عنه البيهقي، وكذلك شعبة، وكذلك يحيى القطان، أنهم رجعوا إلى رأي الجمهور في تقديم عثمان على علي.

هناك الرأي الآخر، وهو تقديم علي على عثمان، وهذا ينسب إلى أبي حنيفة، ويروى عن ابن خزيمة، وسفيان الثوري، لكن أيضا الذي ثبت صراحة عن أبي حنيفة في الفقه الأكبر، أنه يقدم عثمان على علي، وقال: ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، وأيضا سفيان الثوري، والإمام ابن خزيمة، ثبت عنهما بما لا يدع الشك، أنهما رجعا إلى قول الجمهور، وبناء على ذلك، فالذي استقر عليه أمر أهل السنة، وجمهور أهل السنة أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، نعم.

وجوب التفقه في أصول الدين

قال أبو حنيفة: الفقه الأكبر في الدين خير من الفقه في العلم؛ ولأن يفقه الرجل كيف يعبد ربه، خير من أن يجمع العلم الكثير، انتهى .

لا شك وهذا سبق الإشارة إليه، أن الإنسان يتفقه في أصول دينه، وفي معرفة كيفية عبادة الله ﷻ ويعبده على يقين، وعلى بصيرة من أمره، خير من أن يجمع مسائل الفروع، لكنه جاهل في مسائل الأصول، نعم.

مسألة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال أبو مطيع: قلت: أخبرني عن أفضل الفقه، قال: تعلم الرجل الإيمان والشرائع والسنن والحدود، واختلاف الأئمة، وذكر مسائل الإيمان، ثم ذكر مسائل القدر، والرد على القدرية، بكلام حسن ليس هذا موضعه، ثم قال: قلت: فما تقول فيمن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، فيتبعه على ذلك أناس، فيخرج على الجماعة، هل ترى ذلك؟ قال: لا، قلت: ولم؟ وقد أمر الله ورسوله بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهو فريضة واجبة، قال: كذلك، ولكن ما يفسدون أكثر مما يصلحون، من سفك الدماء، واستحلال الحرام .

نعم، سأله عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعن طائفة من الناس، يلمح إلى المعتزلة، الذين يرون وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ولازم ذلك الخروج على جماعة المسلمين، الخروج عليهم بالسيف، الخروج عليهم بالقوة، نعم. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فريضة من فرائض الإسلام، وشريعة من شرائع الإسلام، لكن بالوسائل الشرعية، وبالضوابط المرعية ولهذا سأله هل للإنسان أن يأمر بالمعروف، وينهي عن المنكر؟ نعم. ما فيه إشكال، لكن يخرج على جماعة المسلمين، بحجة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؟ الجواب قال: لا، فقال: ولم؟ وقد أمر الله ورسوله بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهو فريضة، هذا لا خلاف فيه، أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من شعائر هذه الأمة، ومما أمر الله ورسوله به، ولكن كونه نهى أن يخرج الإنسان على جماعة المسلمين، بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، السبب في ذلك أنه ما يفسد أكثر مما يصلح .

وهذه حال الخوارج والمعتزلة، خرجوا بالقوة على جماعة المسلمين، بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأفسدوا أكثر مما أصلحوا، وهناك قاعدة عامة أن درء المفاسد، مقدم على جلب المصالح، فإذا كان هذا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، سيجلب مفسدة، فتركه أولى؛ ولهذا لما مر شيخ الإسلام بجماعة من التتر، وهم يشربون الخمر، أراد بعض تلامذته أن يزجرهم وينهاهم، فقال له: دعهم، شربهم للخمر أهون من كونهم يقومون

ويتسلطون على المسلمين، فهنا درء للمفسدة مقدم على جلب المصلحة، وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وأستأذنكم اليوم في الإجابة على الأسئلة لعلها تكون غدا، والله أعلم.

كفر من أنكر صفة العلو لله ﷻ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه وسلم ومن والاه، أما بعد:

قال المصنف –رحمه الله –تعالى رحمة واسعة قال:

وذكر الكلام في قتال الخوارج والبغاة إلى أن قال: قال أبو حنيفة عمن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض، فقد كفر؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾[1] وعرشه فوق سبع سماوات، قلت: فإن قال: إنه على العرش استوى، ولكنه يقول: لا أدري العرش في السماء، أم في الأرض، قال: هو كافر؛ لأنه أنكر أن يكون في السماء؛ لأنه تعالى في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل، وفي لفظ سألت أبا حنيفة عمن يقول: لا أعرف ربي في السماء، أم في الأرض؛ قال: قد كفر؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾[2] وعرشه فوق سبع سماوات، قال: فإنه يقول: على العرش استوى، ولكن لا يدري العرش في الأرض، أو في السماء، قال: إذا أنكر أنه في السماء، فقد كفر، ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لا زال المؤلف يذكر كلام الإمام أبي حنيفة، كما رواه أبو مطيع البلخي –رحمه الله –ففي هذا الكلام الأخير، يلاحظ أن الإمام أبا حنيفة كفر من أنكر صفة العلو لله ﷻ والكلام في هذا صريح، لا يحتمل التأويل،

---

١ – سورة طه آية : ٥.

٢ – سورة طه آية : ٥.

.....

بل إنه –رحمه الله –كفر من توقف في هذه المسألة، فقال: لا أدري الله في السماء أم في الأرض، لكن ينبغي التنبه أن كلام الأئمة في تكفير من خالف في بعض هذه المسائل، أنه من باب التكفير المطلق، وفرق بين التكفير المطلق، وتكفير الشخص المعين، فالتكفير المطلق، مثل الوعيد المطلق، وهذه قاعدة عامة، أن التكفير المطلق، مثل الوعيد المطلق، الله ﷻ توعد الذين يأكلون أموال اليتامى بالنار، فلا يجوز أن تقول لإنسان تعلم أنه أكل أموال اليتامى إنه في النار، توعد آكل الربا بالنار، فلا يجوز أن تقول لإنسان يأكل الربا إنه في النار، توعد القاتل المتعمد بالنار، ولا يجوز أن تحكم على مسلم قاتل بعينه أنه في النار، ففرق بين التكفير المطلق، والتكفير المعين .

ويدل على ذلك أن الأئمة يكفرون ببعض المقالات، لكن يلاحظ أنهم إذا نظروا إلى الشخص المعين، فإنهم لا يحكمون بكفره، مثل الإمام أحمد، الإمام أحمد اشتهر عن أنه قال من قال إن القرآن مخلوق فقد كفر، ومع ذلك يلاحظ أنه يصلي خلف من يقول: القرآن مخلوق، فلو كان يكفر هذا الشخص بعينه، ويخرجه من الملة، لما صلى خلفه؛ لأن الصلاة خلفه لا تصح، وذلك أن التكفير المعين له شروط وموانع، فقد تنتفي في حق هذا الشخص المعين، إما لتأويل أو لجهل، أو لأمر آخر، وهذا مما يكثر الخطأ فيه، خاصة عند الشباب، يأخذون هذه النصوص العامة عن الأئمة، وأحيانا حتى من الكتاب والسنة، ويطبقونها على الأشخاص المعينين، وهذا خلاف المنهج الصحيح.

أنا أسألكم الآن: ما حكم من شك في قدرة الله؟ كافر، ولا شك في ذلك،. ما حكم من شك في اليوم الآخر؟ كافر.

ثبت في صحيح البخاري: ﵁ أن رجلا أسرف على نفسه، فلما حضرته الوفاة جمع أبناءه وأوصاهم بأن قال: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذُرُّوني؛ فوالله لئن قدَر الله عليّ ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا من العالمين، فجمعه الله ﷻ وأقامه وقال: ما حملك على ذلك؟ قال: مخافتك، فغفر الله له ﵁.

يقول شيخ الإسلام: هذا عنده نوعان من أنواع الكفر الأكبر: الشك في قدرة الله، والشك في اليوم الآخر،

ولكن غفر الله له بسبب الجهل، والأمثلة كثيرة.

.....

الشاهد: أن كلام الإمام أبي حنيفة هنا لا يعني أن كل من جاءنا وأنكر صفة العلو نقول: أنت كافر خارج من الملة ونتعامل معه على أنه كافر، لا، كلام الأئمة يؤخذ على عمومه، لكن لا يطبق على الأشخاص إلا بعد قيام الحجة، وزوال المانع، ومعرفة مستند هذا الشخص الذي ذهب إلى هذا القول.

الأمر الآخر أقول: ينبغي أن نحرص على فهم أو حفظ مثل هذا الأثر عن الإمام أبي حنيفة، ولمَ؟ لأن كلامه صريح في إثبات صفة العلو والإنكار على من أنكرها، لا يحتمل التأويل، ويمكن أن نحتج بكلامه هذا على من؟ على أتباعه، ومعلوم وليس بخاف أن من أكثر المذاهب تعصبا لأئمتهم الأخوة الأحناف.

فإذا وجدنا حنفيا ينفي مثل هذه الصفة، فنقول: هذا كلام إمامنا وإمامكم الإمام أبي حنيفة، وهذا ما جعل أعداء الشيخ يشغبون عليه بسبب تأليف هذه المسألة، أنه احتج عليهم بقول أئمتهم.: أنتم الآن تتعصبون لأئمتكم في الفروع تعصبا أعمى فهذا قولهم في الأصول، فلماذا لا تأخذون به؟ نعم.

ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه أنه كفّر الواقف الذي يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض، فكيف يكون الجاحد النافي الذي يقول: ليس في السماء، أو ليس في الأرض ولا في السماء.

واحتج على كفره بقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾[1] قال: وعرشه فوق سبع سماوات، وبيّن بهذا أن قوله -تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾[2] يبين أن الله فوق السماوات فوق العرش، وأن الاستواء على العرش دل على أن الله نفسه فوق العرش، ثم أردف ذلك بتكفير من قال: إنه على العرش استوى ولكن توقف في كون العرش في السماء أم في الأرض، قال: لأنه أنكر أنه في السماء؛ لأن الله في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل.

وهذا تصريح من أبي حنيفة بتكفير من أنكر أن يكون الله في السماء، واحتج على ذلك بأن الله -تعالى- في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل.

وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية، وإن القلوب مفطورة على الإقرار بأن الله في العلو، وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل، وقد جاء اللفظ صريحا عنه بذلك فقال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر.

وروى هذا اللفظ عنه بالإسناد شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي بإسناده في كتاب "الفاروق".

نعم، الشيخ هنا يشير أن الإمام أبا حنيفة استدل على إثبات صفة العلو لله ﷻ بالفطرة والعقل، وأشار إلى ذلك بقوله: أنه في بأعلى عليين، وكونه في أعلى عليين هذا ثابت بالعقل والفطرة كما سلف الكلام عن ذلك، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل وهذا أيضا دليل فطري على إثبات صفة العلو.

---

١ - سورة طه آية : ٥.

٢ - سورة طه آية : ٥.

.....

يقول: وروى هذا اللفظ عنه بالإسناد أي أن من أنكر أنه في السماء فقد كفر، يعني: جاء صريحا في كتاب "الفقه الأكبر" وهذا من أشهر الكتب المنسوبة لأبي حنيفة، وأيضا روى عنه هذا اللفظ أبو إسماعيل الهروي عبد الله بن محمد الأنصاري المتوفى سنة ٤٨١ صاحب "منازل السائرين" في كتابه "الفاروق" .

وكتابه "الفاروق" لا يزال مفقودا، وينقل عن شيخ الإسلام كثيرا وله أيضا كتاب "ذم الكلام" وقد حُقق أخيرا، وله كتاب "منازل السائرين" الذي شرحه الإمام ابن القيم في "مدارج السالكين"، قال عنه الذهبي –رحمه الله: كان أثريا قُحًّا، وكان سيفا مسنونا على المتكلمين، هذا في جانب توحيد الأسماء والصفات.

أما في جانب توحيد العبادة وخاصة في جانب السلوك فعليه ما عليه؛ ولهذا ألف كتابه "منازل السائرين" على منهج الصوفية، قال عنه الذهبي: ولكنه له نفس عجيب لا يشبه نفَس أئمة السلف في كتابه "منازل السائرين" ففيه أشياء مطْربة وفيه أشياء مشكلة.

وروى هو أيضا وابن أبي حاتم أن هشام ابن عبيد الله الرازي صاحب محمد بن الحسن قاضي الري حبس رجلا في التجهم فتاب، فجيء به إلى هشام ليطلقه، فقال: الحمد لله على التوبة، فامتحنه هشام فقال: أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه؟ فقال: أشهد أن الله على عرشه، ولا أدري "ما بائن من خلقه"، فقال: ردوه إلى الحبس فإنه لم يتب.

وروى أيضا عن يحيى بن معاذ الرازي أنه قال: إن الله على العرش بائن من الخلق، وقد أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، لا يشك في هذه المقالة إلا جهمي ردئ ضليل وهالك مرتاب يمزج الله بخلقه ويخلط منه الذات بالأقدار والأنتان.

إذن لا بد من إثبات العلو وإثبات أن الله بائن من الخلق، والعلماء جاءوا بهذه اللفظة "بائن" للرد على الجهمية الحلولية الذين زعموا أن الله مختلط وممتزج بالخلق؛ ولهذا هذا الرجل قال: الحمد لله على التوبة، فامتحنه محمد بن الحسن –رحمه الله – صاحب أبي حنيفة المتوفى سنة مائة وتسعة وثمانين، قال: أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه؟ فقال: أشهد أن الله على عرشه لكن ما أدري "ما بائن من خلقه" فقال: ردوه إلى السجن، إلى الآن ما تاب، فلا بد أن تعتقد أن الله بائن بمعنى: منزه أن يختلط بالخلق، نعم.

وروى أيضا عن ابن المديني لما سُئل ما قول أهل الجماعة قال: يؤمنون بالرؤية والكلام، وأن الله فوق السماوات على العرش استوى، فسئل عن قوله –تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾[1] فقال: اقرأ ما قبلها : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[2].

نعم، وهذا أيضا قول ابن المديني علي بن عبد الله شيخ الإمام البخاري المتوفى سنة مائتين وأربعة وثلاثين، وقد قال الإمام البخاري ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني.

يقول –رحمه الله– قول أهل الجماعة أي قول أهل السنة والجماعة: أنهم يؤمنون بالرؤية والكلام، أي: يثبتون رؤية الله ﷻ وكلامه، وأن الله فوق السماوات –هذا الشاهد– على العرش.

فسئل عن قوله –تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾[3] **وهذه آية المجادلة التي هي حجة يحتج بها دائما مَن ينكرون أن صفة العلو ويحتج بها من يقول بالحلول: أن الله حال ومختلط بخلقه بالخلق.**

فردّ عليه ابن المديني –رحمه الله– قال: اقرأ أول الآية: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[4] **فافتتح الآية بالعلم، واختتمها بالعلم، فقال:** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾[5] **فدل على أن المراد بالمعية هنا: معية الذات أم معية العلم؟ معية العلم .**

وبنفس الاحتجاج احتج الإمام أحمد في كتابه "الرد على الجهمية والزنادقة" لما سئل عن هذه الآية قال: اقرأ أولها وآخرها، لا تأخذ جزءًا من الآية وتسكت؛ ولهذا حكى ابن كثير –رحمه الله– عن بعض الأئمة أنهم حكوا الإجماع أن المراد بالمعية في هذه الآية معية العلم والإحاطة، وليست معية الذات، وليس في هذا تأويل

---

١ – سورة المجادلة آية : ٧.

٢ – سورة المجادلة آية : ٧.

٣ – سورة المجادلة آية : ٧.

٤ – سورة المجادلة آية : ٧.

٥ – سورة المجادلة آية : ٧.

كما يزعم المعطلة يقولون: أنتم أهل السنة تؤولون، وسيأتي الكلام –إن شاء الله– على هذه المسألة في نهاية الرسالة، نعم.

وروى أيضا عن أبي عيسى الترمذي قال: هو على العرش كما وصف في كتابه، وعلمه وقدرته وسلطانه في كل مكان.

هذا لإثبات صفة معية العلم، وهي المعية العامة يقابلها المعية الخاصة وهي معية النصر والتأييد ﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾[1] ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾[2] هذه معية خاصة، وهناك معية مع سائر الخلق، نعم.

١ – سورة التوبة آية : ٤٠.

٢ – سورة طه آية : ٤٦.

وروى عن أبي زرعة الرازي أنه سئل عن تفسير قوله -تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝ ﴾[1] فقال: تفسيره كما تقرأ: هو على العرش وعلمه في كل مكان، من قال غير هذا فعليه لعنة الله.

نعم، هذا أبو زرعة -رحمه الله- عبيد الله بن عبد الكريم رحمه الله المتوفى سنة مائتين وأربعة وستين، لما سئل عن هذه الآية قال: هي كما تقرأ، ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝ ﴾[2] تفسيرها كما تقرأ كما يظهر من الآية، ألست عربيا؟! ألا تفهم قول الله -عز وجل-؟! "استوى" بمعنى: علا وارتفع، وعلمه في كل مكان، فهو علا على الخلق بذاته -سبحانه- لكن علمه شامل لكل شيء، نعم.

---

١ - سورة طه آية : ٥.

٢ - سورة طه آية : ٥.

الإيمان بما وصف الله به نفسه في القرآن والأحاديث

وروى أبو القاسم اللالكائي صاحب أبي حامد الإسفراييني في أصول السنة بإسناده عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة قال: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقاة عن رسول الله ﷺ في صفة الرب ﷻ من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه.

فمن فسر اليوم شيئا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة؛ فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا، ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة؛ فإنه قد وصفه بصفة لا شيء.

محمد بن الحسن أخذ عن أبي حنيفة ومالك وطبقتهما من العلماء، وقد حكى على هذا الإجماع، وأخبر أن الجهمية تصفه بالأمور السلبية غالبا أو دائما، وقوله: "من غير تفسير"، أراد به تفسير الجهمية المعطلة الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الإثبات.

نعم وهذا النقل عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة الإمام المشهور، وقد قيل للإمام أحمد: من أين لك دقائق المسائل؟ قال: استفدتها من محمد بن الحسن.

وأقول أيضا: هذه من الآثار التي ينبغي العناية بها للرد على أتباعه في نفي ما وصف الله به نفسه، فقد ذكر أن الفقهاء اتفقوا جميعا على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقاتة عن رسول الله ﷺ في صفة الرب –عز وجل.

أما قوله: "من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه" فكما بين الشيخ أنه أراد تفسير الجهمية وتأويل المعطلة، "استوى" استولى ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[1] بقدرتي.. ونحو ذلك.

---

١ – سورة ص آية : ٧٥.

.....

وذكر الشيخ أن كلام محمد بن الحسن هذا فيه حكاية للإجماع على أن السلف أثبتوا هذه الصفات من خلال أدلة الكتاب والسنة من غير أن يتعرضوا لها بشيء من تفسيرات الجهمية.

وذكر أن الجهمية تصفه بالأمور السلبية غالبا أو دائما، وذكرنا هذا سابقا: أن مذهب الجهمية السلب وهو النفي: الله ليس بكذا وليس بكذا وليس بكذا وليس بكذا.. إلى أن يصل أن ينفوا الله ﷻ وهذا سيأتي بعض الآثار عن أئمة أن نهاية قول الجهمية ينتهي إلى نفي الله –عز وجل، نعم.

وروى البيهقي وغيره بأسانيد صحيحة عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال: هذه الأحاديث التي يقول فيها: 🗈 ضحك ربنا من قنوط عباده وقُربِ غِيَرِهِ، وأن جهنم لا تمتلئ حتى يضع الجبار قدمه فيها 🗈 والكرسي موضع القدمين، وهذه الأحاديث في الرؤية هي عندنا حق حمله الثقات بعضهم عن بعض، غير أنا إذا سألنا عن تفسيرها ولا نفسرها، وما أدركنا أحدا يفسرها.

أبو عبيد أحد الأئمة الأربعة الذين هم: الشافعي وأحمد وإسحاق وأبو عبيد، وله من المعرفة بالفقه واللغة والتأويل ما هو أشهر من أن يوصف، وقد كان في الزمان الذي ظهرت فيه الفتن والأهواء، وقد أخبر أنه ما أدرك أحدا من العلماء يفسرها، أي: بتفسير الجهمية.

نعم وهذا الأثر أيضا عن أبي عبيدة القاسم بن سلام صاحب "تأويل مختلف الحديث" المتوفى سنة مائتين وأربعة وعشرين قال: هذه الأحاديث التي يقول فيها النبي –صلى الله عليه وسلم: 🗈 ضحك ربنا من قُنوط عباده وقُرب غِيَرِهِ 🗈 أي: قُرب تغيّر الحال من الجدب إلى الخصب. وذكرنا الكلام على هذا الحديث سابقا.

وإنه وإن كان فيه مقال ولكن المعنى الذي اشتمل عليه تشهد له أحاديث صحيحة أخرى 🗈 وأن جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربك قدمه فيها 🗈 وهذا سبق أنه في الصحيحين .

"والكرسي موضع القدمين" هذا ثبت موقوفا عن ابن عباس وأبي موسى، فقد رواه جمع من الأئمة، منهم: أبو شيبة وعبد الله بن الإمام أحمد، وابن منده وابن خزيمة والطبراني والدارقطني وغيرهم.

والأثر صحيح كما حكم عليه الإمام الحاكم في "المستدرك"، ووافقه الذهبي، وحكم عليه أيضا من المعاصرين بالصحة الشيخ ناصر –رحمه الله– كما في "مختصر العلوم" .

وهذه الأحاديث في الرؤية يقول: هي عندنا حق، حملها الثقاتة بعضهم عن بعض، غير أنا إذا سئلنا عن تفسيرها لا نفسرها، وشرح الشيخ معنى قوله: "لا نفسرها" أي: تفسير الجهمية.. تأويل الجهمية، لكن كما هو معلوم متواتر مشهور عن السلف أنهم يثبتون هذه النصوص على ظاهرها، لكن لا يتعرضون لها بتأويل كما هي الحال عند المعطلة، وما أدركنا أحدا يفسرها .

.....

ثم أوضح الشيخ في عبارة أو في جملة اعتراضية مكانة أبيو عبيد –رحمه الله– صاحب هذا الأثر فقال: هو أحد الأئمة الأربعة، يعني هو من أقران الإمام الشافعي وأحمد وإسحاق، وله من المعرفة بالفقه واللغة والتأويل ما هو أشهر من أن يوصف.

وهنا فائدة لطيفة قول الشيخ: ما هو أشهر من أن يوصف، هناك تحرج من بعض الإخوان إذا وصف أحد العلماء تقول فلان أشهر من أن يوصف، فالبعض يتحرج ويقول: هذه العبارة لا تصح إلا في حق الله، فإذا أطلقها مثل شيخ الإسلام فيكون للإنسان سلف في هذا، وقول الإنسان: فلان أشهر من أن يوصف مفهوم أنه في حق وفي حدود البشر، وهذا دليل على جوازها.

يقول: وقد كان في الزمان الذي ظهرت فيه الفتن والأهواء لأنه عاش في الفترة من مائة وسبع وخمسين إلى مائتين وأربع وعشرون، وقد أخبر: أنه ما أدرك أحد من العلماء تفسيرها يفسرها، أي: تفسير الجهمية.. تأويلات الجهمية.

وروى اللالكائي والبيهقي عن عبد الله بن المبارك: أن رجلا قال له: يا أبا عبد الرحمن، إني أكره الصفة -عَنَى: صفة الرب- فقال له عبد الله بن المبارك: أنا أشد الناس كراهة لذلك، ولكن إذا نطق الكتاب بشيء قلنا به، وإذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه، ونحو هذا.

أراد ابن المبارك: أننا نكره أن نبتدأئ بوصف الله من ذات أنفسنا حتى يجيء به الكتاب والآثار.

نعم، وهذا ظاهر، هذا الرجل هو أفلح بن محمد كما جاء مصرحا به عند الإمام اللالكائي في رواية اللالكائي أنه قال: أكره الصفة، يعني: صفة الرب، فقال له عبد الله بن المبارك: وأنا أشد الناس كراهة لذلك، ولكن إذا جاء النص.. إذا نطق الكتاب.. إذا ورد في القرآن والسنة فليس لنا إلا الإثبات والتسليم، نعم.

الإيمان بأن الله في السماء بائن من خلقه

وروى عبد الله بن أحمد وغيره بأسانيد صحاح عن ابن المبارك أنه قيل له: لبماذا نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه، ولا نقول كما تقول الجهمية: أنه هاهنا في الأرض، وهكذا قال الإمام أحمد وغيره.

وهذا أيضا ظاهر عن ابن المبارك وقد ذكر الإمام ابن القيم –رحمه الله– أن هذا الأثر ثابت عن ابن المبارك ثبوتا قريبا من التواتر، وهو مشهور عند الأئمة: أنا نعرف ربنا بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه، ولا نقول كما تقول الجهمية: أنه هاهنا في الأرض.

الشيخ يسرد هذه الآثار ليبين أن مذهب متأخري الأشاعرة الذين نفوا صفة العلو هو مذهب متقدمي الجهمية الذي أنكره السلف واشتد نكيرهم عليه سواء بسواء، وأن اللوازم التي ذكرها الأئمة المتقدمون، اللوازم الباطلة التي تلزم على مذهب الجهمية هي اللوازم التي تلزم على مذهب متأخري الأشاعرة في نفي صفة الرب، علمًا بأن الأشاعرة يزعمون أن عدوهم اللدود هم الجهمية والمعتزلة.

الشيخ يبين من خلال هذه الآثار أن مذهبكم مثل مذهب الجهمية في هذه المسألة سواء بسواء نعم.

وروى بإسناد صحيح عن سليمان بن حرب الإمام: سمعت حماد بن زيد وذكر هؤلاء الجهمية فقال: إن ما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء شيء.

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة...

نعم حماد بن زيد –رحمه الله– يقول: لازم مذهب الجهمية ومنتهى قولهم: أنه ليس في السماء شيء، أي ليس ثَّم هناك الله، ابن القيم –رحمه الله– نقل عن شيخ الإسلام أن هذا الذي كان يحاول الجهمية قوله قد صرح به المتأخرون منهم بعد أن ضعفت السنة وانقرضت الأئمة.

الأوائل لم يجسروا على هذا الكلام، لكن المتأخرون من خلال كلامهم يتضح نفي وجود الله ﷻ أو أنه ليس هناك في السماء إلاه يُعبد.

وسبق ذكرت أمثلة أن مذهبهم يقولون: الله ليس فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ولا محايد ولا مباين.. إذًا ما هذا؟ هذا هو العدم وعين العدم، بل أشد من العدم؛ لأن المعدوم منه ما يكون جائز الوجود، أما هذا الشيء الذي وصفوه فهو مستحيل الوجود، نعم.

يقول: وروى ابن أبي حاتم في كتاب "الرد على الجهمية" عن سعيد بن عامر الضبعي المتوفى سنة مائتين وثمانية، إمام أهل البصرة علما ودينا من شيوخ أحمد: أنه ذكر عنده الجهمية، فقال: هم شر قول من اليهود والنصارى.

لما ذكر عنده قول الجهمية في نفي العلو عن الله ونفي الصفات عن الله سعيد بن عامر الضبعي قال: قولهم هذا شر قول من اليهود والنصارى، لماذا؟

يقول: وقد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش، وقالوا هم: ليس عليه شيئنا.

وهذا وجه قولهم هذا شر قول من قول اليهود والنصارى.

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة إمام الأئمة: من لم يقل: إن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه، وجب أن يُستتاب فإن تاب وإلا ضُربت عنقه، ثم ألقي على مزبلة لئلا يتأذى بنتن ريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة، وذكره عنه الحاكم بإسناد صحيح.

نعم، ذكره في معرفة علوم الحديث؛ وهذا لبيان شناعة هذا القول، يعني: كأنه حكم عليه بالكفر المخرِج عن الملة، يقول: من قال هذا القول الواجب أن تضرب عنقه ولا يدفن لا مع المسلمين ولا حتى مع أهل الذمة.

وقد روى عبد الله بن أحمد عن عباد بن العوام الواسطي إمام أهل واسط، من طبقة شيوخ الشافعي وأحمد، قال: كلمت بشر المريسي وأصحاب بشر فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا: ليس في السماء شيء.

نعم، وهذا قول عباد بن العوام الواسطي يبين ويوضح أن لازم قول هؤلاء المعطلة ومنهم بشر بن غياث المريسي الذي رد عليه الإمام الدارمي، وهو إمام من أئمة المعتزلة وممن ينفي الصفات عن الله ﷻ يقول: إنني ناظرتهم، وتبين لي أن كلامهم ينتهي إلى أن الله أو إلى أنه ليس ثمة شيء في السماء.

الشيخ أكثر هنا من الجمل الاعتراضية في بيان مكانة ومنزلة من يذكر كلامه؛ ليبين أنني الآن أحتج عليكم معاشر المعطلة بقول أئمة ليس بقول نكرات من الناس، نعم.

وعن عبد الرحمن بن مهدي الإمام المشهور أنه قال: ليس في أصحاب الأهواء شر من أصحاب جهم، يدورون على أن يقولوا: ليس في السماء شيء! أرى والله ألا يناكحوا ولا يورثوا.

نعم، وهذا أيضا من بيان شناعة قول هؤلاء أن عبد الرحمن بن مهدي –رحمه الله– كأنه كفّر من قال بهذا ؛ فالذي لا يُناكَح: لا تجوز مناكحته، ولا التوارث هم الكفار، فهو يقول: إنني نظرت في أقوال أصحاب الأهواء فما وجدت شرا أشر من قول أصحاب جهم الذين هم الجهمية.

نعم، والشيخ كما قلت يكرر ليبين أن متأخري الأشاعرة على مذهب هؤلاء الذين شنع الأئمة عليهم، الذين كفرهم الأئمة بسبب مقولتهم هذه وغيرها، أن قولهم مثل قولهم سواء بسواء نعم.

وروى عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتاب الرد على الجهمية عن عبد الرحمن بن مهدي قال: أصحاب جهم يريدون أن يقولوا: إن الله لم يكلم موسى، ويريدون أن يقولوا: ليس في السماء شيء وأن الله ليس على العرش، أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا قتلوا.

وعن الأصمعي قال: قدمت امرأة جهم فنزلت الدباغين، فقال رجل عندها: الله على عرشه، فقالت: محدود على محدود، وقال الأصمعي: كافرة بهذه المقالة.

نعم، قول الأصمعي هنا: إن امرأة جهم قدمت فنزلت الدباغين، "الدباغين" هذا لعله موضع.. مكان، فقال رجل عندها: الله على عرشه، فقالت: محدود على محدود، كأنها تنكر استواء الله على عرشه، فمعنى قولها أنه يلزم من إثبات الاستواء أن يكون الله محدودا على محدود.

فالأصمعي قال: كافرة بهذه المقالة، بأي مقالة؟ بإنكار هذه الصفة، قولها: "محدود على محدود": الحد في الواقع من الألفاظ المجملة التي لم ترد في الكتاب ولا في السنة لا بنفي ولا بإثبات؛ ولهذا روي عن بعض الأئمة إثبات ذلك، وروي عن بعضهم نفي ذلك، فروي عن الإمام أحمد إثبات الحد، وروي عنه نفي الحد، كذلك ممن روي عنه إثبات الحد الدارمي وابن المبارك.

فمن أطلق الحد على الله ﷻ وأراد بالحد ما يتميز به الشيء عن غيره فهذا المعنى صحيح، والعلماء الذين أطلقوا على الله الحد أرادوا الرد على الجهمية الذين قالوا: إن الله مختلط ممتزج بعباده، فقالوا: لا، الله له حد يتميز به عن خلقه، منفصل مباين عن الخلق، غير مختلط كما يزعم الجهمية

أما من أراد بالحد: أن الله ﷻ يحيط به شيء من مخلوقاته فلا شك أن نفي الحد بهذا المعنى هو الصحيح؛ ولهذا الإمام أحمد نفى الحد بهذا المعنى وأثبت الحد بالمعنى الآخر التميز؛ أن الله متميز عن خلقه مباين لخلقه منفصل عن الخلق عال على الخلق سبحانه وتعالى، أما الجهمية فلا.

ولهذا الدارمي يقول: علمتُ مرادك أيها الأعجمي –يعني: بشر المريسي– لمّا نفيت عن الله الحد، تريد أن الله ممتزج بالخلق، فأنكر عليه نفي الحد بهذا المعنى.

نعم. المعنى الباطل في الحد: من اعتقد أن هناك شيء شيئا من الخلق يحيط بالله –عز وجل، فلا شك أنه على هذا المعنى ليس لله حد، ليس لله شيء يحيط بالله عن الخلق نعم.

وعن عاصم بن علي بن عاصم شيخ أحمد والبخاري وطبقتهما قال: ناظرت جهما فتبين من كلامه: أنه لا يؤمن أن في السماء ربا.

نعم، قبل الانتقال من الحد هناك رسالة حُققت أخيرا لأحد طلبة العلم المعاصرين باسم "الحد" للدشتي –رحمه الله، تكلم على مسألة إثبات أو نفي الحد، ومن أثبتها ومن نفاها، وتوسع أيضا شيخ الإسلام في نقض التأسيس للكلام عن هذه المسألة، ونقل كلام الإمام أحمد في إثباته ونفيه، ونقل كلام ابن المبارك، وعن عاصم بن علي بن عاصم المتوفى سنة مائتين وإحدى وعشرين، ويقال: إنه كان يحضر مجلسه في مسجد الرصافة أكثر من مائة ألف رحمه الله.

شيخ أحمد والبخاري وطبقتهما قال: ناظرت جهما فتبين من كلامه: أنه لا يؤمن أن في السماء ربا، بمعنى: ناقشت الجهم بن صفوان وناظرته في مسألة الصفات فتبين لي أنه ينفي أن يكون في السماء رب يُعبد، نعم.

وروى الإمام أحمد قال حدثنا سريج بن النعمان، قال: سمعت عبد الله بن نافع الصائغ قال: سمعت مالك بن أنس يقول: الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو من علمه مكان.

نعم، وهذا الأثر صحيح عن الإمام مالك ويمكن أن نحتج به على أتباعه ممن ينفون صفة العلو، هذا إمامكم وإمامنا الإمام مالك يصرح بكلام لا يقبل التأويل أن الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو من علمه مكان، نعم.

وقال الشافعي: خلافة أبي بكر ﷺ حق قضاها الله في سمائه، وجمع عليه قلوب عباده.

نعم، قال هذا الأثر أيضا عن الإمام الشافعي يمكن أن يحتج به على أتباعه ممن ينكرون صفة العلو؛ فهذا الإمام الشافعي يثبت صراحة أن الله في السماء. نعم.

وفي الصحيح عن أنس بن مالك قال: 📖 كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات 📖 وهذا مثل قول الشافعي.

نعم، وهذا الحديث الذي في البخاري صريح في إثبات صفة العلو لله ﷻ وهو مما استدل به العلماء من السنة على إثبات هذه الصفة.

وقصة أبي يوسف صاحب أبي حنيفة مشهورة في استتابة بشر المريسي حتى هرب منه، لما أنكر الصفات وأظهر قول جهم، ذكرها ابن حاتم وغيره.

نعم، أبو يوسف جيء ببشر المريسي إليه شيخا كبيرا ولما استنطقه تبين أنه ينفي عن الله ﷻ صفة العلو، وقد جيء به شيخا، فقال: لولا هذه الشيبة لفعلت بك كذا وكذا، فأمر به فسجن.

خاتمة

هذا آخر ما تيسر من إيراد متن الفتوى الحموية في هذه الدورة المباركة، أسأل الله –سبحانه وتعالى– أن ينفعنا بما قلنا وبما سمعنا، وأن يجعله حجة لنا لا علينا، كما نسأله سبحانه بأسمائه العلا وصفاته الحسنى أن يغفر لإمامنا شيخ الإسلام على ما بذله في سبيل الدفاع عن عقيدة الأمة، ومنافحة أهل الباطل ممن ألحدوا في آيات الله وفي أسمائه وصفاته.

فنسأله –جل وعز– أن يجزيه خير الجزاء وأن يرفع درجته في عليين، وأن يجمعنا به مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء .

ورحم الله الشيخ شهاب الدين أحمد بن المري الحنبلي أحد اللذين عاصروا شيخ الإسلام لكن لم يتيسر له اللقاء به، وقد حرص على أن يلتقي به وذلك أنه كما صرح بنفسه: أن الله من عليه بالهداية لعقيدة أهل السنة والجماعة بسبب مطالعته لكتاب "درء تعارض العقل والنقل".

فلما وصله خبر وفاة الشيخ كتب لتلامذة الشيخ كتابا يوصيهم فيه بالحرص على جمع كلام هذا الإمام والمحافظة على مؤلفاته؛ وذلك أن الوقت الذي توفي فيه شيخ الإسلام كان وقت فتنة، وكان من وُجد عنده شيء من كتب الشيخ عوقب وسجن؛ ولهذا كلٌ أخفى ما عنده، فكتب إليهم رسالة يوصيهم بالحرص على كلام الشيخ، والرجوع إلى ابن القيم في ذلك فقد ذكر أنه أعلم الناس بكلام الشيخ.

ثم قال كلمة قال: ووالله إن شاء الله ليقيمن الله مَن يجمع هذا الكلام ويحققه ويستخرج غرائبه وفوائده، رجالا هم الآن في أصلاب آبائهم، فهذه سنة الله في الحياة... إلى آخر ما ذكر أو كلاما نحوا من ذلك.

وقد بُرّ قسمُه فهاهم طلبة العلم يتسابقون لاستخراج كلام هذا الإمام، وليس هناك رسالة ولا كتاب مخطوط لهذا الشيخ إلا وتسابق الناس إلى تحقيقه واقتنائه، وهذا لعله –إن شاء الله– من أمارات حسن وصدق نية هذا الرجل، فكم الذين ناوءوه، وكم الذين عادوه، ذهبوا نسيا منسيا.

أما هذا الرجل فذكره يتجدد بتجدد الأيام، بل إن قوله واختياره دائمًا مما يعزز في ترجيح المسألة، فيلاحظ أن

.....

المحققين وأن العلماء إذا ذكروا الأقوال قالوا: وهذا هو القول الراجح وهو الذي رجحه شيخ الإسلام.

أسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يخلف علينا وعليه بمقعد صدق عند مليك مقتدر، وسبحانك الله وبحمدك نشهد أن لا إلاه إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

س: أحسن الله إليكم، يقول: كيف نقول أن تكفير الأئمة في مقالتهم تكفيرا مطلقا، والأصمعي أن يقولوا: كافرة بهذه المقالة؟

ج: نعم، نحن نقول: إذا ورد عن الأئمة أن من قال كذا فهو كافر ومن قال كذا فهو كافر فيؤخذ على عمومه ولا ينزل على الأشخاص، إلا بعد قيام الحجة وزوال المانع.

نأتي إلى مسألة إطلاق التكفير المعين على بعض الأشخاص من قِبَل بعض الأئمة كما هي الحال عن الأصمعي، وكما هي الحال عن بشر المريسي، يلاحظ أن بعض الأئمة كفره صراحة، بل بعض الأئمة كفر حتى حسين الكرابيسي.

لكن يحمل قولهم هذا على أمرين كما ذكر الإمام البغوي في "شرح السنة" وكما ذكر أو نقل الإمام البيهقي عن الإمام الشافعي وعلل ذلك، وكما ذكره أبو سليمان الخطابي –رحمه الله– قال: يحمل كلامه في تكفير هؤلاء الأشخاص على أمرين:

الأمر الأول: أنهم أرادوا كفرا دون كفر، يعني: كفر لا يخرج عن الملة.

الأمر الثاني: أنهم قالوا ذلك تنفيرا منهم وتشنيعا على مقالاتهم، نعم.

س: أحسن الله إليكم، يقول: ما الفرق المعنوي بين القدرة والإرادة؟

ج: القدرة والإرادة بينهما عموم وخصوص، وكلاهما متعلق بأفعال الله –عز وجل، وهناك ملحظ لطيف ذكره –إن لم تخنني الذاكرة– ابن القيم لا يحضرني الآن، الملحظ في الفرق بينهما وإنما الشاهد بينهما عموم وخصوص، ويشتركان أنهما فيما يتعلق بأفعال الله ﷻ والله أعلم.

هذه المهاجرة من الكويت تقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، من هو القائل: أن ما سماه الله من صفاته الخبرية هي أبعاض وأجزاء بالنسبة لنا، وهل هي كذلك بالنسبة لله بدون تكييف، وما معنى حديث: 🕮 خلق الله آدم على صورته 🕮؟

أما مسألة أن الأسماء والصفات بالنسبة لنا هي أبعاض وأجزاء لا شك فاليد والوجه بعض من الإنسان وجزء من الإنسان، وبناء على ذلك يمكن أن يجزأء ويمكن أن يبعض.

.....

نعم أقول: إن هذه الصفات بالنسبة لنا هي أبعاض وأجزاء؛ فاليد البصر القدم الوجه بعض وجزء من هذا الإنسان، أما بالنسبة لله ﷻ فإطلاق البعض والجزء على صفاته من الألفاظ المجملة التي لم ترد لا في الكتاب ولا في السنة؛ ولهذا لا تُرد بإطلاق ولا تقبل بإطلاق.

بل لا بد من الاستفسار عن معناها ممن أطلقها، فمن أطلقها على الله وقال: صفاته أبعاض وأجزاء، وأراد أنها مركبة ويمكن تقسيمها، فالكلام هذا باطل لفظا ومعنى، ومن أطلقها وأراد أنها أبعاض وأجزاء، بمعنى: أن تتميز بعضها عن بعض؛ فاليد ليست هي القدم، والقدم ليست الوجه، والسمع ليس البصر، فهذا صحيح المعنى صحيح، لكن لا يعبر عنه بهذا اللفظ المحتمل لهذا المعنى الباطل.

أما حديث 📖 إن الله خلق آدم على صورته 📖 فهذا ثابت في الصحيح، وحمله الأئمة على ظاهره، وعند ابن خزيمة وغيره بلفظ: 📖 إن الله خلق آدم على صورة الرحمن 📖 من الناس مَن أوّل هذا الحديث وقال: 📖 إن الله خلق آدم على صورته 📖 أي: على صورة آدم، لكن الإمام أحمد أنكر على من أول الحديث بهذا التأويل، وعد هذا نوعا من التجهم.

وممن تأول هذا الحديث الإمام ابن خزيمة –رحمه الله، لكنه أخطأ؛ ولهذا قال الذهبي في ترجمته لما ذكر كتابه "التوحيد" قال: وتأول فيه حديث الصورة فأخطأ، ولكن ليس كل من أخطأ بدّعناه وضللناه؛ لأنا لو عملنا هكذا لم يسلم لنا أحد من الأئمة.

فالصحيح أنه يُحمل على ظاهره: أن الله خلق آدم على صورته، لكن بدون كيف وبدون تشبيه وبدون تمثيل.

من العلماء من قال: يمكن أن تكون الإضافة إضافة تشريف (على صورته) أي: على إضافتها إلى الله ﷻ إضافة تشريف مثل: بيت الله وناقة الله، كون الله ﷻ هو الذي خلق فأضافه إلى نفسه لتشريفه على سائر المخلوقات.

ومنهم من قال: لا يُحمل على ظاهره وليس هناك ما يدعو لنفرة النفوس من ذلك، بل إن الإمام ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث قال: ليس فيه ما يدعو إلى صرف هذا اللفظ عن ظاهره، يقول: وإنما وقعت الوحشة في هذا الحديث بسبب أنه ما جاء في القرآن، وإلا ما الفرق بين الصورة والفرق بين اليدين؟ ما الفرق بين الصورة والفرق بين الوجه؟! ألسنا نثبت لله وجها والمخلوق له وجه، لكن كل منهم له صفة تليق به نعم.

وهناك رسالة للشيخ محمود عبد الله التويجري –رحمه الله– في خلْق آدم على صورة الرحمن، رسالة قيمة حقيقة في هذا الباب جمع فيها أقوال الأئمة وردهم على من أوّل هذه الصفات، كذلك شيخ الإسلام تكلم على هذا الحديث في "نقض التأسيس" لكن في الجزء المخطوط في قرابة تسعين صفحة للرد على من أول هذا الحديث.

.....

س: أحسن الله إليكم، الكرسي موضع القدمين، قاله ابن عباس ﷺ بسند صحيح، وذكرت أنه موقوف، وأهل العلم يقولون: إن ابن عباس ينقل عن بني إسرائيل، فإن لم يرفعه إلى النبي –عليه الصلاة والسلام– فلا يؤخذ بالعقائد، فما هو الصحيح، وجزاكم الله خيرا؟

ج: نعم، هذا الأثر روي موقوفا على ابن عباس وأبي موسى، ليس فقط ابن عباس، لكن العلماء قالوا: إن هذا القول مما لا يقال بالرأي فله حكم الرفع نعم.

يقول: قام أحد الأساتذة وهو يشرح في إثبات صفة اليدين لله قام برفع يده يريد الإيضاح لطلابه، فأنكر عليه أحد طلبته فما رأيكم في ذلك؟

هذا سبق الكلام عليه في قضية مَن ذكر صفة فذكر ما يماثلها بالنسبة للإنسان أو حرك مثلا ذكر صفة اليدين وحرّك اليدين، ذكر صفة الأصابع وحرك أصابعه، نقول: هذا ورد عن النبي ﷺ ورد في حديث ابن عباس في تفسير قول الله ﷻ لما فسره النبي –صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾[1] وأشار إلى سمعه وبصره، ولما قال: 🕮 إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن أشار إلى أصبعيه وحركهما 🕮 ولما جاء في حديث: إن الله يأمر السماوات والأرض قبض وبسط .

فقال العلماء: إنه إذا كان المتكلم يؤمَن عليه أنه ليس من المشبهة وأيضًا يؤمن من المستمعين ألا يفهم من ذلك التشبيه فلا مانع، لكن إذا وجد أحد المحذورين فالأوْلى الترك، ويحمل عليه ما ذكره الإمام اللالكائي: أن الإمام أحمد سمع شخصا يتكلم على الناس في المسجد فذكر حديث: 🕮 إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن 🕮 فحرّك أصبعيه فغضب الإمام أحمد، وقال: قطعهما الله! قطعهما الله! قطعهما الله! وقام وانصرف.

قالوا: يحمل فعل وكلام الإمام أحمد على أن هذا الرجل إما مشبه وعنده ملحظ تشبيه أو أنكر عليه؛ لأنه رأى أن الناس عامة وربما ينقدح في أذهانهم التشبيه المحذور، نعم.

وهذا سؤال يتكرر يقول: ما هو رأي فضيلتكم في التصرف في حالنا هنالك في ألبانيا يقول: حيث إن هناك المدارس مختلطة ذكورا وإناثا، حتى المدارس الإسلامية فيها المناهج على عقيدة الأشاعرة، ولا نستطيع أن نبني مدارس إسلامية؛ لأن هذا ممنوع من الحكومة، فماذا نفعل، وكيف نربي أبناءنا هناك، هل نهاجر أم ندخل في الوضع بشكل طبيعي؟

---

١ – سورة النساء آية : ٥٨.

.....

لا شك –يا أخوان– أن من يعيشون في تلك البلاد ممن يدرس في مدارسهم هذه المناهج المنحرفة التي نعتقد أنها خلاف أهل السنة والجماعة، نقول: إن تيسر أولا إنشاء مدارس على وفق المنهج الصحيح فهذا نور على نور.

وعليهم أن يسعوا جاهدين ويحرصوا ويطالبوا، ويطالبوا، أولا يقفوا أمام أول عقبة، فنقول لا، لا بد من المتابعة والبحث عن مخرج في إنشاء مدارس يكون لها صفة الديمومة، فإذا لم يتيسر يبحث عن مخرج آخر كإرسال أبنائهم أو الهجرة هم وأبناؤهم إلى مكان التعليم فيه مأمون.

فإن لم يتيسر ذلك إن كانت هذه المدارس يدرس فيها على منهج الأشاعرة وهم مضطرون لإدخال أبنائهم، فنقول: لا مانع يدخلون أبناءهم، لكن بشرط أن يقيموا لهم دروسا موازية كما تسمى في مساجدهم في مراكزهم في بيوتهم، يدرسون أبناءهم العقيدة الصحيحة ويبينون لهم أن هذا الذي يدرسونه في هذه المسائل أنه خلاف المعتقد الصحيح، نعم.

س: أحسن الله إليكم، يقول: هل انفرد أبو حنيفة –رحمه الله– بتكفير منكري العلو، وهل ينسحب كلامكم عن التكفير حتى على الجهمية؛ كجهم وبشر والجعد وغيرهم؟

ج: لا، ليس هو وحده الذي انفرد وحده بتكفير من أنكر العلو، فكلام الأئمة الذي ذكر جزء منه يدل على ما ذهب إليه الإمام أبي حنيفة، أما مسألة أنه ينجر تكفيره أو ينجر حكمه هذا على هؤلاء الأعيان فلان وفلان بشر وغيره، نقول كما قلنا في الدرس: إن التكفير المطلق يختلف عن التكفير المعين، مثل الوعيد المطلق، نعم، من قامت عليه الحجة وزال المانع وعاند نعم.

وهناك قاعدة –يا أخوان– لازم القول ليس بقول، بمعنى: إذا تكلم الإنسان بكلام ويلزم على كلامه باطل، فلا تلزمه بهذا الباطل.

مثاله شيخ الإسلام في أول "نقد التأسيس" وهو يناظر الرازي يقول: يلزم على قولك هذا الكفر، ولكني لا أكفرك، ولو قلت أنا بهذا القول لكفرت، لماذا؟ لأنه يقول: أنا أعرف ما يلزم على قوله، فإذا قلت وأنا أعرف باللازم فلا شك أني وقعت في هذا المحذور.

لكن أنت عندما تكلمت بهذا الكلام ويلزم على كلامك هذا باطل أكبر لا ألزمك باللازم، لكن أقول: يلزمك هذا الأمر من باب إقامة الحجة.

فكون هذا الإنسان –مثلا– نفى صفة العلو ويلزم من نفي صفة العلو مثلا نفي أن يكون الله ألا يكون في السماء شيء لا نلزمه بهذا اللازم، لكن نقول: يلزم من قولك هذا الكفر؛ ولهذا لا نحكم عليه بلازم قوله، هذه قاعدة

.....

عامة: لا يحكم على الناس بلوازم أقوالهم. نعم.

وذكرت لكم حديث هذا الرجل الذي في الصحيحين، وقصة الذين جيء بهما إلى عمر وقد شربا الخمر، قال: ما حملكما على ذلك؟ قالا قول الله –عز وجل: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ ﴾[1] **هم الآن شربوا الخمر مستحلين لها، قال: ولولا ذلك لضربت رقابكما، لولا أن عندكم تأويل وشبهة وإلا استحلال الخمر كفر مخرج عن الملة شربه مع الإقرار أنه كبيرة هذا كبيرة ويقام عليه حد الجلد لكن كون الإنسان يشرب الخمر ويستحلها هذا من باب استحلال ما علم من الدين بالضرورة بتحريمه نعم.**

يقول: قال الله –تعالى– على لسان جبريل في سورة مريم قال: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾[2] **كيف يهب جبريل لمريم غلاما؟**

جبريل كسائر الملائكة أنهم ينفذون ما أمر الله به وأنهم يقومون بالأعمال الموكلة إليهم، "فأهب لك" بأمر الله ﷻ وإلا فجبريل وغير جبريل لا يهب من نفسه ولا يعمل ولا يتصرف بنفسه نعم.

يقول: هل يسوغ للمرأة المسلمة أن تقرأ القرآن وترتله بواسطة الهاتف ثم يبث عبر الشاشة على مرأى ومسمع من خلال برنامج وضع بحسن نية لتعليم التلاوة يبث في التلفاز بحسن نية بواسطة الهاتف؟

نعم، بالنسبة للمرأة الأولى لها في مسألة الترتيل وتحسين الصوت ألا تسمعه إلا بني جلدتها بني جنسها عند النساء، أما أن يسمعه الرجل فلا؛ لأنه من باب خدع القوم الخضوع بالقول، وربما أوقع الشيطان في نفوس المستمعين، "والأذن تعشق قبل العين أحيانا".

فنقول: إن كانت عند النساء ولا يسمعها إلا نساء فلتُرتل ولتُحسن صوتها ما شاءت، أما أمام الملأ فلا، نعم.

يقول: أحسن الله إليكم، أرجو منكم شرح هذه العبارة: "معنى خلاف الإثبات المفصل والنفي المجمل"؟

النفي المفصل والإثبات المجمل هذا خلاف منهج الوحيين فيما يتعلق بصفات الله –عز وجل، وهو منهج أهل البدع أنهم

---

١ – سورة المائدة آية : ٩٣.

٢ – سورة مريم آية : ١٩.

.....

يفصلون في النفي؛ يقولون يعني يذكرون الصفات بعينها وينفونها عن الله، الله ليس بسميع ولا ببصير ولا متكلم، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا جسم ولا جوهر ولا عرض، يأتون بكل الصفات وينفونها عن الله.

والإثبات المجمل يقولون: الله له الكمال المطلق، فهذا إثبات مجمل ونفي مفصل، فما هذا الكمال الذي تثبتونه لله؟! هل تثبتون لله السمع؟ قالوا: لا، منهج القرآن على خلاف ذلك، منهج القرآن الأصل فيه الإثبات المفصل أن ينص على كل صفة بعينها ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١ ﴾[1] ﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾[2] ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾[3] ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾[4] **تذكر الصفة بذاتها، أما النفي لا يأتي مجملا غالبا** ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾[5] ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾[6] ﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ ﴾[7] .

هذا نفي مجمل يدخل تحته كل صفة نقص هذا معنى الإثبات المجمل والنفي المفصل، والنفي المفصل والإثبات المجمل، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

---

١ – سورة الشورى آية : ١١.

٢ – سورة ص آية : ٧٥.

٣ – سورة الأعراف آية : ٥٤.

٤ – سورة الفتح آية : ٦.

٥ – سورة الإخلاص آية : ٤.

٦ – سورة الشورى آية : ١١.

٧ – سورة النحل آية : ٧٤.